زينب الكبرى بطلة كربلاء

زينب الكبرى

ودورها في النهضة الحسينية

تأليف

عبد السلام الكاظمي العقيلي

دار الغدير

جعفری، عبدالسلام کاظم،
زینب الکبری علیها السلام و دورها فی النهضة الحسینیة / عبدالسلام کاظم الجعفری .
قم: دار الغدیر، ۱۴۳۲ هـ = ۱۳۸۹.
۲۷۲ ص.
ESBN: 978 - 964 - 8485 - 30 - 1
فهرس نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه، ص. [۲۴۷] ـ ۲۶۰، همچنین به صورت زیرنویس،
عربی.
۱. زینب (س)، بنت علی (ع)، ۶ ـ ۶۲ ق. ۲. واقعه کربلاء ۶۱ ق. ۳. عاشورا. ۴. حسین بن علی (ع)، امام سوم، ۴ ـ ۶۱ ق. ۵. شعر مذهبی، عربی ـ مجموعه‌ها. الف. عنوان.
۹ز ۷ج / ۲ / ۵۲ BP ۲۹۷/۹۷۴
۱۳۸۹

اسم الكتاب: ..... زينب الكبرى عليها السلام
تأليف: ..... عبدالسلام الجعفري
الطبعة: ..... الاولى
سنة الطبع: ١٤٣٢
الناشر: ..... دار الغدير ـ قم
المطبعة: ..... معراج
الكمية: ٢٠٠٠
الشابك: ..... ١ ـ ٣٠ ـ ٨٤٨٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

دار الغدير
للطباعة والنشر والتجليد ـ قم المقدّسة
تلفون ٧٨٥٣٩٦٠ ـ فاكس ٦٦٤٠٧٢٢

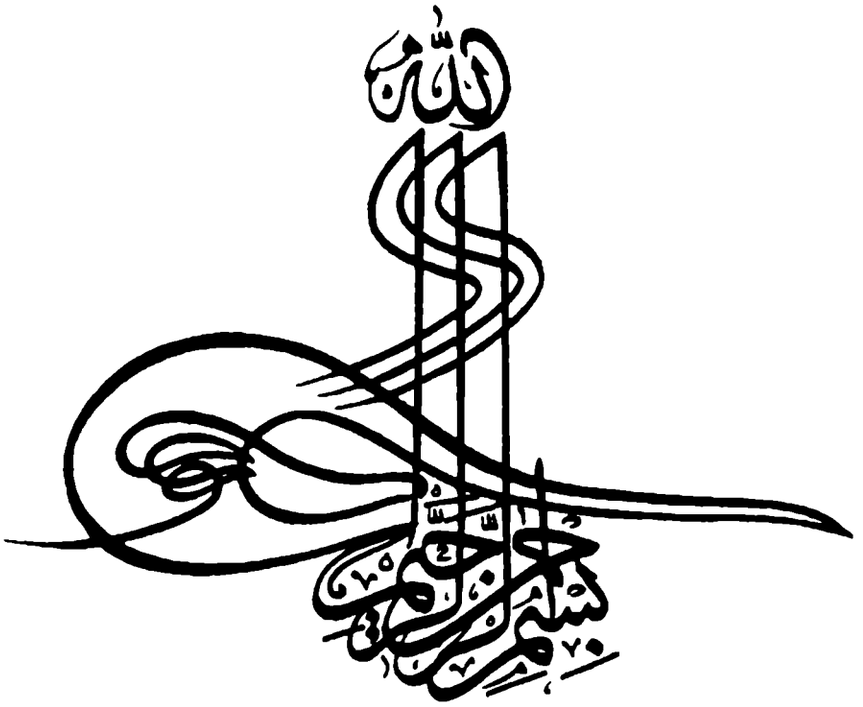

المقدمة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أمينه المصطفى ورسوله الأوفى محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته وآله عليهم السلام الطيبين الطاهرين المعصومين، حجج الله على العالمين، وبعد:

العقيلة زينب عليها السلام: بنت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، التي امتازت بأوصاف حميدة من العلم والزهد والتقوىٰ والعبادة قلّ نظيره.

وهي فرع من فروع الشجرة الطيبة النبوية والأرومة الهاشمية جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخواها لأبيها وأُمّها الحسنان عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، ولا عجب أن جاء الفرع علىٰ منهاج الأصل.

فكانت عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام النموذج الراقي للمرأة لما تملكه من سموّ الآداب، ومعالي الأخلاق، وأصالة الرأي.

وهي مضرب الأمثال في الجهاد والكفاح ضد الباطل، ولها مواقف بطولية في واقعة الطف وبعدها، شاركت أخاها الحسين عليه السلام في مصائبه ورزاياه، وزادت في أسرها حيث قامت بحفظ العيال ورعايتهم، ووقفت إلىٰ جانب ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام في مرضه وجهاده ضد الطغاة، ونصرته ودافعت عنه، ولقّنت الأمراء والحكّام من بني أُمية دروساً بقي صداها علىٰ مرّ التاريخ عِبرة لجميع المستكبرين والظالمين، لقد تحملت الكوارث والمحن في سبيل ابلاغ صوت

الحق، والتى عانت الصعاب والآلام، وألقت الخطب لتوعية الجماهير، وفاقت الفوارس في الشجاعة والبطولة، ونابت عن أخيها في انجاز مهمته وابلاغ حجّته، فهي بنت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام.

* * *

وكان لعقيلة بني هاشم عليها السلام في كربلاء المكان البارز في جميع الحالات والمواطن، فهي التي كانت تهتم بأحوال أخيها الحسين عليه السلام وتراقب أوضاعه ساعة بعد ساعة وتسأله عن الأحداث، وهي التي كانت تمرّض ابن أخيها الإمام السّجاد عليه السلام، وهي التي كانت تدير أمر العيال والأطفال.

وكان الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلىٰ أُخته العقيلة زينب عليها السلام بعين الإجلال والإكبار، ويخصّها بنمطٍ مميز من التقدير والاحترام، حيث عاشت معه كلّ حياته، ولم تَطُلْ لها مدّة بعد شهادته إلّا بمقدار قليل.

* * *

زينب الكبرى سلام الله عليها الطاهرة لقد شاركت سيد الشهداء عليه السلام في نهضته المقدّسة وساهمت بشكل فعّال وملحوظ في نشر أهداف هذه النهضة، ونصرت دين جدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ووقفت تلك المواقف الكريمة التي شهد لها بذلك كلّ عدوّ وصديق، واحبطت ما خطط له بنو أُمية من خطط شيطانية أرادوا بها هدم الدين وتغيير سُنة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

لقد صاحبت الإمام الحسبن عليه السلام ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله جميع فصول نهضته، ثم نابت عن أخيها فى إكمال مسيرته بعد شهادته ومصرعه، نشرت أهدافه التي كان يسعىٰ لها من أجل إحياء شريعة جدّه صلى الله عليه وآله، فقامت بمهمتها علىٰ أحسن وجه، وتحملت من أجل ذلك أنواع المحن والخطوب، وكابدت الآلام من كربلاء إلىٰ

الكوفة ثم إلىٰ الشام، فهي كريمة الدارين، وشقيقة الحسنين عليهما السلام، ابنة أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام.

ولقد تجسدت فيها مواريث النبوة والإمامة، وكانت صورة صادقة لأمها فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

* * *

لقد كانت العقيلة زينب عليها السلام أروع مثال للفضيلة بكلّ معانيها، بحيث نقلت كتب التاريخ والسير الشيء الكثير من فضائلها من ايمان، وصبر، وحلم، وعلم، وعبادة، وسخاء، وشجاعة، وغيرها.

نعم، تدول الدول وتفنىٰ الحضارات، ولكن مثل العقيلة زينب سلام الله عليها أحق ببقاء ذكرها، وأجدر بخلود مواقفها، فهي ـ بحق ـ مفخرة الإسلام، بل الإنسانية أجمع.

* * *

لقد تدرعت الحوراء زينب سلام الله عليها بالصبر وقوة النفس، وأظهرت التجلّد أمام أعداء الله، وقاومتهم بصلابة وشموخ بحيث وقفت أمام جميع ما خطط له بنو أمية من وراء قتلهم الحسين عليه السلام وسبيهم لعترته الطاهرة، بل انعكست آثاره السلبية عليهم، ففضحتهم بكلماتها وخطبها أمام الأمة، وبددت أحلامهم وأخزتهم بين أعوانهم وأنصارهم.

* * *

كان لعقيلة بني هاشم عليها السلام دور كبير وشأن مهم في النهضة الحسينية، فما ظهر من جرأتها وشجاعتها وثبات جأشها أمام أعداء الدين وبالأخص في مواقفها يوم معركة الطف، وفي قصر ابن زياد، وفي مجلس يزيد.

كلّ ذلك يحكي بعض اسرار هذه الشخصية العظيمة، النادرة الوجود.

ولقد سجّل التاريخ للعقيلة زينب عليها السلام أفضل ما في صحائفه من مواقف سامية، وانّ سيرة عقائل الوحي فى طف كربلاء والكوفه والشام تصوّر لجميع الأجيال اروع صور التضحية والصمود، مقترنة بأمثلة رائعة تعبّر عن الأسرار العميقة التي اصطحب الإمام الحسين عليه السلام عائلته المصونة في نهضته المباركة.

* * *

ساهمت عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام في النهضة الحسينية، وشاركت في جميع مراحلها مشاركة ايجابية وفاعلة، ووقفت إلىٰ جانب أخيها الحسين عليه السلام من بداية مسيرتة إلىٰ حين شهادته وتكفلت المسؤولية بعده في اتمام نهضته ومقارعة الطغاة والظلمة، ونشرت أهدافها، وقوّت بنيانها..

وكان خطاب السيدة زينب عليها السلام في الكوفة والشام امتداداً لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وتجسيداً رائعاً لأهدافها السامية وقيمها الكريمة، حيث دللت بكلماتها علىٰ كون الحق مع أخيها الحسين عليه السلام الذي نهض بوجه الطغاة العتاة الذين خرجوا عن الدين، واستعبدوا الناس، واراقوا الدماء الطاهرة ظلماً وعدواناً، وقهرت باسلوبها البليغ غرور الطاغية يزيد وأعوانه الظلمة، وبيّنت للناس الحق، ودمغت الباطل في بيانها الذي جمع بين فنون البلاغة، وقوة الاحتجاج، وحجّة المعارضة، والدفاع عن العقيدة.

لقد اظهرت العقيلة سموّ مكانتها، وعلوّ منزلتها، فكلّمت الطاغية يزيد ومن قبله اللعين ابن زياد بكلام الأمير الحاكم، واستهانت بهما، واستصغرت قدرهما، ولم تحفل بسلطانهما.

* * *

لقد وقفت العقيلة عليها السلام تلك المواقف البطولية الرائعة في مجلس ابن مرجانه بالكوفة وفي مجلس ابن ميسون بالشام وهي امرأة عزلاء وقعت في أسر الأعداء ليس معها إلّا ابن أخيها السّجاد عليه السلام. وقد انهكته العلّة يعاني من ألم القيود، ونساء ولهى، وصبية تئن، ولكنّها لم يرهبها الأسر وفقد الأهل والأنصار، فكانت على جانب عظيم من الثبات وقوة النفس بحيث ألقت على مسامع الجالسين كلمات الحق ودافعت عن الدين وفضحت أعداء الله، وأوضحت للملأ الغافل خبث النظام الأموي وعظم الجريمة التي ارتكبها، كما أنها أدهشت العقول وحيّرت الفكر في مضامين كلماتها وروعة بلاغتها وفصاحتها، حقاً انّها كانت تفرغ[1] عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السلام.

فكانت كلماتها تصب فيها نيران الغضب الإلهي على من تجاوز حدود الله وهتك حُرُماته كابن زياد ويزيد، ففضحتهما، وأفْلَجَتْهما، فسلبت منهما الفِكْر، والقدرة على التوازن، فبدّدت زيف السلطة الأُموية، وبيّنت للمَلأ واقع يزيد ومن يلتف حوله من الطغاة والظالمين، فسحقت كبرياء انتصارهم، وأَذْهَبت بزَهْوِ غلبتهم، وقلبت النصر هزيمة، بل وأشَدّ هزيمة...

* * *

خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة مشهورة - سنتعرض لها في احد فصول الكتاب - رواها العامّة والخاصّة، ردّت فيها على الكوفيّين لمّا أظهروا الندامة، وعلى نسائهم الباكيات على الحسين عليه السلام لمّا أظهرن الحزن والعزاء... وأيضاً

---

(١) راوي خطبة العقيلة زينب عليها السلام كان ممّن رأى الإمام علي عليه السلام وسمع كلامه، وهو الآن يستمع إلى خطبة ابنته العقيلة زينب عليها السلام فأخذ يقارن بينهما، فظهر له أنها تشبه إلى حدّ كثير خطب أمير المؤمنين عليه السلام من حيث الاسلوب والبيان فقال: إنّها تفرغ عن لسان أبيها.

سجّل لها التاريخ ردّها على ابن زياد في مجلسه العام عند ما أظهر فرحه وشماتته بقتل سيّد الشهداء عليه السلام وخاطبته بالقول الجريئ قائلة له: «ثكلتك أُمّك يابن مرجانة».

وردّها على يزيد في مجلسه بالشام لمّا خطبت خطبتها الغراء ففي بعض فصولها أشارت الى جدّته هند آكلة الأكباد بقولها: «وكيف يرتجىٰ مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء».

* * *

قد تجلّىٰ في خطابات العقيلة الهاشمية حسن السبك، وانتزاعات من القرآن، مع البراعة الكاملة في انتخاب العبارات المناسبة والمؤثّرة في قلوب السامعين، كلّ ذلك مع قوّة البيان والهيمنة الكافية علىٰ الجمهور.

وللمنصف أن يتصور حالها وهي أسيرة قد أحاط بها الأعداء، مثكولة لا تبقي المصائب لمثلها عقلاً ولا لساناً ولا صبراً، ولكن حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله لن يؤثّر عليها كلّ ذلك، وإذا هي تقف تلك المواقف الجريئة، وتلقي الخطابات المؤثّرة، التي فضحت فيها حكام بني أمية، واظهرت للأمة ما هم عليه من الكفر والنفاق والابتعاد عن القيم الانسانية، وسخرت منهم وجعلتهم في غاية الضعف أمام خدمهم وأهلهم وجلاوزتهم فضلاً عن عامة الناس.

حقاً، العقيلة زينب عليها السلام لسان النهضة وصوت الحسين عليه السلام المدوي ينطق بالحق ويدمغ الباطل.

* * *

وهل يستطيع كاتب، أو يقوى مُعبّر بحيث تفي عبارته، بوصف ما حلّ بعقيلة بني هاشم سلام الله عليها، وقد تقاسمتها الرزايا، وهجمت عليها المصائب، وغَمَرتْها الأحزان، وهي مع ذلك كلّه كانت كالجبل الأشم الذي لا تحركه الرياح،

تملك قلباً كبيراً لا تُضْعِفُهُ النوائب، ولا تَهُدُّهُ الكوارث فهي بطلة كربلاء، والكوفة، والشام، وكلّ المواقف في نهضة أخيها سيد الشهداء عليه السلام..

* * *

إنّ فاجعة كربلاء خالدة إلىٰ يوم القيامة، وبقيت صحيفتها مفتوحةً، يُجدد نشرها في كلّ عام، بل في كلّ يوم، لكي يعرف البشر مدىٰ التضحية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه وذلك من أجل دك حصون الظلم، وقمع رؤوس الكفر والنفاق...

* * *

انّ المواقف البطوليّة التي وقفتها العقيلة زينب عليها السلام والأحداث التي مرّت بها لفتت أنظار المعنيين فتحدّث عنها المؤرّخون وأصحاب السير في كتبهم وموسوعاتهم علىٰ اختلاف مذاهبهم واتّجاهاتهم، وأشاد الخطباء والمتكلّمون بفضلها وعظمتها، ونظم الشعراء القصائد الرائعة في أحزانها وأشجانها، وركّزوا على صبرها ومقاومتها...

* * *

وأمّا هذه البحوث ـ علىٰ ما أرىٰ ـ فيها ضرورة ملحّة للتعرّف علىٰ بعض الشخصيات التى لعبت الدور المهم فى الوقوف أمام الباطل، وايضا تبيّن بعض ما واجهه الإمام الحسين عليه السلام واهل بيته واصحابه في هذه النهضه المباركة في سبيل الدفاع عن الحق والعقيدة، وفي الوقت نفسه تبيّن حقيقة النظام الوحشي الذي وقف أمام سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته الأطهار.

نعم، لقد كانت النهضة الحسينية ـ ولا تزال ـ علىٰ مدىٰ القرون الماضية وحتّىٰ الأزمان الحاضرة موضوعاً مهماً للدراسة والبحث من قبل المعنيين بذلك. ولقد توالت الأبحاث والدراسات فيما يخص هذه النهضة المباركة، ومن مختلف جوانبها، وكذلك فيما يخص شخصياتها وروّادها..

* * *

ونحن بدورنا نقوم بهذا البحث ادراكاً منّا، وايماناً بهذه النهضة المباركة، ومساهمة في الكتابة ـ حسب جهدنا ـ حول هذه القضية الكبرىٰ.

وما نورد في هذه الدراسة والبحث ما هو إلّا غيض من فيض فيما يتعلق بهذه الشخصية العالمية الفذّة... وهى العقيلة زينب عليها السلام، التي كان لها الدور الكبير في نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

ويتضمن البحث: مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة.

واما فصول البحث فهى:

الفصل الأول: حول شخصية العقيلة زينب عليها السلام.

الفصل الثانى: يتضمن الكلام حول التياران المتضادان(الحق والباطل)، الأول المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام واصحابه والثانى المتمثل بالنظام الأموى ومن سار على نهجه.

الفصل الثالث: يتعلق فى مواقف العقيلة زينب عليها السلام بكربلاء.

الفصل الرابع: حول مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة وخطبتها فيها.

الفصل الخامس: يتضمن مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الشام وخطبتها فى مجلس الطاغية يزيد.

الفصل السادس: يدور حول مواقف العقيلة زينب عليها السلام فى المدينة المنورة، وذلك بعد رجوعها من واقعة الطف الاليمة.

الفصل السابع: يدور حول رحلة العقيلة عليها السلام الى مثواها الأخير ومرقدها الطاهر.

المؤلف

١٣ رجب من شهور عام ١٤٣١هـ

ذكرى ميلاد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

تمهید

تمهيد:

لولا نهضة الإمام الحسين عليه السلام لكان الإسلام مجرد طقوس لا تنهض بالحياة، ولفقد الدين روحيته وحيويته، ولأصبح إلعوبة بيد الحكّام الطغاة يسيرونه كما يريدون.

ولولا هذه النهضة المباركة التي تبعتها الصرخة الزينبية، لأصبح كتاب الله مهجوراً ولبقيت الأمة ترزح تحت ظل الذل والعبودية، فهذه النهضة الحسينية هي الأصل التي منها تتفرع جميع النهضات الإصلاحية، وهي الجذوة منها تقتبس جميع الطلائع التحررية.

إنّ نهضة سيد الشهداء عليه السلام بدأت في سنة (٦١ هـ) بكربلاء، وامتدت آثارها ونتائجها وتفاعلاتها إلىٰ يومنا هذا، وتؤتي أُكلها كلّ حين.

لقد احتل الإمام الحسين عليه السلام مشاعر الناس وعواطفهم، وسكن في قلوبهم وأفكارهم، ونحن علىٰ يقين أنّ جميع الأحرار في العالم علىٰ اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فانّهم يعتبرون نهضة سيد الشهداء عليه السلام نبراساً لهم، وقدوة لجهادهم.

ولا يشك أحد من المسلمين انّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت لانقاذ الاسلام من براثن الكفر والضلالة، التي سعى بنو أُميّة لنشرها في مخطط إجرامي للقضاء على الدين ومحق الرسالة المحمدية، فكانت ثورة الامام الحسين عليه السلام ومن قبلها بلاء الامام الحسن عليه السلام وصبره، أعظم حركة بعد شهادة الامام علي عليه السلام للحفاظ على معالم الدين الحنيف والوقوف أمام المنحرفين والطغاة.

دراسة النهضة المباركة:

انّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وما تلاها من حوادث السبي بحاجة إلىٰ دراسة علمية وافية، علىٰ أعلىٰ المستويات، لأنّ في طوايا هذه الواقعة تكمن أسس أخلاقية ومنطقية لو أُظهرت للبشرية بشكل علمي مدروس لتغيّرت نظريات، ولتبدلت أساليب، ولأعطت الأجوبة الكافية للعديد من المشاكل الروحية والأخلاقية التي يعاني منها البشر، فهي لم تزل، ولا تزال، تعطي أروع الدروس والعِبر للتأريخ البشري.

أهمية النهضة المباركة:

إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة لها أهمية خاصّة، حيث جاءت لاصلاح الانحراف الخطير الذي حصل في مسيرة الأمة الإسلامية؛ وذلك بعد أن تولىٰ بنو أمية ادارة شؤون المجتمع والتحكّم برقاب المسلمين، مع العلم كان موقفهم العدائي للإسلام واضحاً أشد الوضوح في زمان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وبعده.

لقد رفض الإمام الحسين عليه السلام بيعة يزيد المستهتر بالقيم الدينية والانسانية أشد الرفض، وقال عليه السلام: «يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

لقد قرر الإمام الحسين عليه السلام بعد الرفض العلني لهذا النظام الخروج والإصلاح حيث قال عليه السلام: «وما خرجت أشراً ولا بطراً وانّما أردت الإصلاح في أُمة

---

(١) اللهوف: ٩٨، بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥، اعيان الشيعة ١: ٥٩١.

جدي صلى الله عليه وآله»[١].

فكان خروج الإمام عليه السلام لهدف مقدس ومهم، وهو اصلاح الاعوجاج الذي حلّ في المجتمع الإسلامي. فأراد الإمام عليه السلام اسقاط شرعية النظام الأموي الذي كان يعتقد بها أكثر المسلمين نتيجة للتمويه والخداع، وهذا مما جعل أكثر الأمة تنظر إلىٰ أنّ الخروج علىٰ النظام خروجاً عن وحدة المسلمين، وأمثال هذه الأمور التي خدّر بها الأمويون الناس.

كما أنّ هذه الصبغة التي صبغ بها بنو أمية حكمهم مكنتهم من ادخال الانحرافات الجاهلية إلىٰ الإسلام فبدأ الخطر يمسّ الإسلام وتكون ـ حينئذٍ ـ مشكلة المسلمين مشكلتين:

أحدهما: في حياتهم الدنيوية وادارة شؤونهم.

وثانيهما: التي هي أخطر وأعظم، انّ الخطر بدأ يتسرّب إلىٰ دينهم.

لذا أصرّ الإمام الحسين عليه السلام علىٰ احداث التغيير في الوضع الموجود آنذاك، ووقف أمام جميع الانحرافات التي جاء بها النظام الأموي، وبالتالي انقاذ الأمة من أيدي الظالمين والمنحرفين.

الإمام الحسين عليه السلام:

هو أبو الأئمة عليهم السلام، وسراج الأمّة، السبط الشهيد، صاحب المحنة والبلاء، المقتول بكربلاء، سيد شباب أهل الجنّة، أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.

---

(١) الفتوح لابن اعثم ٥: ٢٣.

ولد يوم الثالث[١]، وقيل الخامس[٢] من شعبان سنة أربع من الهجرة.

وقيل: ولد في آخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث[٣] من الهجرة، وقيل: خمس من الهجرة[٤].

وكان عمره الشريف يوم استشهاده عليه السلام ستاً[٥] أو سبعاً وخمسين[٦] سنة، وقيل: أربعاً وخمسين[٧].

ذكروا انّ الإمام الحسين عليه السلام حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[٨].

ونقل ابن الوردي في تاريخه عن صاحب معالم الإسلام أنه:

روي عن أنس بن الحارث أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إنّ ابني هذا ـ يعني الحسين ـ يقتل بأرض يُقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره».

---

(١) إعلام الورى ١: ٤٢٠.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٢٧، إعلام الورى ١: ٤٢٠، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٦ وسير اعلام النبلاء ٣: ٢٨٠.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٤١، إعلام الورى ١: ٤٢٠.

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ٣٩٢ رقم ٥٥٦ ط. دار الجبل، تذكرة الخواص: ٢٣٢، تاج المواليد للطبرسي: ٨٥(المطبوع ضمن مجموعة نفيسة)، وراجع معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول (للزرندي الحنفي): ٨٣

(٥) المعجم الكبير (للطبرانى) ٣، ١٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢:٢٤٦، الفصول المهمة :١٨٧.

(٦) دلائل الامامة (للطبرى): ١٧٧، مواليد الائمة ووفياتهم (لابن خشاب): ١٣٢ المطبوع ضمن مجموعة نفيسة.

(٧) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى ٢: ٣٧.

(٨) تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥.

فخرج أنس بن الحارث إلىٰ كربلاء فقُتل مع الحسين رضي الله عنه[١].

كان الإمام عليه السلام عالماً بما سيواجه من الأحداث وما سيواجه من الصعوبات من قتل و....

ولم يكن خروجه لطلب الدنيا بل كان خروجه لاصلاح الوضع المتردى آنذاك.

محبة الإمام الحسين عليه السلام:

عن أيوب الأنصاري قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين يلعبان بين يديه في حجره، فقلت يا رسول الله اتحبهما؟ قال: «وكيف لا أحبّهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمّهما»[٢].

عن النبي صلى الله عليه وآله انّه كان يأخذه (الحسين) والحسن ويقول: «اللهم إنّي أُحِبُّهُما فأحِبَّهُما»[٣].

عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «الحسن والحسين ابناي، مَنْ أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبه أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»[٤].

عن جابر بن عبدالله قال: من سرّه أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظر

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٣٠ ح ٣٤٢٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٢ رقم ٤٨، كفاية الطالب: ٣٧٩.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٣٢ باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ط. دار احياء التراث العربى ـ بيروت، تاريخ دمشق ١٤: ١٥٥ ح ٣٤٧٦، الاستيعاب ٣: ٣٩١ رقم ٥٥٥.

(٤) تاريخ دمشق ١٤: ١٥٥ ح ٣٤٧٨.

إلىٰ الحسين بن علي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقوله[١].

النبي صلى الله عليه وآله ومقتل الحسين عليه السلام:

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام الدرع الواقي لصيانة الإسلام، وقد أدلىٰ الإمام عليه السلام بذلك حينما اقترح المشفقون عليه بعدم الخروج إلىٰ العراق، فقال عليه السلام: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر وأنا ماضٍ إليه».

وذكر المؤرخون أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد نعىٰ الحسين عليه السلام إلىٰ المسلمين وأحاطهم علماً بشهادته واستشف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يمنىٰ به الإسلام من الأخطار علىٰ أيدي بني أُمية، ولا يمكن دفعها إلّا بتضحية الحسين عليه السلام وشهادته.

روىٰ ابن الأثير وغيره: انّ النبي صلى الله عليه وآله أعطىٰ أُمّ سلمة تراباً من تربة الحسين عليه السلام حمله إليه جبرئيل، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأُم سلمة: إذا صار هذا التراب دماً فقد قُتل الحسين عليه السلام فحفظت أُمّ سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً[٢].

وقال اليعقوبي في تاريخه: وكان أول صارخة صرخت في المدينة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ ذكر حديث القارورة[٣].

وفي تاريخ ابن عساكر وابن كثير: عن علي بن زيد بن جدعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع، وقال: قتل الحسين والله! فقال له أصحابه: لِمَ يا ابن

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، تاريخ دمشق ١٤: ١٣٧، ينابيع المودة ٢: ١٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٩٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

عباس؟ فقال رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم، فقال: «ألا تعلم ما صنعت أُمتي من بعدي؟ قتلوا الحسين! وهذا دمه ودم أصحابه ارفعها إلىٰ الله عزّ وجل».

فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة، فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتّىٰ جاءهم الخبر بالمدينة أنّه قتل في ذلك اليوم وفي تلك الساعة[1].

و انّ أهم فترة في تاريخ الإسلام السياسي هي الفترة التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام، حيث حفلت باحداث رهيبة تغيّرت فيها مجرىٰ الساحة الإسلامية.

صوت النهضة الحسينية:

لقد نجحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام منذ اللحظة الأُولىٰ التي سقط فيها صريعاً علىٰ الأرض وحققت النصر، إذ قامت أُخته زينب سلام الله عليها بنشر رسالة دمه الطاهر وذلك في الركب الحزين الذي كانت قادته من عائلة آل الرسول ﷺ والذي ساقه الطغاة من بنى امية كسبايا من كربلاء إلىٰ الكوفة فالشام.

وكان لابدّ لرسالة الإمام الحسين عليه السلام أن تنتشر، ولصوت نهضته أن يخترق الآفاق، فكان ذلك علىٰ لسان أخته العقيلة زينب عليها السلام وبقيّة سبايا آل الرسول ﷺ، في حين أنّ النظام الأموي الحاقد علىٰ الشريعة المقدّسة قد خطط في أعماله التعسفية الظالمة إلىٰ اخماد نهضة سيد الشهداء عليه السلام وخنق ثورته المباركة.

وحضرت العقيلة زينب سلام الله عليها كل مراحل واقعة الطف الأليمة، وفصول الأسر والترحال، وأخذت علىٰ عاتقها المحافظة علىٰ العيال.

نعم، تنحني الانسانية اجلالاً واحتراماً لهذه المرأة العظيمة والحرّة الطاهرة، التي تشع بروح الإيمان بالله تعالىٰ وشدّة الإخلاص له.

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٤: ٢٣٧، تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٨، وراجع جواهر المطالب ٢: ٢٩٨.

الفصل الأول

شخصية العقيلة زينب عليها السلام

العقيلة زينب عليها السلام:

هي ابنة أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حفيدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين.

زينب سلام الله عليها: من أعلام النساء الطاهرات، ومن جليلات العقائل، التي فاقت الفوارس في الشجاعة، وكانت من العابدات، القانتات، الزاهدات، اتخذت طول حياتها تقوىٰ الله بضاعة.

قال ابن الأثير: زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام أدركت النبي صلى الله عليه وآله وولدت في حياته، وكانت امرأة عاقلة لبيبة جزلةً زوّجها أبوها علي رضي الله عنهما من عبدالله بن أخيه جعفر، فولدت له عليّاً، وعوناً الأكبر، وعباساً، ومحمد، وأُم كلثوم، وكانت مع أخيها الحسين رضي الله عنه لما قُتل[1].

قال البحاثة فريد وجدي: زينب بنت عليّ بن أبي طالب كانت من فضليات النساء وجليلات العقائل، كانت مع أخيها الحسين بن علي في وقعة كربلاء...[2].

ولادتها:

لقد اختلف المؤرخون والرواة في السنة التي ولدت فيها العقيلة زينب عليها السلام

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٦: ١٣٢ - ١٣٣ رقم ٦٩٦١ ط. دار الفكر.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٤: ٧٩٥ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

علىٰ أقوال، منها:

١ ـ السنة الخامسة من شهر جمادى الأولىٰ.

٢ ـ السنة السادسة من الهجرة.

٣ ـ السنة التاسعة للهجرة.

٤ ـ وهناك قول في السنة الرابعة.

ولكن أرجح الأقوال هو انّ ولادة عقيلة بني هاشم عليها السلام كانت في السنة الخامسة من الهجرة، علىٰ ما حققه الشيخ جعفر النقدي في كتابه «زينب الكبرى»[1]، وذكر مؤيدات لما ذهب إليه.

تسميتها:

لمّا وُلدت زينب الكبرى عليها السلام، جاءت بها أُمها فاطمة الزهراء عليها السلام إلىٰ أبيها أمير المؤمنين عليه السلام فقالت له:

«سَمّ هذه المولودة...».

فأجابها الإمام عليه السلام:

«وما كنتُ لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله...».

وكان النبي صلى الله عليه وآله في سفر له، ولمّا رجع صلى الله عليه وآله من سفره، عرض الإمام عليه السلام علىٰ النبي صلى الله عليه وآله أن يسميها، فقال صلى الله عليه وآله «ماكنت لأسبق ربي...».

فهبط جبرائيل يقرأ على النبي صلى الله عليه وآله السلام من الله الجليل وقال له: سَمّ هذه المولودة «زينب»، فقد اختار الله لها هذا الأسم.

ثمّ أخبره بما ستعانيه هذه المولودة من المصائب والخطوب،

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ٣٣.

فبكىٰ صلى الله عليه وآله لأجل ذلك[١].

كنيتها:

كُنيت «زينب» عليها السلام بالصدّيقة الطاهرة، وبأُم كلثوم، وقيل إنها تُكنىٰ بأُم الحسن أيضاً[٢] وتلّقب بالصدّيقة الصغرىٰ للفرق بينها وبين أُمها الصدّيقة الكبرىٰ[٣].

ألقابها:

إنّ ألقابها سلام الله عليها تشير إلىٰ صفاتها الكريمة، ونزعاتها الشريفة، وعلوّ منزلتها وسموّ مكانتها، وهي:

١ ـ عقيلة بني هاشم: وعقيلة الطالبيين أيضا، والعقيلة هي المرأة الكريمة علىٰ قومها والعزيزة في بيتها.

٢ ـ العالمة: لأنّها كانت من النساء العالمات في الأُسرة النبوية، وكانت المرجع لنساء المسلمين في الشؤون الدينية.

٣ ـ العابدة: فكانت عليها السلام القمة في العبادة والتهجد ولم تترك نوافلها حتّىٰ في ليلة الحادي عشر من المحرم التي هي أشد ليلة مرّت عليها.

٤ ـ الفاضلة: وهي من أفضل نساء المسلمين من حيث العلم والعبادة والزهد والطهارة.

---

(١) شجرة طوبى: ٣٩٢، زينب الكبرىٰ عليها السلام: ٣٢.

(٢) انظر زينب الكبرىٰ عليها السلام للنقدى: ٣٢، والسيدة زينب عليها السلام للقرشي: ٤٠.

(٣) المصدر السابق.

٥ ـ الكاملة: وهي من أكمل النساء في عقلها وطهارتها من الرجس والمعاصي.

ولُقبت أيضاً بالموثّقة، والعارفة، وغيرها من الصفات الحميدة والنعوت الحسنة[١].

نشأتها:

نشأت قوية النفس، ذات عقل وافر ورأي مصيب، بحيث كانت تدير شؤون العائلة الهاشمية على أحسن وجه؛ لذا لُقبت بـ«عقيلة بني هاشم».

فنشأت شجاعة، مطبوعة على الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة والعزّ والشهامة.

ولم تكن كلماتها وخطبها إلّا عما انطبع فيها من النفسيات القوية، والملكات الفاضلة، التي تنبع من نفس مطمئنة، وقلب شجاع، لا يرهب الحشود المحتشدة، ولا يخاف سطوة الظلمة ولا جور الطغاة.

كانت تقذف بكلماتها التي كالصواعق على بيوت خصوم الدين، وتحرقهم بنيرانها؛ حتى زعزت عروشهم، وكسرت غرورهم، وألحقت بهم العار وحمّلتهم الأوزار.

مقومات شخصيتها:

من مقومات شخصية العقيلة زينب سلام الله عليها: الايمان والتقوى والعلم، الصبر.

---

(١) انظر زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ٣٢.

فكان ايمانها بالله تعالىٰ وشدّة تقواها قد انعكس علىٰ سلوكها وحياتها، فكانت سيرتها العملية تدلل علىٰ ذلك، فهي سلام الله عليها مجسّمة التقوىٰ والفضيلة، لقد خالط الايمان روحها وجسدها.

وأمّا علمها: لقد نهلت العلوم والمعارف من بيت النبوة والوحي التي كانت تعيش فيه وتتغذىٰ منه، فهي عالمة محكمة العلم في الاعتقادات والمعارف الإلهية، وفي الفقه، والسلوك، والأخلاق الفاضلة، وخير دليل علىٰ علمها الجم لسانها الناطق بالحق وبيانها المشرق، ترتجل الخطب الغرّاء في أحلك الظروف وأشدّها قسوة، فتفيض بالعلم الغزير والأدب الفياض.

وأمّا صبرها: لقد ضربت المثل الأعلىٰ فيه، بحيث عُدّ من صفاتها الحميدة ومن نزعاتها الشريفة، لقد وقفت في حوادث كربلاء والشام بكل صبر وشجاعة، مع العلم أنّ فجائع الطف تستولي علىٰ العواطف وتقهر القوىٰ، فلا يمكن تصوّرها علىٰ واقعها وحقيقة أمرها، ولكن العقيلة زينب عليها السلام قامت بالمهمة التي أُنتخبت للاضطلاع بها علىٰ أحسن وجه، وكانت تعالج جميع الأحداث المؤلمة بصبر منقطع النظير، وقلبها متعلق بجلال الله وقدسه، ولسانها يلهج بذكره، ونفسها مطمئنة راضية.

كانت العقيلة زينب سلام الله عليها همزة الوصل في إيصال صوت العدالة والحق المتمثل بالإمام الحسين عليه السلام إلىٰ مسامع الأُمم والمِلَل، وكانت صلوات الله عليها أقوىٰ جهازاً إعلامياً في بثّ مبادئ النهضة الحسينية إلىٰ جميع العالَم، وعلىٰ مرّ الأجيال، فكانت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله دوحة من دوحات العلم وشعبة من أغصان الكمال والمجد.

عبادتها:

أكثر الناس عبادةً هو أعرفهم بالله تعالىٰ، كالأنبياء والأئمة ثم الأولياء.

وانّ المتتبع لسلوك أئمة أهل البيت عليهم السلام أول ما يلحظ مدىٰ انقيادهم لطاعة الله تعالىٰ والخشوع بين يديه، والاقرار له بالعبودية والإذعان، فهم صلوات الله عليهم لا يأنسون إلّا بذكره، ولا ينشغلون عن عبادته ومناجاته، حتّىٰ في أحلك الظروف، وأصعب الأوقات، كما شهد التاريخ بذلك لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ليلة الهرير في حرب صفين وهو بين السهام والرماح، ولم يثنه ذلك عن مناجاة ربّه والاستمرار في ورده.

فكانوا عليهم السلام المصداق الأمثل لقوله تعالىٰ: ﴿**تتجافىٰ جُنُوبهم عن المضاجع يَدعون ربّهم خَوفاً وطمعاً وممّا رزقناهُم يُنفقون**﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿**كَانُوا قَليلاً من اللّيلِ ما يَهْجَعُونَ * وبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُون**﴾[2].

وكانوا عليهم السلام أشدّ الناس خوفاً من الله تعالىٰ وأكثرهم رهبة، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، فكان الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن جزء لا يتجزأ من حياتهم.

ولقد أفصح الإمام الحسين عليه السلام بهذا حين قال لأخية العباس سلام الله عليه عصر تاسوعا وذلك عندما أراد العدو التعجيل بالقتال: «فإن استطعت أن تؤخرهم إلىٰ غدٍ، وتدفعهم عن العشية، لعلنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفر له، فهو يعلم أنّي قد كنت أُحبُ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»[3].

---

(١) السجدة: ١٦.

(٢) الذاريات: ١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣١٦، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٢.

فانّ هذه الكلمات تدلل علىٰ تفاني أئمة أهل البيت عليهم السلام في العبادة، وشدّة تعلقهم بالدعاء والمناجات، حتّىٰ في أحلك الظروف وأقساها،

وعلىٰ هذا النهج سار أولادهم الطاهرون، وانّك لتجد الحوراء زينب سلام الله عليها انّها نسخة ثانية لأبيها واخوتها واُمها، قد تجسّد في جميع افعلها وأقوالها روح الطاعة والاخلاص للباري تعالىٰ والانقياد له، فكانت تأنس بالعبادة، وتلهج بذكر الله تعالىٰ .

فكانت عقيلة بني هاشم سلام الله عليها من العارفات بالله عزّوجلّ ومن القانتات اللواتي وقّفن حركاتهن وسكناتهن للباري تعالىٰ، فكانت عليها السلام في عبادتها وتهجدها ثانية أمّها الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت تقضي لياليها بالتهجد والعبادة، وانّها صلوات الله عليها ما تركت تهجّدها طول حياتها، حتّىٰ في أصعب ليلة مرّت عليها وهي ليلة الحادي عشر من المحرم.

وأيضاً لم تترك نوافلها الليلية في طريقها من كربلاء إلىٰ الكوفة ومنها إلىٰ الشام مع تلك المصائب والمحن النازلة.

وكان المناخ الروحي التعبدي الذي تعيشه العقيلة زينب عليها السلام بارز الوضوح لدى الجميع.

وجاء في بعض المصادر: انّ الحسين عليه السلام لما ودّع أخته زينب سلام الله عليها وداعه الأخير قال لها: يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل[1].

فكانت صلوات الله عليها في غاية الطهارة الروحية، والانقطاع إلىٰ الباري تعالىٰ، وبذلك نالت المنازل الرفيعة والدرجات العالية.

فكانت العقيلة عليها السلام في أيام الأسر مع شدة التعب تتهجد بالنوافل. وعن

---

(١) انظر زينب الكبرىٰ عليها السلام للنقدي: ٨٢.

الإمام السجاد عليه السلام: إنّ عمتي زينب كانت تصلّي قائمة (أيام الأسر) إلّا أنها صلّت جالسة في بعض المنازل؛ وذلك من الضعف والجوع..[١].

وفي مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهري: قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: وأمّا عمتي زينب عليها السلام فإنّها لم تزل قائمة في تلك الليلة ـ أي العاشرة من المحرم ـ تستغيث إلىٰ ربّها، فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنّة[٢].

كانت عبادة العقيلة في جميع أعضاءها، فلسانها كان يلهج بذكر الله، والدفاع عن دينه، ونصرت الحق، وحسبك من عبادتها ومواقفها السامية أمام الطواغيت وأعداء الدين، حيث أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر في أحرج الظروف وأشدّها قساوة.

علمها:

لقد نشأت العقيلة زينب سلام الله عليها في بيت الوحي ومركز العلم والفضل، فنهلت من نمير علوم جدّها صلى الله عليه وآله وأبيها عليه السلام وأخويها عليهما السلام، فكانت من فضليات النساء...

فمن كان ينشأ في مثل هذه الأجواء ويتربىٰ تحت رعاية هؤلاء الأطهار، وأمّها فاطمة الزهراء سلام الله عليها، فلا شك أنّه يغرّ العلم غرّاً.

ومن أجدر بالموهبة من عقيلة بني هاشم سلام الله عليها التي تقلّبتْ في الأنوار المقدّسة والأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، ثمّ نشأت وتربت في بيت النبوة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، وترعرت في منزل النبوة والإمامة، ومدينة العلم وبابها.

---

(١) معالي السبطين ٢: ٢٢٣.

(٢) مثير الأحزان: ٥٦.

لقد كان أهل البيت عليهم السلام ـ حقاً ـ اعجوبة الدنيا بمواهبهم وعبقرياتهم، إذ شرح الله صدورهم للعلم والمعرفة، فكانوا عليهم السلام ينابيع العلم وروّاد المعرفة.

ولقد شهد لزينب سلام الله عليها ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام قال في حقّها: «انّها عالمة غير معلّمة، وفهمة غير مفهّمة»[١].

وقال أبو الفرج الأصفهاني: والعقيلة هي التي روىٰ ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك، فقال: حدّثتني عقيلتنا زينب بنت علي[٢].

وقال الطبرسي: إنّ زينب سلام الله عليها روت أخباراً كثيرة عن أمّها الزهراء عليها السلام[٣].

وذكر الشيخ النقدي في كتابه «زينب الكبرىٰ» بعض الأخبار[٤] المروية عن العقيلة زينب عليها السلام، وكان أشهر ما روي عنها خطبة والدتها فاطمة الزهراء عليها السلام التي احتجّت بها في خصوص فدك.

قال النسابة صاحب «المجدي»: وكانت زينب بنت على روت عن أُمها فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وهى زينب الكبرىٰ[٥].

وذكرالشيخ فرج آل عمران، عن عماد المحدثين: انّ زينب سلام الله عليها كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها وعن أم سلمة وأم هانئ وغيرهما من النساء، وممّن روىٰ عنها: ابن عباس، وعلي بن الحسين عليه السلام، وعبدالله بن جعفر، وفاطمة بنت الحسين عليه السلام الصغرىٰ، وغيرهم[٦].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١١٤، بحار الأنوار ٤٥: ١٦٤.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٩١.

(٣) إعلام الورىٰ ١: ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٤) زينب الكبرىٰ عليها السلام: ٥٥ ـ ٦٣.

(٥) المجدي في انساب الطالبيين: ١٨.

(٦) انظر وفاة السيدة زينب للشيخ فرج آل عمران: ٤٣٩، المطبوع ضمن وفيات الأئمة عليهم السلام.

وفي «الخصائص الزينبية» ما ترجمته: إنّ زينب سلام الله عليها كان لها مجلس في بيتها أيام إقامة أبيها في الكوفة، وكانت تفسّر القرآن للنساء[١].

ولقد روىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام عنها سلام الله عليها، عن أمّها فاطمة الزهراء عليها السلام ما يتعلق بولادة الحسين عليه السلام وقول النبي صلى الله عليه وآله: «خذيه يا فاطمة فإنه الإمام وأبو الأئمة تسعة من صلبه أئمة أبرار، والتاسع قائمهم»[٢].

وروايتها عن أُمّها فاطمة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، إنّك وشيعتك في الجنة»[٣].

وروت عن أمها فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتها في أمر فدك، وهي خطبة شريفة جليلة روتها العامة والخاصة والتي وردت بأسانيد جمّة[٤].

عدّها الشيخ الصدوق في مشيخة الفقيه[٥] من رواة الحديث.

وروىٰ جابر عن العقيلة زينب عليها السلام خطبة أمها فاطمة الزهراء عليها السلام في ما يتعلق بفدك[٦].

عيبةُ علمٍ غير أنّ عِلمها ... غريزة ولم يكن مُكتسبا
عالمةٌ عاملةٌ لربّها ... طول المدىٰ سوىٰ التُقىٰ لن تَصحبا
تقيّةٌ من أهل بيتِ عصمةٍ ... شقيقة السبطِ الحسين والمجتبىٰ

---

(١) انظر وفاة السيدة زينب للشيخ فرج آل عمران: ٤٣٩، المطبوع ضمن وفيات الأئمّة عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٣٥١ ح ٢١٩.

(٣) دلائل الامامة (للطبري): ٣.

(٤) انظر بحار الأنوار ٢٩: ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٠.

(٥) من لا يحضره الفقيه (المشيخة) ٤: ١١٤، وذلك في طريقه إلىٰ إسماعيل بن مهران. وانظر مستدركات سفينة البحار ٤: ٣١٥.

(٦) راجع من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢٧ ح ١٧٥٤ (روىٰ قطعة من الخطبة)، باب في معرفة الكبائر.

صـــدّيقة كـبرىٰ وجـمّ عـلمُها ... طاشت بها الألباب والفكرُ لبا[١]

وقال أحد الشعراء:

ربـيبة عـصمة طـهرُت وطـابتْ ... وفاقت في الصّفات وفـي الفعالِ
فكـانت كـالأئمة فـي هُـداهـا ... وإنـقاذ الأنـام مـن الضـلالِ
وكـان جـهادُها بـالقول أمـضىٰ ... مـن البـيض الصـوارم والنضالِ
مـلائكة السـماء عـلىٰ دُعـاها ... تُـؤمّن فـي خـضوع وابـتهالِ
روت عـن أُمّـها الزهـرا عـلوماً ... بـها وصـلت إلىٰ حـدّ الكـمالِ
مـقاماً لم تكـن تـحتاج فـيه ... إلىٰ تـعليم عـلمٍ أو سـؤالِ
ونـالت رتـبةً فـي الفـخر عـنها ... تأخـرت الأواخـر والأوالي
فـلو لا أمـها الزهـراء سـادت ... نسـاءَ العـالمينَ بـلا جـدالِ[٢]

من كلماتها:

قال ابن أبي طيفور في بلاغات النساء: حدّثني أحمد بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال: كانت زينبُ بنتُ عليّ تقول: من أراد أن يكون الخلق شفعاءه إلىٰ الله فليحمدهُ، ألم تسمع إلىٰ قولهم: سمع الله لمن حَمِدَهُ فخفِ اللهَ لقُدرتِهِ عليكَ، واسْتَحِ منه لقربِهِ منك[٣].

---

(١) هذه الأبيات للشيخ حسن السبتي قدس سره، انظر السيدة زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم، للهاشمي: ٥٥.

(٢) هذه الأبيات للشيخ جعفر النقدي، راجع «زينب الكبرىٰ عليها السلام»: ١٧٣.

(٣) بلاغات النساء: ٥٧.

زهدها:

من زهدها ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام من أنّها سلام الله عليها ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها أبداً[١].

قال النيسابوري في رسالته العلوية: وكانت زينب بنت علي عليه السلام في فصاحتها وبلاغتها وزهدها كأبيها المرتضى عليه السلام وامها الزهراء عليها السلام[٢].

النيابة الخاصة:

روىٰ الشيخان: الصدوق والطوسي رضي الله عنهما: عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلتُ علىٰ حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن الهادي عليه السلام... فكلّمتها من وراء حجاب، وسألتها عن دينها، فسمّت لي من تأتم به، ثمّ قالت: فلان بن الحسن بن علي، فسمّته. فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟

فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلىٰ أُمه.

فقلت لها: فأين المولود؟

فقالت: مستور.

فقلت: إلىٰ مَنْ تفزع الشيعة؟

فقالت: إلىٰ الجدّة أمّ أبي محمد عليه السلام.

فقلت لها: اقتدي بمن وصيّته إلىٰ المرأة؟

فقالت: اقتداءً بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، إنّ الحسين بن علي عليهما السلام

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ٧٩.

(٢) حكاه عنه النقدي في كتابه «زينب الكبرى» عليها السلام: ٤٥.

أوصىٰ إلىٰ أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلىٰ زينب بنت علي تستّراً علىٰ علي بن الحسين عليهما السلام[١].

فكانت العقيلة سلام الله عليها تنوب عن الإمام عليه السلام ويُرجع إليها في الكثير من الأُمور وإن كان المرجع إليها نفس الإمام السجاد عليه السلام؛ وذلك حفظاً علىٰ الإمام عليه السلام من بطش الأعداء، كلّ ذلك للياقتها ومؤهلاتها الخاصة بها.

فهي سلام الله عليها بنت أمير المؤمنين عليه السلام، ونائبة الحسين الشهيد عليه السلام، والناهضة بالحمل الثقيل، والناشرة لرسالة أخيها، والمتمّمة لقصده السامي وهدفه العالي.

وقال الشيخ جعفر النقدى: قيل إنّه كان لزينب سلام الله عليها نيابة خاصة عن الحسين عليه السلام وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتّىٰ برئ الإمام زين العابدين عليه السلام من مرضه[٢].

وفي هذا المعنىٰ نظم الشيخ الفرطوسي هذه الأبيات:

وهو أوصىٰ إلىٰ العقيلة جهراً ... ولزين العباد تحت الخفاء
فهي تعطي الأحكام للناس فتوىً ... بعد أخذٍ من زينة الأولياء
كلُّ هذا ستراً عليه وحفظاً ... لعليٍّ من أعيُنِ الرُقباء[٣]

قال الشيخ المامقاني في تنقيح المقال: أنابها الامام السجّاد عليه السلام نيابة خاصة في بيان الأحكام وجملة أُخرى من آثار الولاية[٤].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٠١، الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٣٠.

(٢) زينب الكبرىٰ عليها السلام للنقدي: ٥٣.

(٣) ملحمة أهل البيت عليهم السلام للفرطوسي ٣: ٢٩٥.

(٤) تنقيح المقال ٣: ٧٩.

فهذه النيابة لزينب سلام الله عليها عن الإمام المعصوم عليه السلام تدلل على مكانتها السامية ومنزلتها الرفيعة.

زوجها:

لقد تزوجت السيدة زينب سلام الله عليها بابن عمها عبدالله بن جعفر الطيّار، أبوه الشهيد الخالد جعفر الطيّار، وأمّه السيدة الشريفة أسماء بنت عميس، وهي من السابقات إلىٰ اعتناق الإسلام.

كان عبدالله بن جعفر من أعلام النبلاء والكرماء في دنيا العرب والإسلام.

وهو أحد سادات بني هاشم، ويقال لم يكن في الإسلام اسخىٰ منه[١].

يقول فيه معاوية (الذي عُرف بعداءه إلىٰ بني هاشم):

هو أهل لكل شرف، والله ما سبقه أحد إلىٰ شرف إلّا وسبقه[٢].

وكان كريماً، جواداً، ظريفاً، خليقاً سخيّاً، وكان يسمّىٰ بحر الجود[٣].

وأخباره في الكرم شهيرة كثيرة[٤].

وكان يُقال له قطب السخاء[٥].

ورد في عمدة الطالب: والعقب من جعفر الطيّار في عبدالله الأكبر الجواد وحده، ليس له عقب إلّا منه، وكان عبدالله قد ولد بأرض الحبشة، وله في الجود

---

(١) الاستيعاب ٣: ٨٨١ رقم ١٤٨٨ ط. دار الجبل، تهذيب الكمال ١٤: ٣٦٧.

(٢) تاريخ دمشق ٢٧: ٢٦٢، تهذيب التهذيب ٥: ١٥٠.

(٣) الاستيعاب ٣: ٨٨١ رقم ١٤٨٨، وانظر: أُسد الغابة ٣: ٩٥ رقم ٢٨٢٦، تهذيب الكمال ١٤: ٣٦٧.

(٤) الاصابة ٢: ٤٩ رقم ٤٥٨٢ ط. دار الكتب العلمية.

(٥) تهذيب التهذيب ٥: ١٥٠ رقم ٢٩٤.

أخبار كثيرة تركناها حذر التطويل، ويروىٰ أنّه ليم في جوده، فقال:

لستُ أخشىٰ قلّة العدم ما اتقيتُ الله في كرمي
كلّما انفقتُ يخلفه لي ربّ واسع النعم[١]

بالاضافة إلىٰ سخائه وكرمه كان من ذوي الفضل، روىٰ عن عمه أمير المؤمنين عليه السلام وعن الحسن والحسين عليهما السلام[٢].

توفي سنة ثمانين للهجرة وهو عام الجحاف لسيل كان في مكة[٣]. وقيل نحو ذلك[٤].

قبر عبدالله بن جعفر:

لقد جاء في «عمدة الطالب» و«الاستيعاب» و«أُسد الغابة» و«الإصابة» وغيرها: أنّه مات بالمدينة ودفن في البقيع. وزاد في «عمدة الطالب»[٥] القول بأنّه مات بالأبواء ودُفن فيه.

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (لابن عنبة): ٣٩.

(٢) السيدة زينب عليها السلام (للقرشي): ٤٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١٤٩ رقم ٢٩٤.

سمي ذلك العام بعام الجُحاف؛ لأنّ مكة شهدت فيه سيلاً جحف كلّ شيء مرّبه، حيث جحف بالناس فذهب بالحاج والجمال بأحمالها وذلك في خلافة عبدالله بن عبدالملك بن مروان. انظر: أُسد الغابة ٣: ٩٦، الإصابة ٤: ٤٩.

(٤) وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات انّ وفاته سنة ثمانين هو الصحيح وقال جماعة سنة تسعين، انظر تهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٦٤. وراجع: اسد الغابة ٣: ٩٦، تهذيب الكمال ١٤: ٣٧٢، تاريخ ابن عساكر ٢٧: ٢٩٦، تهذيب التهذيب ٥: ١٥٠. وانظر عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (لابن عنبة): ٣٩.

(٥) راجع المصادر المذكورة قبل قليل، وانظر عمدة الطالب: ٣٩.

ابناء العقيلة:

لقد رزق الله العقيلة زينب عليها السلام من زوجها السيد الجليل عبدالله بن جعفر، كوكبة من السادة الأجلاء، وهم: علياً وعوناً الأكبر وعباساً وأم كلثوم، كما في تاريخ الخميس[١].

وذكر ابن قتيبة في المعارف والنووي في تهذيب الأسماء واللغات[٢] جعفراً الأكبر.

وذكر السبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص[٣] محمداً.

فأمّا العبّاس وجعفر ومحمّد لم يذكرهم النسابة من المعقبين[٤].

وأمّا عليّ، وهو المعروف بالزينبي، ففيه الكثرة والعدد، وله ذرية وسلالة باقية[٥].

وأمّا عون الأكبر فهو من شهداء الطف، وله فضله وكماله، وقد صحب خاله الإمام الحسين عليه السلام، حين هاجر من المدينة إلى العراق، إلى أن نال الشهادة معه يوم عاشوراء.

حديث يحيى المازني:

وحدّث يحيى المازني قال: كنت في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدّة مديدة، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها

---

(١) تاريخ الخميس ٢: ٢٨٤.

(٢) المعارف: ٢٠٧، تهذيب الأسماء واللغات ١: ٢٦٤.

(٣) تذكرة الخواص: ١٧٥.

(٤) زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ١٤٨.

(٥) انظر زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ١٤٨، وفاة السيدة زينب عليها السلام (لفرج آل عمران): ٤٣٤.

شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن مرّة عن ذلك، فقال: أخشىٰ أن ينظر أحد إلىٰ شخص أُختك زينب[1].

نعم، العقيلة زينب عليها السلام التي كان لا يُرىٰ لها شخص، ولا يُسمع لها صوت، لكن الواجب الديني والظرف الصعب اضطرها أن تخطب وتتكلّم في المجتمع الذي يضم الأعداء والشامتين.

ولقد اجاد الشيخ حسن السبتي الذي نظم هذه الأبيات في أحوال العقيلة عليها السلام وجلالة قدرها:

إن قَصَدتْ تزور قبر جدها ... شوقاً إليه إذ هم بيثربا
أخرجها ليلاً أميرالمؤمنين ... والحسين والزكي المجتبىٰ
يسبقهم أبوهم فيطفئ ... الضوء الذي في القبر قد ترتبا
قيل له لم ذا؟ فقال: إنني ... أخشى بأن تنظر عين زينبا[2]

لقد تضمنت هذه الأبيات حديث المازني.

رؤيا العقيلة زينب عليها السلام:

روي أن عقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها التفتت إلىٰ جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي آنذاك صغيرة، وقالت: «يا جدّاه رأيت البارحة رُؤيا، إنها انبعثت ريح

---

(١) راجع زينب الكبرى عليها السلام: ٣٩.

(٢) وفاة السيّدة زينب عليها السلام (لفرج آل عمران): ٤٧٧ (المطبوع مع وفيات الأئمّة عليهم السلام).

عاصفة اسْوَدَت الدنيا وما فيها وأظلمتها وحرّكتني من جانب إلىٰ جانب، فرأيتُ شجرةً عظيمة فتعلقتُ بها من شدّة الريح فإذا قد قطعتها وألقتها علىٰ الأرض، ثمّ تعلّقتُ بغصن قويّ من أغصان تلك الشجرة فَقَطَعتْها أيضاً، فتعلقتُ بفرع آخر فكسرته أيضاً، فتعلقتُ بأحد الفرعين من فروعها وكسرته أيضاً، وأُبْعِد مِنّي، فاستيقظتُ من نومتي هذه». عندما سمع الرسول صلى الله عليه وآله مقالتها بكىٰ بكاءً شديداً وقال: «الشجرة جدّك، والغصن الأول الذي تعلقتِ به هو أُمك فاطمة عليها السلام، والغصن الآخر أبوك علي عليه السلام، والغصنان الآخران أخواك الحسنان عليهما السلام»[1].

ومجمل الرؤيا عبّر بأن زينب سلام الله عليها ستعاني مصائب جمّة بسبب فقد الجد والوالدين والأخوين.

الإمام الحسين عليه السلام وزينب عليها السلام:

روىٰ بعض الأجلّاء أن المحبّة والمودّة بين زينب عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام كانت منذ الطفولة، حتّىٰ أنها كانت لا تستقرّ إلّا في جنبه عليه السلام، وأنّ فاطمة عليها السلام أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فبكىٰ صلى الله عليه وآله وأخبر فاطمة عليها السلام بمصائبها واشتراكها معه في النائبات[2].

وذكر بعض حملة الآثار: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا زوّج ابنته زينب عليها السلام من ابن أخيه عبدالله بن جعفر اشترط عليه في ضمن العقد أن لا يمنعها متىٰ أرادت السفر مع أخيها الحسين عليه السلام وأراد عبدالله بن جعفر أن يصرف الحسين عليه السلام عن سفره فلم ينصرف عليه السلام، فلمّا يئس منه أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بالمسير معه والتفاني

---

(١) الطراز المذهب للمظفري: ٥٣٩ ـ ٥٤٠.

(٢) راجع: شجرة طوبى للحائرى: ٣٩٣، زينب الكبرىٰ عليها السلام للنقدي: ١١٥.

في خدمته، والجهاد دونه عليه السلام[١].

العقيلة عليها السلام تعترض على ابن عباس:

لما قرر الإمام الحسين عليه السلام السفر من الحجاز إلى العراق استأذنت زينب سلام الله عليها من زوجها عبدالله بن جعفر أن تُصاحب أخاها الحسين عليه السلام في سفره هذا، فأذن لها، ومن حينها انتقلت إلى بيت أخيها عليه السلام، وتأهبت للخروج معه.

ولمّا دخل عليه ابن عباس وأراد انصرافه عن المسير، كان آخر ما تكلّم به الى ابن عباس أن قال له: ما تقول في قوم اخرجوا ابن بنت نبيهم من وطنه، وداره، وحرم جدّه، وتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يريدون بذلك قتله، أو سفك دمائه...

قال له ابن عباس: جعلت فداك يا حسين إن كان لابدّ من المسير إلى الكوفة فلا تَسْر بأهلك ونساءك.

فقال عليه السلام: يا ابن عم إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمر بأمرٍ لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهم معي. ثمّ قال له: يا ابن العم انهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لا يفارقنني.

فسمع ابن عباس بكاءً من ورائه، وقائلة: تقول: يا ابن عباس تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده، لا والله بل نحيي ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟

ثم التفت ابن عباس وإذا المتكلمة زينب سلام الله عليها[٢].

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام للنقدى: ١١٥، وانظر وفاة السيدة زينب عليها السلام (لفرج آل عمران): ٤٣٣.

(٢) راجع زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ١١٤ ـ ١١٥، وانظر مدينة المعاجز ٣: ٤٨٥، ومقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ١٥٨.

العقيلة عليها السلام والأحداث التى مرّت بها:

إنّ العقيلة زينب عليها السلام في مبدأ حياتها شاهدت أحداثاً مرّت عليها، تحملتها في ايمان وصبر، لقد فقدت جدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهي في السنة الخامسة من عمرها الشريف، وفقدت أُمّها الزهراء عليها السلام بعد ذلك بأشهر، وبعدها أنضجتها الأحداث وهيأتها لتأخذ مكان أُمّها التى انتقلت الى الفردوس الأعلى... وبعد عدّة سنين فقدت والدها أميرالمؤمنين عليه السلام الذي عاشت أيام محنته مع أعداء الدين، ثمّ رأت مصيبة أخيها الحسن المجتبى عليه السلام وبعد ذلك عاشت مصائب واقعة الطف وما بعدها... ولو كان أحد غيرها لضعف عزمه من تراكم هذه المصائب والمحن، ولكنها على رغم مما قاست، فقد تحملت المصائب بشجاعة فائقة وايمان راسخ.

وبالذات احداث كربلاء الأليمة ومصائب السبى فى الكوفة والشام، مع كلّ هذه الوقائع والالام التي حلّت بها، قد بقيت تتمتع بقوة الارادة لم تهن، ولم تسيطر عليها العواطف، وما تراجعت أمام شماتت الأعداء؛ لإيمانها ووعيها بعدالة قضيتها.

العقيلة عليها السلام قطب رحى العائلة:

كانت السيدة زينب عليها السلام، عقيلة بني هاشم ركناً مُهمّاً في الأُسرة الهاشمية الشريفة، فهي سلام الله عليها تشعر بالمسؤولية عن كلّ ما يرتبط بالأسرة الطيبة، فكانت مفزعاً للجميع، وملاذاً لهم، وكان سيد الشهداء عليه السلام يعتمد عليها في نهضته ويوصيها من بعده بادارة شؤون العائلة، وجمع الأطفال والحفاظ عليهم بعد استشهاده.

العقيلة عليها السلام تسمع الهاتف:

لمّا نزل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في «الخُزَيميّة»[١] في طريقهم إلىٰ الكوفة، أقام فيها يوماً وليلةً، فلما أصبح، أقبلت أُخته زينب سلام الله عليها، فقالت له: يا أخي سمعتُ في ليلتي هاتفاً يهتف:

ألا يا عين فاحتَفِلي بجُهدِ ... ومَنْ يبكي علىٰ الشّهداء بعدي

علىٰ قومٍ تسوقُهم المَنايا ... بمقدار إلىٰ انجازِ وَعدِ

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: يا أُختاه، المَقضِيُّ هو كائِنٌ[٢]

الشجاعة الأدبية والجرأة العلوية:

كلّ من كتب في قضية سيد الشهداء عليه السلام وواقعة كربلاء اشار إلىٰ شجاعة العقيلة زينب عليها السلام، وتعرّض جملة أو تفصيلاً إلىٰ كلماتها وخطبها ومواقفها في تلك النهضة المباركة، سواء في كربلاء، أو الكوفة، أو الشام. وبالخصوص ما ظهر من شجاعتها وبلاغتها في تلك الخطب الغرّاء في الكوفة والشام أمام الحشود من الناس، وبمسمع الطواغيت والجبابرة، أمثال ابن زياد ويزيد، مع العلم أنّ في مثل تلك الأماكن والشرائط تتلعثم ـ عادة ـ فيها الخطباء وتجبن الشجعان، ولكن حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله لم يؤثّر عليها أيّ شيء من ذلك، بل وقفت بكل شجاعة موقف الأبطال وأدت رسالتها وبيّنت للناس مظلومية أخيها، فدكت حصون الكفر والنفاق، وأظهرت للمجتمع حقيقة النظام الأموي الذي بات يلعب بأحكام الدين، ويغيّر سنن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

---

(١) الخُزيمة: هو منزل من منازل الحاج بعد الثعلبيّة من الكوفة وقبل الأجفر. معجم البلدان ٢: ٣٧٠.

(٢) الفتوح ٥: ٧٨، مقتل الخوارزمي ١: ٢٢٥، ونحوه في مناقب ابن شهرآشوب ٤: ٩٥.

لقد وقفت سلام الله عليها في ذلك الموقف الرهيب، وهي في قيد الأسر، دامية القلب، باكية العين، مجروحة الفؤاد من تلك الفجائع المؤلمة والكوارث المحزنة، قد أحاط بها أعداؤها، وفرح بما حلّ بها حسّادها، ولكن مع ذلك ألقت خطبها وأضاءت للناس الطريق، وافحمت ابن مرجانة ويزيد وأعوانهما، فكسرت غرورهم وزعزت عروشهم.

لقد أبهرت العقول، وحيّرت أهل الفصاحة والبلاغة عندما سمعوا كلماتها، وهذا حذلم بن كثير ـ راوي خطبة العقيلة في الكوفة ـ أخذه العجب، وسيطرت عليه الدهشة من شجاعتها الأدبية وبلاغتها العلوية، حتّىٰ انّه لم يتمكن أن يشبهها إلّا بأبيها سيّد الفصحاء والبلغاء، فقال: كأنّها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السلام.

ولقد كانت مواقف العقيلة عليها السلام بين امراء الظلم أمثولة الحق والعدل، حيثما كانت مواقف الظلمة أمثولة التعسف والجور، فكانت تردّ على الأعداء بكل ثبات وشجاعة.

لقد كشفت عقيلة بني هاشم عليها السلام الغطاء عن حكومة آل أُمية، وزاحت الستار عن ماهية يزيد وأعوانه، فكانت كلماتها عليها السلام تقرع مسامع أولئك الطواغيت، وأعجب من ذلك سكوتهم أمام تلك المواقف، بحيث بان عليهم عجزهم، وظهرت ذلتهم وحقارتهم أمام بنت أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت تتحداهم سلام الله عليها بالمنطق القوي، ولم يتجرأ أيّ واحد منهم أن يردّ علىٰ كلامها، أو يقاوم منطقها.

ولمّا أُدخلت علىٰ عدوّ الله ابن زياد وحفت بها إماؤها وجلست في ناحية من ذلك المجلس المشؤوم، وهي لا تبالي بما فيه، جاء اللعين يسأل عنها بقوله: مَنْ هذه المتنكرة؟

فلم تجبه ترفعاً عن مخاطبته واحتقاراً له، حتّىٰ قالت له بعض إمائها: هذه

زينب بنت علي.

فأقبل اللعين عليها لكي يظهر شماتته، وفرحه وسروره، مخاطباً لزينب عليها السلام كيف رأيت صنع الله بأخيك وبأهل بيتك؟

فأجابته ـ حينئذٍ ـ بجواب كان أشق عليه من رمي السهام وطعن الرماح، وهو الزاهي بالنصر الكاذب، فقالت له بكلّ شجاعة وصلابة:

«ما رأيت فيهم إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم، وسيجمع الله فيما بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج (أي الظفر) ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»[1].

فكانت كلماتها هذه مملوءة جرأة، طافحة بالعزّ، ظاهرة بعدم الاكتراث بالعدو الظالم، بحيث انزلت بجملاتها الصواعق المحرقة علىٰ رؤوس اولئك الغدرة الطواغيت.

نعم، هي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت تفرغ عن لسان أبيها عليه السلام، وكأن نفسه بين جنبيها، فكانت الكلمات البليغة تخرج من فمها الطاهر غير مفحمة ولا متلعثمة...

ولا عجب، هي نسخة من أمراء الكلام، وغصن من شجرة التقوىٰ.

وهناك لها موقف آخر اشدّ وأصعب حين أُدخلت علىٰ اللعين يزيد بالشام ورأته واضعاً رأس أخيها بين يديه في طست يضرب ثناياه بمخصرته!!.

التأثير على الجماهير:

لقد اثّرت العقيلة عليها السلام علىٰ عقول الجماهير، وايقظتهم من سباتهم ونومهم،

---

(١) اللهوف: ٢٠١.،بحار الأنوار ٤٥: ١١٦، العوالم للبحراني: ٣٨٣ لواعج الأشجان: ٣٠٩.

فقد هزّت العواطف، وقلبت الرأي العام، وجعلتهم أمام الواقع المرّ، الذي يعيشه المجتمع الإسلامي آنذاك تحت ظل الحكم الأموي الظالم، وذلك في خطبها التاريخية الخالدة التي ألقتها في الكوفة والشام، وهي تدلل على ثرواتها الثقافية والعلمية والأدبية، وضربت المثل الأعلى في الشجاعة والصراحة، فكانت ألمع خطيبة في الإسلام، ولا عجب من ذلك، فهي نشأت سلام الله عليها في بيت الوحي ومركز العلم والتقوى، فنهلت من نمير علوم جدّها وأبيها وأخويها صلوات الله عليهم، فكانت من أقرب الناس بسيرتهم، وأكثر من غيرها احاطة بشؤون الدين وأحكام الشريعة الغرّاء.

مواقف وبطولات:

لقد كانت العقيلة سلام الله عليها تردّ على الظلمة وأهل الجور بكلّ ثبات وجسارة في تلك الأجواء الرهيبة والمواقف الصعبة، فكانت تخاطب الطغاة وتلقمهم الحجر تلو الحجر، حتّى أصبحوا أذلة خاسئين، وحيارى ساكتين، وبعد النصر صاغرين...

لما رأت زينب الكبرى عليها السلام يزيد يضرب رأس الحسين عليه السلام بمخصرته التي كانت بيده، وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[1]

إلى آخر الأبيات.

فبادرت عقيلة بني هاشم سلام الله عليها وتصدت بكل جرأة وشجاعة إلى ذلك الطاغي، حيث خطبت خطبة بليغة غرّاء يعجز عنها البلغاء والفصحاء

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٢٢.

وبالأخص في مثل هذه المجالس والمواقف، مستظهرة بحججها على عدو الله حيث قالت:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

حسبك بالله ولياً وحاكماً، وبرسول الله خصيماً، وبجبريل ظهيراً. وسيعلم من بوّأك ومكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرّ مكاناً وأضل سبيلاً ـ إلى أن قالت عليها السلام ـ ثمّ كد كيدك واجهد جهدك فو الذي شرّفنا بالوحي والكتاب والنبوة والانتجاب لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا ولا ترحض (اي لا تغسل) عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادى ألا لعن الله الظالم العادي..الخ[2]

نعم، إنّ العقيلة زينب عليها السلام هي ابنة ذلك البطل العظيم الذي شهد الجميع بشجاعته وببسالته، فكان يخوض غِمار الموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله للدفاع عن الدين الحنيف ولإعلاء كلمة الله تعالى.

العقيلة عليها السلام والمهمة الصعبة:

بنو أُميّة لم يألوا جهداً لتزوير الحقائق والكذب على الأُمّة بأنّ الحسين عليه السلام خرج على إمام زمانه يزيد ـ لعنة الله عليه ـ!! وانّه من الخوارج، فسرت هذه الدعايات في الكوفة والشام والمناطق الأُخرى، فصار الناس مضللين، يسيطر عليهم الاعلام الأموي الحاقد على أهل البيت عليهم السلام مشفوعاً ذلك

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) راجع الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٢٨، ١٣٠.

بالإرهاب والبطش والعنف.

لقد تعرّضت الأُمّة الى تضليل ثقافي وفكري من قبل السلطة الأمويّة الظالمة، فكانت مهمّة العقيلة زينب عليها السلام متعبة؛ لأنّها ستواجه بعد مقتل أخيها الحسين عليه السلام هذا اللون من المجتمع الذي يعيش شدّة التضليل الإعلامي، لذا كانت مسؤوليّة العقيلة عليها السلام فى غاية الصعوبة والمشقة؛ لانّ دورها يمثّل الدور الحساس والخطير فى تاريخ المسلمين.

نشرت العقيلة عليها السلام الوعي السياسي والديني:

ورثت العقيلة من جدّها الرسول صلى الله عليه وآله ومن أبيها أمير المؤمنين عليه السلام جميع الصفات الكريمة والخصال الحميدة...ومنها الجهاد والصبر والمقاومة.

لقد نشرت العقيلة زينب عليها السلام الوعي السياسي والديني في الأمة في الوقت الذي تخدّرت فيه العقول، وتلبدت الأفكار.

لقد آمنت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بنهضة أخيها الحسين عليه السلام، وجاهدت معه جهاداً لم يعرف التاريخ مثله، فدافعت عن نهضته وايقنت باهدافها، وهي التي نشرت رسالته لجميع الأمم وأبرزت قيمها الأصيلة في خطبها التاريخية، التي هزّت بها عروش الظلمة والطواغيت، وتحدت جميع الطغاة والمجرمين.

صوت الحسين عليه السلام:

لقد حاول بنو أُمية منذ اللحظات الأُولىٰ اخماد نهضة الحسين عليه السلام، ودفن صوته، لذا صبّوا كلّ قواهم لمنع وصول رسالته، وخنق ثورته، فكان المسلمون فى أيام الأمويين ثم العباسيين اذا اراد أحد منهم أن يحتفل بذكرىٰ الإمام الحسين عليه السلام، فانّه لا يقوىٰ علىٰ ذلك إلّا في طيّ الكتمان، ولكن هذا الصوت ارتفع شيئاً فشيئاً

وأخذ يدوي وينبعث، ويصل صداه إلىٰ كلّ العالم، وأخذ الشعراء والأدباء يستلهمون العبر منه.

وللعقيلة زينب عليها السلام وبقية سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله النصيب الأوفر فى ايصال صوت الحق الى مسامع جميع العالم، على مرّ العصور والأجيال، وأحد الأسباب المهمة في كشف حجب التمويه والخداع.

العقيلة عليها السلام في ظل خلافة أبيها:

لقد كانت الكوفة قبل عشرين سنة من واقعة كربلاء، عاصمة الدولة الاسلامية في أيّام حكومة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومركزاً لحكومته وقيادته، وكان لأهل الكوفة الخاطرات الطيبة عن الامام عليه السلام لسيرته الشريفة، وشخصيته العملاقة وأُسلوب تعامله مع المجتمع، حيث شملت عدالته وعواطفه الابوية جميع الطبقات، وعاش معهم كأحدهم، وشاركهم في السراء والضراء، وقسّم بينهم أموال المسلمين في منتهى العدالة والدقّة، بالاضافة إلىٰ ما لمسوه من شجاعته وعلمه وعبادته وورعه، فترك كلّ ذلك الانعكاسات الطيّبة في النفوس، وكانت العقيلة زينب عليها السلام آنذاك تعيش في ظل تلك الأجواء الكريمة في الكوفة، وهي ابنة أميرالمؤمنين عليه السلام ويعسوب الدين، واليوم قد دخلت الكوفة بعنوان أسيرة وجيش الضلالة قد أحاطوا بها، ورأس أخيها سيد شباب أهل الجنة عليه السلام علىٰ رمح طويل، والناس وقفوا موقف المتفرّج أمام هذه الأحداث المؤلمة، فكان ذلك يعزّ عليها ويؤلم قلبها.

العقيلة عليها السلام رمز الحق ومثال الفضيلة:

وقفت العقيلة زينب سلام الله عليها أمام الإعلام الأموي الذي سعىٰ لأن

يدرج أبطال كربلاء ضمن قوائم الخارجين عن الإسلام، فكان وقوف العقيلة أمام هذه المؤامرة له الدور الكبير في ابراز شخصية اولئك الشهداء وعلىٰ رأسهم سيد الشهداء وأميرهم الإمام الحسين عليه السلام، حيث خابت مخططات النظام الأموي وخسرت صفقتهم وذلك بمواقف العقيلة وخطبها وكلماتها التي أنارت فيها الطريق لكل الأجيال.

فالعقيلة زينب سلام الله عليها رمز الحق ومثال الفضيلة، وشأن الحق أن يعلو، والفضيلة أن تشتهر، فهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو وأهل بيته مع الحق والحق معهم يدور حيثما داروا، ولقد كانت نهضة أخيها الحسين عليه السلام المظهر الأعلىٰ للحق، وكانت هي في هذه النهضة أحد روّادها والناشرة لرسالتها السامية وداعية للحق وهاتفة باسمه.

وبالرغم من أجواء معركة الطف القاسية، ونتائجها المؤلمة، فإنّ المأساة لم تهزَ العقيلة زينب عليها السلام ولم تخرجها عن وقارها وإيمانها وصبرها، بل كانت علىٰ العكس من ذلك بحيث اصبحت مضرب المثل في الإيمان والصبر والمقاومة.

الفصل الثانى

التياران المتضادان

(الحق والباطل)

إنّ طبيعة البحث تقتضي إعطاء صورة إجمالية عن الأحداث التي صاحبت النهضة الحسينية والظروف التي كان المجتمع الإسلامي يعيشها آنذاك، فلابدّ من إلمامة خاطفة يتعرّف بها القارئ الكريم علىٰ الخطين المتقابلين، الأول يمثّله الإمام الحسين عليه السلام واتباعه، والخط الآخر يمثّله يزيد واتباعه. ومن البديهي انّ دراسة هذا الموضوع تحتاج إلىٰ ما هو أوسع من هذه الصفحات، ولكن حسبى ـ هنا ـ الاشارة العابرة والسريعة.

فيدور الكلام حول الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين سلكوا الطريق المستقيم، وهو طريق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهم ميزة لهذا الخط هو التمسك بالحق ومناهضة الباطل.

وأما الخط الآخر الذي يقابل خط الإمام الحسين عليه السلام هو الخط الأموي الذي ظهر علىٰ مسرح الحياة السياسية بالصبغة الإسلامية، ولكنّه في الواقع يمثّل جبهة الباطل والكفر والإلحاد.

والإمام الحسين عليه السلام كان يرىٰ من اللازم الوقوف بوجه كلّ الفئات الفاسدة والمنحرفة، امثال أُسرة بني أُمية ومن نهج نهجهم، وإلّا تكون العاقبة غير محمودة. ولذا نسمع الإمام الحسين عليه السلام في خطابه الحماسي ينقل حديثاً عن جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: «ألا من رأىٰ منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لمحارم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً علىٰ الله أن يدخله مدخله.

وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، واظهروا في الأرض الفساد وعطلوا الحدود والأحكام، واستأثروا بالفئ، وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق مَنْ غيّر»[1].

فالإمام الحسين عليه السلام بيّن باستشهاده بحديث جدّه الرسول صلى الله عليه وآله أهمية الجهاد والوقوف ضد الباطل. وإننا عند مراجعة النصوص التاريخية التي نقلها جماعات مختلفة من المسلمين من مؤرخين وعلماء وفقهاء وغيرهم، نرىٰ كلّها تدين النظام الأموي الذي خرج عن مسار الإسلام والدين الحنيف، وبالذات معاوية ويزيد.

إذن بعد أن شخّص الإمام الحسين عليه السلام بأنّ التيار الأموي أخذ يشكّل الخطر الكبير علىٰ الأمة الإسلامية، وقد حان الوقت المناسب للوقوف العلني بوجه هذا الانحراف الذي بات يعصف بالأمّة الإسلامية ويهدد كيانها؛ لذا قرر النهوض بنهضته المباركة التي تركت الآثار الطيبة والنتائج المثمرة، وأعادت للمسليمن وعيهم، وحفظت الإسلام من الهجمات الشرسة التي قادها بنو أمية ضدّه.

الصراع بين الحق والباطل:

انّ واقعة الطف تمثّل الصراع بين الحق المتمثّل بالإمام الحسين عليه السلام ومن سلك نهجه وتبعه، والباطل المتمثل بيزيد ومن سانده وسار علىٰ دربه.

لقد كانت معركة كربلاء تجسّد صراعاً ضخماً بين معسكرين ومدرستين وفكرتين، فهو الصراع بين الإسلام والجاهلية، فكان واقع الصراع أعمق مما

---

(١) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤، الكامل في التاريخ ٤: ٤٨، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٤.

يتصوره البعض بأنّه خلاف على بيعة، أو سلطان، أو حكم، أو قيادة أمة.

بل كانت محاولات دولة بني أمية لطمس معالم الإسلام ومحو أثره وتركيز الجاهلية في نفوس الناس والعودة إلى تلك الحياة التي حاربها الاسلام وقضى عليها.

لقد تسلل بنو أمية إلى الخلافة الإسلامية بعد أن كانوا ألد أعداء النبي ﷺووقفوا ضدّه وحاربوا دعوته، ولم يعتنقوا الاسلام إلّا بعد أن أحسّوا بالخطر الذي كان يهددهم من جراء المد الإسلامي..ولقد اشار الى هذا الامر أحد المستشرقين قائلاً:

«المأخذ الدائم الذي يؤخذ على الأمويين هو انهم كانوا أصولاً وفروعاً أخطر أعداء النبي ﷺ، وانّهم اعتنقوا الاسلام في آخر ساعة مرغمين، ثمّ أفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين أولاً بضعف عثمان، ثمّ بحسن استخدام نتائج قتله. هذا، وأصلهم يفقدهم مزية زعامة أمة محمد ﷺ، ومن المحن التي بلي بها حكم الدين أنهم أصبحوا قائمين عليه، مع أنهم كانوا ومافتئوا مغتصبين لسلطانه، وقوتهم في جيشهم الذي هو على قدم الاستعداد في الشام، ولكن قوتهم لا يمكن أن تصبح حقاً»[1].

لقد أراد الأمويون أن يخضع لهم جميع المسلمين ومن ضمنهم الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ خضوعه يؤمّن لهم انقياد الأمة المسلمة كلّها، وبالتالي يمكنهم من ممارسة سياستهم دون خشية... وهذا ما سعى إليه معاوية من أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من بعده.

ولكن الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك هذا الأمر ادراكاً جيداً، ويعرف نوايا بني

---

(١) ولهاوزن، الدولة العربية: ٥٣ وراجع تاريخ الاسلام السياسي ١: ٢٧٨.

أمية الخبيثة ومحاولاتهم في ارجاع الأمة الاسلامية إلى عهد الجاهلية بعد أن فشلوا في ذلك أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن في هذه المرّة عادوا من جديد تحت مظلة الخلافة، والزعامة الدينية، والأمة في غفلة، لذا قرر الإمام الحسين عليه السلام أن ينهض بنفسه وبأهل بيته والثلة من أصحابه؛ لكي يكافحوا هذا التيار الجاهلي وانقاذ المجتمع من السياسة الأموية التي هي رمز الباطل. فالصراع اذن هو بين الحق والباطل لا غير.

ولقد قرر الإمام الحسين عليه السلام النهضة المباركة ضد يزيد، لأنّ وقتها قد حان، فبادر عليه السلام لاتخاذ الإجراء المناسب للوضع الخطير الذي حلّ بالأمة الإسلامية بعد أن تسلّم يزيد السلطة واستولى على الخلافة، والإمام عليه السلام يعلم علم اليقين حركته الجهادية هي القادرة على هزّ العرش الأموي وتغيير الوضع المتردي، فعزم على إعلان الصيحة ضد الطغاة للحفاظ على مبادئ الإسلام والوقوف أمام الإنحراف والباطل.

النهضة الحسينية مدرسة الأجيال:

النهضة الحسينية مدرسة الأجيال، أخذت قوانينها والأسس التي ترتكز عليها من الله تعالى، فهي التي تقوم بالحفاظ على الدين الإسلامي من الانحراف، والانسانية من الهلاك والانهيار، فهي التي ترسم للمسلمين طريقهم الصحيح، وتعطي للبشرية جميعاً الدروس الحقيقية في سلك طريق العز والكرامة.

فالنهضة الحسينية صرخة لإحياء الضمير والوجدان، وتحفظ الأمم من التسافل نحو الذل والانكسار.

من أسباب النهضة الحسينية:

انّ الظلم الأموي وصل إلىٰ درجة أُشعر فيها كلّ مسلم بفقدان الثقة بنفسه، فالأجيال التي عاصرت تلك الفترة من الحكم الأموي لمست جيداً تردي الأوضاع الاجتماعية والدينية والسياسية وحتّىٰ الاقتصادية، وبدأت الجاهلية بالعودة إلىٰ المجتمع الإسلامي من جديد بعد كلّ التضحيات والجهود التي بُذلت لتطهير المجتمع منها.

في مثل هذه الظروف الصعبة والأجواء القاسية، جاءت النهضة الحسينية لتنير الطريق لكافة المسلمين، بل للإنسانية جميعاً.

لذا نهض الإمام الحسين عليه السلام في الوقت المناسب لتصحيح تلك الأوضاع، والحفاظ علىٰ معالم الدين الحنيف والاصلاح في أمّة جدّه محمّد صلى الله عليه وآله، قال الإمام الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً وانما اردت الاصلاح في أمّة جديّ صلى الله عليه وآله»[1].

ولقد كتب الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ وجوه أهل البصرة يدعوهم إلىٰ كتاب الله، ويقول لهم: «إنّ السُّنة قد أميتت، وإنّ البِدعة قد أُحييت»[2]

من كلام الامام عليه السلام هذا، يتضح لنا بعض أسباب النهضة الحسينية.

فالحسين عليه السلام لم يخرج طلباً لحكم أو مال أو منزلة، فقد كان له من ذلك النصيب الأوفر، ولكنه عليه السلام خرج للوقوف بوجه الظالمين والمنحرفين الذين أرادوا أن يقضوا علىٰ روح الإسلام باسم الخلافة الإسلامية فخرج عليه السلام ليعيد للأمة الثقة بنفسها، ويعلّم الناس كيفية المقاومة والصمود. فخرج عليه السلام ليعلن هذه المقولة التي

---

(١) الفتوح ٥: ٢١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ١٨٨، بحار الأنوار ٤: ٤٣٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٦.

اعلنها سيد الشهداء بقوله: «قد نزل ما ترون من الأمر وإنّ الدنيا قد أدبرت وتنكّرَ معروفُها، وذهبت حتّىٰ لم يبقَ منها إلّا كصُبابة الإناءِ وخَسِيسُ عَيْش كالمرعى الوَبيل ألا تَرون الحق لا يُعمل به والباطلَ لا يُتناهىٰ عنه لِيَرْغَب المؤمن في لقاء الله مُحقّاً فإنّي لا رأى الموتَ إلّا سعادة والحياةَ مع الظالمين إلّا برما»[1].

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام أسباب نهضته وأوضح للأمة دوافع حركته، بلغة واضحة ليس فيها غموض.

الإمام الحسين عليه السلام المثل الأعلىٰ للإصلاح:

انّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام تعتبر ـ بحق ـ المثل الأعلىٰ في الإصلاح عِبر التاريخ، وحازت أهمية بالغة وشهرة عظيمة؛ لأنّ الناهض بها ذلك الرجل العظيم الذي يمثّل رمز الحق، ومثال التضحية والإخلاص.

لقد عُدت نهضة سيد الشهداء عليه السلام ينبوع الحركات الإصلاحية في الممالك الإسلامية، بل في العالم كلّه بما تحمل هذه النهضة المباركة من الإخلاص والتفاني من أجل مقارعة الظلم ونشر العدل، والوقوف بوجه المستكبرين والمنحرفين.

فالإمام الحسين عليه السلام هو المثل الأعلىٰ لرجال الإصلاح والتغيير في جميع الجوامع البشرية، ونبراسهم وقدوتهم.

لقد حققت النهضة الحسينية الخالدة الأهداف السامية، حيث خابت آمال بني أُمية ـ طغاة ذلك الوقت ـ وخفقوا في تحقيق أهدافهم المشؤومة في القضاء علىٰ الحق ومحق الدين وعجزوا في مقاومة تلك المواقف الحسينية الصارمة وتراجعوا أمام الصرخات الزينبية الخالدة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢٢ رقم ٢٨٤٢، تحف العقول: ٢٤٥، نثر الدر ١: ٣٣٧.

نعم، لقد نجحت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في اعادة المجتمع الإسلامي إلى شخصيته، والرجوع إلىٰ اصالته، بعد ما حاول الأمويون التلاعب بالدين والسيطرة علىٰ عقول المسلمين، حيث وقف الإمام عليه السلام ضدّهم، وأوقفهم عند حدّهم.

لقد اثمرت النهضة المباركة ثمارها وجنت قطوفها، حيث حرّكت الوجدان الجماهيري، وأيقظت الأمة من سباتها العميق، وخلّفت وراءها عدّة ثورات وحركات تتحدىٰ النظام الأموي، بل كلّ الأنظمة الظالمة، منها: ثورة التوابين، ثورة ابن الزبير، ثورة المختار، ثورة مطرف بن المغيرة، ثورة بن الأشعث، ثورة زيد بن علي، وغيرها.

والتي أدت هذه بمجموعها وعلىٰ رأسها نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته إلىٰ هزيمة الأمويين والتعجيل في سقوط دولتهم، وتحوّل الخلافة إلىٰ غيرهم.

الحسين عليه السلام والإنسانية:

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام وتضحياته الغالية من أجل الأهداف السامية كانت ـ ولا تزال ـ محطّ اعجاب جميع أحرار العالم علىٰ اختلاف مذاهبهم ودياناتهم.

يقول الكاتب المسيحي انطون بارا:

«الثورة التي فجرّها الحسين بن عليّ عليهما السلام في أعماق الصدور المؤمنة والضمائر الحرة هي حكاية الحرية الموؤدة بسكين الظلم في كلّ زمان ومكان وجد بها حاكم ظالم غشوم، لا يقيم وزناً لحريّة إنسان، ولا يصون عهداً لقضية بشريّة، وهي قضية الأحرار تحت أي لواء انضووا، وخلف أيّ عقيدة ساروا»[1]

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي لانطون بارا: ٢١ ط. الثانية ١٤٠٠ هـ الكويت.

انظر إلىٰ كلام هذا الكاتب المسيحي المنصف كيف يعبّر عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، تراه يعتبرها قضية عالمية تتخطىٰ الحدود الأقليمية والمذهبية والدينية، وينظر لها قضية انسانية ورسالة عالمية.

لقد أثّرت نهضة الإمام الحسين عليه السلام علىٰ الحس البشري وأخذت أبعادها، وانعكست قضاياها علىٰ الضمير الإنساني خُطباً، وكلمات، وكُتباً، ومقالات، وشعراً، ونثراً، فقد أثّرت علىٰ جميع أفراد البشر من علماء وشعراء وثوّار وكافة من لم تنعدم عندهم الروح الإنسانية...

الإمام الحسين عليه السلام رمزٌ لعظمة إنسجام الإنسان بما قدمه من فداء وتضحية في سبيل نصرة الحق ومقاومة الباطل، فظلت معركة عاشوراء تعلّم الأجيال معنىٰ الحرية والكرامة، فاعطت للإنسان شخصيته وزرعت الثقة بنفسه... ولم تترك مواقف سيد الشهداء عليه السلام البطولية قلباً إلّا ومسته، ولا فكراً إلّا وألهبته..

قال الكاتب المذكور ايضاً: «إن الحسين عليه السلام ضمير الأديان، ولولاه لاندرست كلّ الأديان السماوية، فالإسلام محمدي واستمراه حسيني وزينب سلام الله عليها هي الصرخة التي أكملت الجهاد والمحافظة علىٰ الدين»[1].

المواقف البطولية للأصحاب:

لقد ضرب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أروع المثل في التضحية والوفاء، حيث قال الإمام عليه السلام: «إني لا أعلم أصحاباً أولىٰ ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي»[2].

---

(١) الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: ٣٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٧، وانظر: مقاتل الطالبيين: ١١٢، والارشاد ٢: ٩١.

وهذا الكلام الصادر من قبل الإمام المعصوم عليه السلام له قيمته وثقله.

ونحن نعرف استناداً إلىٰ بعض النصوص أنّ أكثر شهداء واقعة كربلاء لم يكونوا من الناس العاديين، بل كانوا من الرجال ذوي الشأن في أوساطهم الاجتماعية، وكان الناس ينظرون إليهم باحترام.

ويدلنا علىٰ ذلك كلّه عمرو بن الحجاج الزبيدي أحد قادة الجيش الأموي، الذي نهىٰ في انذاره إلىٰ الجنود الأمويين عن قتال المبارزة مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، قائلاً:

«ويلكم يا حمقاء، مهلاً، أتدرون من تقاتلون؟ إنما تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين»[1].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: «قيل لرجل شهد يوم الطف مع ابن سعد: ويحك!! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: لو شَهدتَ ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، لقد ثارت علينا عِصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاربة، تُحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتُلقي بأنفسها علىٰ الموت، لا تقبل الأَمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود علىٰ حياض المنيّة، فلو كففنا عنها رويداً لأتت علىٰ نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين، لا أُمّ لك»[2].

كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يتهافتون علىٰ الموت ويتسابقون إليه تسابق الأبطال، ويتمنون الشهادة بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣١، الكامل فى التاريخ ٤:٦٧ ، وانظر انصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين: ١٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣: ٢٦٣.

من مثالب بني أمية:

قال المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) من علماء أهل السنة في كتابه النزاع والتخاصم حول مثالب بني أمية:

«فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته للنبي صلى الله عليه وآله وفي محاربته له، وعرفنا اسلامه كيف أسلم، وخلاصه كيف خلص، على انه إنّما أسلم على يد العباس رضي الله عنه، والعباس هو الذي منع الناس من قتله، وجاء به رديفاً[١] إلى النبي صلى الله عليه وآله، وسأل أن يشرفه وأن يكرمه وبنوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور، وخير غير منكور، فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً، وسمّوا الحسن، وقتلوا الحسين، وحملوا النساء على الأقتاب[٢] حواسر»[٣].

آفة الدين بنو أُمية:

روى نعيم بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٩ هـ)، بسنده عن النزال بن سبرة عن أبي الحسن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: سمعته يقول: «لكلّ أُمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أُمية»[٤].

وروى ايضاً ابن حماد بسنده عن علي بن علقمة الأنماري، قال سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «إنّ لكلّ شيء آفة تفسده، وآفة هذا الدين بنو آمية»[٥].

---

(١) الرديف: الراكب خلف الراكب.

(٢) الاقتاب: جمع قتب، والقتب الرحل الصغير على قدم سنام البعير.

(٣) النزاع والتخاصم: ٥٦، وراجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٤: ١٦٧٩.

(٤) كتاب الفتن: ٧٢، ط. دار الفكر بيروت.

(٥) راجع المصدر المذكور.

النزعة الالحادية لبني أمية:

روي عن الحسن أنّ أبا سفيان دخل علىٰ عثمان بن عفان حين صارت الخلافة إليه، فقال: صارت إليك بعد تَيْم وعَدِي[١] فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنّما هو الملك وما أدري ما جنة ولا نار، فصاح به عثمان:

قم فعل الله بك وفعل.

وقال المقريزي بعد أن نقل الخبر ما لفظه:

وأبو سفيان هذا، هو أبو معاوية ولم يزل بعد إسلامه يُعد هو وابنه (معاوية) من المؤلفة قلوبهم[٢].

وروىٰ أبو الفرج الاصفهاني بسنده عن ثابت عن الحسن، قال: دخل أبو سفيان علىٰ عثمان بعد أن كُفّ بصرُه،، فقال هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا، فقال: يا عثمان، إنّ الأمر أمر عالَميّة، والملكَ ملكُ جاهليّة، فاجعل أوتاد الأرض بني أميّة[٣].

---

(١) تَيْم: هو تيم بن مرّة بن كعب وبه سميت القبيلة التي ينسب إليها أبو بكر.
عَدِي: هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، وبه سميت القبيلة التي ينسب إليها عمر بن الخطاب.

(٢) النزاع والتخاصم: ٥٦، وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤: ١٦٧٩ ط. دار الجبل.
وقال أبو الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني ٦: ٣٥٦ بعد أن نقل بعض الاخبار الشنيعة عنه، أمثال الخبر المذكور: ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس يطول ذكرها.
أقول: لقد ذكر محقق كتاب الأغاني في الهامش بعد أن ضبط نص الخبر المذكور: الثابت في التاريخ الصحيح أن أبا سفيان أسلم وحسن إسلامه. فلعل هذه الأخبار ونحوها ما كان يفتريه الشيعة علىٰ معاوية وآل معاوية للنيل منهم والكيد لهم. نقول لهذا المحقق المحترم: إنّ مثل هذه الأخبار تنقلها كتب ابناء العامة، والشيعة ينقلوها عنهم، وينقلها ايضاً ممن لم يُتهم بمعاوية!!

(٣) الأغاني ٦: ٣٥٥.

وأبو سفيان جدّ يزيد المعروف بعداوته للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومبالغته في أذاه وتماريه في تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله تعالىٰ بالهدىٰ ودين الحق.

لقد بذل أبو سفيان جهده في الوقوف ضد النبي صلى الله عليه وآله، وبالغ في أذىٰ من اتبعه وآمن به.

قال النووي: إنّ أبا سفيان أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا هو الصحيح المشهور[1].

ولكن اسلامه كان ظاهراً للحفاظ على حياته.

هذا ابوسفيان!!

وامّا معاوية!! لا شك في أنّه كان من أقطاب الشرك والالحاد قبل فتح مكة سنة ٨ هجرية وهو من الطلقاء الذين عفىٰ عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله[2]، وقد أسلم فى الظاهر لا فى الباطن بعد فتح مكّة؛ للحافظ علىٰ حياته.

ولكن من يتتبع ما صدر منه في الأمور الاعتقادية التي أجمع أهل القبلة على ضرورتها، كالاعتقاد بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانّها أحد أُصول الدين، يقف على حقيقة معاوية.

وليس بوسع أحد أن يدافع عن معاوية في مثل هذا المقام؛ لأنّ عدم الايمان برسالة النبي صلى الله عليه وآله والاستهزاء بها مؤشر خطير علىٰ الكفر وعدم قبول الدين المبين.. وإليك أحد الشواهد على ذلك:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٨: ٢٣١.

(٢) أسلم معاوية وأبوه يوم فتح مكّة وكان من المؤلفة قلوبهم. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ١: ١٥٥.

وقال ابن قيّم الجوزية: إنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن أسلم بعدُ فإنّه أسلم عام الفتح بعد خيبر. انظر أحكام أهل الذمة ١: ٤٥٥.

روىٰ الزبير بن بكار في «الموفقيات» عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلتُ مع أبي علىٰ معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما رأىٰ منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننتُ انّه لأمر حدث فينا. فقلت: مالي أراك مغتّماً منذ الليلة؟ فقال: يا بنيّ جئت من أكفر الناس وأخبثهم؟ قلتُ: وما ذاك؟

قال: قلت له (معاوية) وقد خلوت به إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلىٰ اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك مما يبقىٰ لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات. أيّ ذكر أرجو بقاءه ملك تيم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتّىٰ هلك ذكره إلّا أن يقول قائل: أبو بكر.

ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتّىٰ هلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عمر.

وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلّ يوم خمس مرات «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» فأيّ عمل يبقىٰ؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك، لا والله إلّا دفناً دفناً»[1].

انّ هذه الرواية قد تضمنت شهادةً علىٰ معاوية أنه: يعيش النزعة الالحادية وهو باقٍ علىٰ شركه ومستخفّ بمقام النبي ﷺ ومستهزأً به، بالاضافة إلىٰ قطعه الرحم.

---

(١) الموفقيات: ٤٦٢ رقم ٣٧٥ ط. عالم الكتب بيروت تحقيق الدكتور سامى العاني.
وانظر: مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٥٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٢٩، النصائح الكافية لابن عقيل: ١٢٣.

والظريف انّ الشاهد هو «المغيرة بن شعبة» أحد المقربين لمعاوية وشريكه في كثير من الجرائم وبالأخص في سبّ وشتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو من ألد أعداء أهل البيت عليهم السلام.

ومع كلّ ذلك صرّح وتعجب من سلوك معاوية ووصفه بأنه: «أخبث الناس وأكفرهم».

ومن الجدير بالذكر: انّ المغيرة هو الطامع في ولاية العراق، ومن أجل أن يتملق إلىٰ معاوية ليعيده الى حكومة العراق بعد ما عزله منها اقترح على معاوية بولاية العهد ليزيد وسعىٰ لذلك بكل جهده وجدّه؛ حتىٰ يصبح السكّير يزيد خليفة للمسلمين!! واللافت للنظر المغيرة نفسه يعترف بالآثار المشؤومة لخطته هذه حيث قال: «فتقت علىٰ أمّة محمّد صلى الله عليه وآله فتقاً لا يرتق أبداً»[1]. نعم، مع ذلك هذا الشخص يتعجب مما صدر من معاوية من خبثه وكفره.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي عند ذكره بعض أخبار معاوية:

«وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا علىٰ تفسيقه، وقالوا عنه إنه كان ملحداً لا يعتقد النبوّة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدلّ علىٰ ذلك»[2].

ولقد روىٰ الزبير بن بكار في «الموفيقات» هذا الخبر وهو غير متهم[3] علىٰ معاوية، ولا منسوب له اعتقاده بالشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ عليه السلام، والانحراف عنه.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ٥: ١٢٩.

(٣) قال ابن عقيل الشافعي بعد ذكر الخبر: الزبير بن بكار هذا قاضي مكّة وهو مشهور في المحدّثين ومن رواة الصحيح، وهو غير متهم علىٰ معاوية. راجع النصائح الكافية.

أربع خصال كنّ في معاوية:

جاء في كتاب «الموفقيات» للزبير بن بكار (ت ٢٠٦ هـ): ورواه جميع الناس ممن عُني بنقل الآثار والسير عن الحسن البصري:

«أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم يكن فيه إلّا واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتّى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوا الفضيلة. واستخلافه بعده ابنَه يزيد، سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير. وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحَجر، وقتله حجر بن عدي وأصحاب حجر»[١].

معاوية وتغيير السّنة النبوية:

روى النسائي في سننه في كتاب الحج تحت عنوان «التلبية بعرفة»: بسنده عن سعيد بن جُبير قال: كنتُ مع ابن عباس بعرفات فقال مالي لا أسمعُ النّاس يُلبونَ قلتُ: يخافون من معاوية، فخرج ابن عباس من فُسطاطه فقال: لبيكَ اللّهم لبيك لبيك، فإنّهم قد تركُوا السُّنة من بُغض عليّ.

وعلّق السيوطي على هذا الحديث قائلاً: وبهذا ظهر منشأ الخلاف بين العلماء في التلبية في عرفات، وظهر أن الحق مع أي الفريقين. وقال أيضاً (من بغض علي): أي لأجل بغضه، أيّ وهو كان يتقيد بالسنن، فهؤلاء تركوها بغضاً له[٢].

---

(١) الموفقيات: ٤٦٠، وانظر: تاريخ الطبرى ٤: ٢٠٨، الكامل في التاريخ ٣: ٤٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٢.

(٢) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ٥: ٢٥٣ ط. دار احياء التراث العربي بيروت.

وقريب مما رواه النسائي جاء في سنن البيهقي:

روىٰ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) بسنده عن سعيد بن جبير، قال: كنا عند ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبون، فقلت: يخافون معاوية، فخرج ابن عباس من فُسطاطه فقال: لبيك اللّهم لبيك وإن رغم أنف معاوية، اللّهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض عليّ رضي الله عنه[١].

الحكومة الأموية والثقافة الإسلامية:

انّ الشخص المنصف الذي يطالع كتب السير والتاريخ يصل إلىٰ نتيجة واضحة ليس عليها غبار، وهي: الحكومة الأُموية بقيادة معاوية قد استخدمت جميع العوامل السياسية والاعلامية والمالية والعسكرية للقضاء علىٰ أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ومحبيهم مهما أمكن. وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام برز هذا الأمر بشكل واضح وملموس.

والأعظم من ذلك خطراً قد وصلت ايديهم إلىٰ الثقافة الإسلامية، حيث وجهوا لها ضربات شديدة، كانت من آثارها حدوث واقعة كربلاء، وما بعدها من المآسي والفواجع، فعمدت الحكومة الأموية إلىٰ وضع أحاديث كثيرة عن لسان بعض الصحابة أمثال أبي هريرة، مع التركيز علىٰ افراغ الثقافة الاسلامية الأصيلة من محتواها، وجعلها منسجمة مع مصالح النظام الأموي الحاكم وإبعاد الناس عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ومحاربة أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب وسبّه علىٰ منابر المسلمين[٢].

---

(١) سنن البيهقي ٥: ١١٣.

(٢) راجع حول سب الامام علي عليه السلام على منابر المسلمين شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ٤: ٥٦، فصل فيما روي عن سبّ معاوية وحزبه لعليّ.

ولو تتبعنا كتب الحديث عند بعض المسلمين ومن صحاح وسنن، سنقف على كمٍ هائل من الأحاديث تنقل عن أبي هريرة مثلاً، الذي عاقبه عمر بن الخطاب لسرقته من بيت المال، عندما كان عامله في البحرين[١].

وقد قام العلّامة المحقق السيد عبدالحسين شرف الدين بدراسة علمية وعميقة حول روايات أبي هريرة، حيث قال ضمن دراسته هذه:

«وقد نظرنا في مجموع ما روي من الحديث عن الخلفاء الأربعة، فوجدناه بالنسبة إلى حديث أبي هريرة وحده أقل من السبعة والعشرين في المائة»[٢].

انّ هذه النسبة من الأحاديث التي اختص بها هذا الراوي من بقية الصحابة، والذي لم يصحب النبي ﷺ إلّا في آخر حياته الشريفة ولمدة سنتين فقط!!

انّ التأمل في مثل هذه الأمور يقودنا إلى اثارة الشكوك الكثيرة في الدوافع التي أدت إلى ذلك...

فكان وضع الحديث على عهد معاوية حرفة منمّقة، يتّجر بها كلّ متزلّف إلى تلك الدولة وعمّالها، وكان لأُولئك المتزلّفين المتّجرين لباقة في تزويق تجارتهم وترويجها، لا يشعر بها ـ على عهدهم ـ إلّا أُولوا البصائر النافذة، والأحلام الراسخة، وقليل ما هم، وكان من ورائهم من يرفع ذكرهم من الخاصّة، ويروج حديثهم من حفظة السنن المستأجرين، وحملة العلم المتزلّفين»[٣].

راجع كتاب «أبو هريرة» للسيّد شرف الدين العاملي، وأضواء على السنة المحمدية، وشيخ المِضِيرة للأُستاذ الشيخ محمود أبو ريّة من علماء الأزهر

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٤٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٣٣٥.

(٢) أبو هريرة (ضمن موسوعة السيد شرف الدين) ٣: ٥٨. فصل فيما روى في كمية حديثه.

(٣) راجع «أبو هريرة» (ضمن موسوعة السيد شرف الدين) ٣: ١٦٣. فصل فيما روى في كيفية حديثه.

الشريف، وكذلك صدر مؤخراً كتاب «أكثر أبو هريرة» للدكتور مصطفىٰ بوهندي، عند مراجعتك إلىٰ هذه الكتب وغيرها؛ ستقف علىٰ أُمور تعجب منها.

المقابلة والمناقضة:

لقد لخص المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) المقابلة التي بين الهاشميين والأمويين في هذين البيتين:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفىٰ، وابن هند لعلي، وللحسين يزيد[1]

انَّ معسكر الإمام الحسين عليه السلام يقف مقابل خصمه معسكر يزيد موقف المقابلة والمناقضة لا موقف المقارنة والمعادلة.

المشكلة الأصلية:

عند دراسة المجتمع الاسلامي بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله بشكل عام وبعد شهادة الإمام علي عليه السلام بشكل خاص، حيث بعد شهادته انتهت حكومته المتمثلة بالعدل، والقائمة علىٰ أساس الدين.

نرىٰ قد واجه عصر الإمام الحسين عليه السلام مشكلة أصلية، وهي أنَّ المجتمع الاسلامي قد تأثّر كثيراً بالتربية الأموية التي دامت عشرين سنة من حكومة معاوية، وحرفت العالم الاسلامي عن مساره الأصلي، حيث تربىٰ المجتمع آنذاك علىٰ التربية المادية والبعيدة عن الروح الاسلامية، والتي سعىٰ معاوية بكامل جهده لغرسها في نفوس المجتمع الاسلامي؛ حتّىٰ يتمكن من السيطرة علىٰ الناس

---

(١) النزاع والتخاصم: ٥٩، وانظر أبو الشهداء للعقاد: ١١٩، ١٢٠.

والمحافظة على كرسيه وسلطانه، وهذا ما أعلنه صراحة في أحد خطبه التي كشفت عن سريرته وواقعه:

ورد عن سعيد بن سويد قال: «صلّى بنا معاوية الجمعة بالنخيلة في الضحى، ثمّ خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون»[1].

فالمشكلة الأساسية كانت في تسلط أمثال معاوية على رقاب المسلمين وتربيتهم التربية التي تنسجم مع عقائد الخليفة الحاكم، والذي يكون هدفه الأول والأخير استعباد الناس والاستمرار بالسلطة؛ لذا برزت شرائح كبيرة من المجتمع متأثرة بسلوك بني أمية المنحرف عن الإسلام، وهذا مما دعا سيد الشهداء عليه السلام أن ينهض بالنهضة المباركة.

وأساساً انّ بني أمية اغتصبوا الخلافة وأفرغوا الاسلام من محتواه، ودفعوا بالمجتمع الإسلامي إلى هاوية الانحراف والانحطاط، حيث استخدموا الظواهر الاسلامية لقتل الاسلام الأصيل. فانّهم شمّروا عن سواعدهم منذ اللحظات الأُولى لاستلامهم الخلافة اتّباع سياسة التنكيل والتخريب ومحاربة مدرسة الإمام عليّ عليه السلام الذي يحتّل الخط الأصيل لمنهج الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، والفضائل التي سمعها المسلمون في حق الإمام علي عليه السلام هي وحدها أعظم شاهد على منزلة هذا الرجل العظيم ومكانته من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وحتى الأعداء من بني أمية وغيرهم يعترفون بذلك، ولكن أخذوا بتربية الناس على سبّه وشتمه؛ حتى يستقيم سلطانهم وحكومتهم بذلك!!

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٠، شرح نهج البلاغة ١٦: ٤٦، الارشاد ٢: ١٤.

وهناك العديد من الشواهد التاريخية التي نقلها علماء المسلمين علىٰ هذا الواقع المرّ، منها:

انّ مروان الذي لعنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كان يشتم عليّاً عليه السلام في احدىٰ خطبه، فقال له الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام: «ويلك يا مروان! أهذا الذي تشتم شرّ الناس؟ قال: لا، ولكنّه خير الناس»[١].

وأيضاً انّ مروان بن الحكم هذا المعروف بعداءه الشديد للإمام علي عليه السلام فانّه يصرّح بالهدف الحقيقي من سب ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله مع اعترافه بفضله، حيث قال له الإمام السجاد عليه السلام: فما بالكم تسبونه علىٰ المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[٢].

وهنا شاهد آخر ينقله عمر بن عبدالعزيز أفضل خليفة أموي نسبياً، حيث كان يروي سبب منعه لسب أمير المؤمنين عليه السلام عند توليه الخلافة، حيث ذكر أمرين:

أحدهما: انّه كان يسب الإمام عليه السلام مع بقية الصبيان، فسمعه استاذه أحد أولاد عتبة بن مسعود فاعترض عليه بشدّة وبيّن له مواقف الإمام علي عليه السلام يوم بدر وغيرها، وأخذ منه العهد بعدم السب.

والأمر الآخر: انّه كان تحت منبر أبيه وهو يخطب بعنوان خليفة المسلمين!! فلمّا وصل إلىٰ لعن الإمام علي عليه السلام ـ كعادته في الخطبة ـ تلعثم لسانه بعض الشيء، فاعترض عليه ابنه عمر بعد انتهاء الخطبة قائلاً له: فما بالي أراك أفصح خطيب حتىٰ إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن؟! فقال: يا بنّي إن من ترىٰ تحت

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٢٠، تاريخ دمشق ٤٢: ٤٣٨.

منبرنا من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتّبعنا منهم أحد.

ثمّ قال (عمر بن عبد العزيز): فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي استاذي أيام صغري، فاعطيت الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيّرنه، فلمّا منّ الله عليّ بالخلافة أسقطت ذلك[١].

لقد نشأ عمر بن عبدالعزيز في بيتٍ أموي يبغض الامام عليّ عليه السلام ويعلن سبّه على المنابر، ولكن استاذه عبيدالله بن عبد بن عتبة المسعودي مؤمناً يكتم ايمانه قد اغتنم الفرصة، وأنار لتلميذه الطريق وعرّفه بمكانة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ رأى عمر ما صدر من فيه أبيه ما يؤكد كلام استاذه، فشعر عمر من تلك اللحظة انّ الإمام عليّ على الحق وبني اُميّة على ضلالة ولمّا تهيأ له الظرف المناسب أسقط اللعن، وجعل مكانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٢].[٣].

وكتب ذلك الى الآفاق فصار سنة حسنة.

آراء بعض الكتّاب حول الدولة الاموية:

قال المقريزي في رسالته: يا عجباً! كيف يستحق خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله على أمته شرعاً من لم يَجْعل له حقاً في سهم ذي القربى؟ أم كيف يُقيم دين الله من قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله، ونابذه، وكايده، وبذل جهده في قتله؟ ثم قال: وليت إذا وُلّي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ٤:٥٨ ـ ٥٩، وانظر الشيعة والحاكمون :١٠٦.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) انظر الشيعة والحاكمون: ١٠٦، ١٠٧.

بنو أمية عدلوا أو انصفوا، بل جاروا في الحكم وعَسفُوا، واستأثروا بالفئ كلّه...»[١].

وقال الأُستاذ الكاتب المصري محمود أبو رَيَة في كتابه «شيخ المِضيرة أبو هريرة» بعد أن تعرض لبيان واقع معاوية بن أبي سفيان:

«حسبنا ما قدمنا من أدلة علىٰ بيان حقيقة أمر معاوية وكيف كان يحكم، وما جناه حكمه الظالم علىٰ الناس وعلىٰ الإسلام إلىٰ يوم القيامة. وكان لنا أن نجتزئ بما دون ذلك من بيان، لأنّ كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغي، ولكنا اضطررنا إلىٰ شيء من الإطالة والاستطراد، لأنه لما يزل يوجد أناس في عصرنا تحطب في حبله، وتمارى في بغيه وظلمه، وتتبجح بالقول بأن دولته كانت (أعظم دولة عرفها الإسلام)! وإذا نهض منصف ليبين شيئاً من صحيح تاريخه تصدّوا له بالشتم والسب ووصفوه بأنّه (شيعي)، والتشيع في رأى هذه الفئة الحمقاء نبز لقوم ليسوا بمسلمين»[٢].

وقال الكاتب المصرى المذكور ايضاً:

«ولما آل الحكم بالوراثة الاستبدادية إلىٰ يزيد بن معاوية الذي ورث البغي والظلم والحقد عن أبيه وجدّه وسائر قومه، واجتمعت فيه كل خصال الأموية الذميمة وطباعها الأثيمة، أخذ يتمم سياسة أبيه وجده، فأرصد بغيه إلىٰ السبط الثاني وهو الحسين رضي الله عنه، وكان يخشاه أشد خشية، لأنه أحق وأجدر بالخلافة منه ومن أبيه، وسولت له نفسه أن يرتكب معه أبشع جريمة تقشعر منها الأبدان[٣].

---

(١) النزاع والتخاصم: ٦٨.

(٢) شيخ المِضيرة أبو هريرة: ١٩٠، ط. دار المعارف مصر الطبعة الثالثة.

(٣) شيخ المضيرة أبو هريرة: ١٧٧.

وقال في موضع آخر: فوقف معاوية زعيم الفئة الباغية من عليّ، موقف أبي سفيان من النبي ﷺ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جدّه من النبي ﷺوموقف أبيه من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وراجع كتاب «شيخ المضيرة أبو هريرة» لمحمود أبو رية فصل في الصفحة ٢٠٩ تحت عنوان: كيف اتصل أبو هريرة بدولة بني أمية؟ لاحظ في هذا الفصل كيف وطأ أبو هريرة لحكومة بني أُمية ودعمهم بالأحاديث الموضوعة ولاحظ كيف دعمهم وساندهم بأحاديثه الكاذبة من أجل دعم بناء دولتهم الناشئة التي قد أقاموا بناءها على قواعد الدهاء والحيلة والظلم والبغي.

قال العلائلي الكاتب المصري: «ثبت لمفكري المسلمين عامة في ذلك الحين أن يزيد بالنظر الى خلقه الخاص وتربيته ذات اللون المتميز، سيكون أداة هدامة في بناء الحكومة والدين معاً، وعدّوا ولايته منكراً كبيراً، لا يصح للمسلم السكوت معه أبداً ومن واجبه الانكار. اذن فحركة الحسين عليه السلام لم تكن في حقيقتها ترشيحاً لنفسه بل للانكار على ولاية يزيد أولاً وبالذات، بدليل قول الحسين عليه السلام للوليد لما طلبه: «انّ يزيد فاسق مجاهر لله بالفسوق ومثلي لا يبايع مثله»[٢].

وانظر ما ذكره كتّاب أهل السنة فيما يخص معاوية والدولة الأموية منهم: ابن رشد الحفيد في كتاب ابن رشد وفلسفته لفرح أنطوان، وقد توفى ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ وكذلك أحمد أمين المصري في كتابه ضحى الإسلام ج ١ ص ٢٧ والاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (معاوية في الميزان) ص ١٥، ٢٠، ٦٤.

---

(١) المصدر السابق: ١٨٠.

(٢) انظر: الامام الحسين عليه السلام (للعلايلي): ٦٢.

يزيد:

ولكي نفهم مصرع الحسين عليه السلام يلزمنا أن نعرف مَنْ يزيد؟ ومن هم حكّام بنى امية؟

لقد كان الطاغية يزيد فاجراً، مستهتراً بجميع القيم والأعراف، ومنغمساً في ملذاته وشهواته وغارقاً في الخطايا والمعاصي، يقول فيه المسعودي:

«كان يبادر بلذته، ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطأه، ويهون الأمر على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه...»[١].

وقال ابن دُقماق: «إنّ يزيد أول من اتخذ المغاني والندماء»[٢].

أخرج الرؤياني في «مسنده» عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أول من يبدّل سنتي رجل من بني أميّة يقال له يزيد»[٣].

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة يزيد: «وكان ناصبياً، فظّاً، غليظاً، جِلْفاً، يتناول المُسْكِرَ، ويفعل المُنْكر، افتتح دولته بمقتل سيد الشهداء الحُسين، واختتمها بواقِعة الحَرّة، فمقته الناس، ولم يُبارك في عُمُرِه، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين عليه السلام ..»[٤].

وكانت أيام حكومته وتوليه السلطة ـ بدون حق ـ من أعظم الأخطار التي واجهته الأمة الإسلامية آنذاك بحيث أخلد للمسلمين المصاعب والمشاكل،

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٦٥، ط. دار صعب ـ بيروت.

(٢) راجع الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ١: ٧٩.

(٣) أخبار الدول (للقرماني) ٢: ١٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٧.

وقوله ناصبياً: وهم المنافقون الذي عرُفوا ببغضهم للإمام عليّ عليه السلام وسموهم بذلك؛ لأنهم نصبوا له العداوة.

وألقاهم في كوارث عظيمة، وترك لهم المآسي والآلام على امتداد التاريخ، وعلىٰ رأسها قتل سيد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام، وقتل أهل بيته وأصحابه، واباحته مدينة الرسول ﷺ، وحرقه لبيت الله الحرام.. وغيرها من المصائب والمحن التي اعترف بها جميع أهل التاريخ والسير وعلىٰ اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

نشأة يزيد:

من الامور التي يجب أن نعرفها عن يزيد: نشأته المسيحية، أو بالأحرى التي كانت أقرب الى المسيحية.

يبدو مستغرباً، بادئ ذي بدء، أن نعرف أن يزيد نشأ نشأة مسيحيّة تبعد كثيراً عن عُرف الاسلام وتزيد بالقارئ الدهشة الى حد الانكار ولكن لا يبقى في الأمر ما يدعو الى الدهشة اذا علمنا أن يزيد يرجع بالامومة الى بني كلب التي كانت تدين بالمسيحية قبل الاسلام... والتاريخ يحدّثنا أن يزيد نشأ فيها في دور الشباب أو حتّى جاوز دور الطفولة، ومعنى هذا أمضى الدور الذي هو محط أنظار المربين وعنايتهم، وبذلك ثبت على لون من التربية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع[1].

فسوق يزيد وعماله:

كان يزيد بن معاوية صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة علىٰ الشراب، وجلس ذات يوم علىٰ شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد مقتل

---

(١) انظر: الامام الحسين عليه السلام (للعلايلي): ٥٨ ـ ٥٩.

الحسين عليه السلام، فأقبل على ساقيه فقال:

اسْقِني شَرْبةً تروّي مُشاشي ثمّ مِلْ فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السّر والأمانة عِندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا به!!

وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يحضره مجلس منادمته..[١].

وليزيد أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة: من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله ولعن الوصي، وهدم البيت الحرام وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور، وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه[٢].

قالت: سكنية بنت الإمام الحسين عليه السلام: «والله ما رأيتُ أقسى قلباً من يزيد، ولا رأيتُ كافراً ولا مشركاً شراً ولا أجفا منه»[٣].

يزيد الذي تشبّع بالرذلائل والموبقات والذي انعدمت فيه القيم الأخلاقية والطبع السليم، حيث نشأ في حجر والده الفاقد لقواعد الأخلاق والقيم الانسانية، وقد وفّر له الفرص الكافية للخوض في مستنقع الرذيلة والانحطاط الخلقي. يزيد تربى على الفسق حتى تشرّب قلبه، وغمرت السيئات جميع خلايا جسمه، ولقد اعترف بفسقه وفجوره من كتب عن حياته حتى اولئك أصحاب النزعة الأموية.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٦٧ طبعة دار الهجرة ـ قم.

(٢) المصدر السابق ٣: ٧٢.

(٣) الأمالي للصدوق: ١٤١ ح ٣ المجلس ٣١، عنه المجلسي في البحار ٤٥: ١٥٥ ح ٣.

جاء في البداية النهاية لابن كثير: «انّ يزيد كان قد اشتهر بالمعازف، وشرب الخمر، والغناء، والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش، وكان يشدّ القرد على فرس مسرجه بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب»[١].

قال الجاحظ: المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين، وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعه ثنايا الحسين بالعود، وإخافته أهل المدينة، وهدمه للكعبة المشرفة، تدل على القسوة، والغلظة، والنصب، والحقد، والبغضاء، والنفاق، والخروج عن الايمان، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن شتم الملعون ملعون[٢].

ونقل الذهبي عن زياد الحارثي قال: سقاني يزيد شراباً ما ذقتُ مثله، فقلتُ: يا أمير المؤمنين لَمْ أسَلْسِلْ مثل هذا. قال: هذا رُمّانُ حُلْوان، بِعَسَل أصْبَهان، بسُكّر الأهواز، بزبيب الطائف، بماء بَرَدى[٣].

وعن محمّد بن أحمد بن مِسمع، قال: سكِرَ يزيد، فقام يرقصُ، فسقط على رأسه فانشقَّ وبدا دماغه[٤].

نعم، الذهبى الذي عُرف بنزعته الأموية وتحيزه إلى بني اُمية، ولكن مع ذلك اضطر أن ينقل عن واقع يزيد، الذي نصّبه معاوية بعنوان خليفة للمسلمين!!

هذه لمحة خاطفة واشارة عابرة إلى ما كان عليه يزيد، وهي مع ذلك تكون كافية في تصوير واقعه السئ، وسلوكه المنحرف.

---

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٤٤.

(٢) رسائل الجاظ: ٣٩٨، الرسالة الحادية عشر في بني أمّية.

(٣) سير اعلام النبلاء ٤: ٣٧. وانظر تاريخ دمشق ١٩: ٢٤٤،

(٤) سير اعلام النبلاء ٤: ٣٧.

من جرائم يزيد:

من جرائم اللعين يزيد قتله سبط النبى صلى الله عليه وآله الامام الحسين عليه السلام، وحرق الكعبة، وواقعة الحرة و...

واقعة الحرّة:

لقد اتفق أهل المدينة على خلع يزيد، وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان منها، فجهز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا ظفر بها أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء ويأخذون الأموال، وأن يبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد وإذا فرغ يسير إلى مكة[١].

فنفذ مسلم ذلك وهجم على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وفعل ما فعل من الجرائم بحق أهلها...[٢].

مَنْ أخاف أهل المدينة:

وردت أحاديث تتضمن اللعنة على مَنْ أخاف أهل المدينة، جاء في مصنف أبي شيبة في كتاب فضائل المدينة:

حدثنا ابن نمير، عن هشام بن هاشم، عن عبدالله بن نِسطاس، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أخاف أهل المدينة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً، من أخافها فقد أخاف ما بين هذين»: ما بين جنبيه صلى الله عليه وآله[٣].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥.

(٢) انظر على سبيل المثال تاريخ ابن الوردي ١: ١٦٥، وغيره من المصادر.

(٣) مصنف أبي شيبة ١٧: ٣١٤ ح ٣٣٠٩٤ طبعة شركة دار القبلة تحقيق محمد عوّامة.

وقال محقق الكتاب عن هذا الإسناد انّه: صحيح.

ولقد ذكر الألباني في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة» مصادر الحديث وطرقه، واعترف بصحّة الحديث في أكثر من موضع[١].

ويزيد الذي قام بارتكاب المجازر الرهيبة في المدينة وذلك في واقعة الحرة، وقد ذكرت كتب التاريخ والسير الجرائم العظيمة بحق أهل المدينة وغيرها، ألا يكفى ذلك في صدق من أخاف أهل المدينة عليه! هذا بالاضافة إلىٰ جرائمه الأُخرىٰ من قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وهدم الكعبة.

بنو أمية بين الحيلة والغباء:

من أحد الأساليب التي استعملها معاوية للوصول إلىٰ السلطة والبقاء فيها مدة طويلة، هو ذلك الاسلوب الخاص الذي انتهجه في خداع الأمة الإسلامية، ولذلك كسب الكثير من المسلمين وتمكن من السيطرة عليهم، فكان يضفي الصبغة الإسلامية عليه. ومن مكره وحيله كان يلقي اللوم والمسؤولية علىٰ غيره ويتنصل عن جرائمه لكي يوهم الأمة الاسلامية بذلك، كما حدث في قتل عمّار في حرب صفين.

فإنّ معاوية بدهائه السياسي وتجاربه الكثيرة في محاربة الدين جعلته يعلم بأنّ بقاء حكومته بالتستر علىٰ واقعه والتمسك بالظواهر الإسلامية، مستعيناً بالغدر والحيلة.

ولقد افصح إمام المسلمين ـ بحق ـ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في العديد من خطبه ورسائله عن ذلك، كما في قوله عليه السلام:

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٣٨٢ رقم ٢٣٠٤ طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض.

«والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس»[١].

معاوية وإن كان بعيداً كلّ البعد عن القيم الدينية والأخلاقية، ولكنّه كان يتستر على أعماله وجرائمه قدر الإمكان، ويتجنب ابرازها والتظاهر بها خوفاً على مكانته وسلطانه.

فكان يسلك كلّ الطرق الملتوية كالغدر والمكر والكذب وقتل الأولياء بالخفاء عن طريق السم[٢] وأمثال ذلك؛ للتخلص من خصومه ومعارضيه، فمصلحة معاوية كانت تتطلب المراوغة والنفاق والتوسل بالأساليب المتنوعة التي تبقيه تحت طور الكتمان وابعاده عن الجهر والاعلان.

ولكن بعد أن تولى الحكم ابنه يزيد. ذلك الشاب الطائش المتهور، الذي جمع بين الغباء والتهتك، قد فضح نفسه والحكومة الأموية بغروره وغطرسته، ورفض أن يسير على نهج أبيه بالتمسك بالظواهر والتستر على الجرائم، فتعرّف الناس بنهجه وسلوكه على واقع بني أمية، ومدى كفرهم ونفاقهم، وأزاح الستار عن حقيقتهم وواقعهم، كلّ ذلك في السنة الأُولى التي وصل فيها إلى الحكم، فهدّم ما بناه وسعى إليه أبوه معاوية خلال أربعين سنة، حيث قام بارتكاب المجزرة العظيمة في كربلاء التي كشفت للناس جميعاً ماهية الحكومة الأموية الفاسدة، التي صدمت الأمة بجريمتها النكراء هذه، والتي جرحت عواطف المسلمين، وحاربت مشاعرهم، حيث قتلوا سبط الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه، ولم يكتفوا بذلك

---

(١) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ٢: ١٨٠ طبعة دار الذخائر.

(٢) كما حدث ذلك في قتله لمالك الأشتر والإمام الحسن المجتبى عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة، راجع مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤١٠، مقاتل الطالبيين: ٥٠ و ٧٣، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٦: ٢٩.

فحسب، بل أخذوا أهل بيت النبوة أسارىٰ مقرنين بالحبال، يطوف بهم أعوان يزيد من بلدٍ إلىٰ بلد، حتّىٰ ادخلوهم الشام في احتفال عام، وأخذ الرجس يزيد بضرب ثنايا السبط الشهيد أمام الملأ من المسلمين. والأنكىٰ من ذلك انشاده الأشعار المعروفة التي تعبّر عن كفره وزندقته.

بعد هذه الاشارة السريعة، لعلنا ندرك احد الأسباب في عدم قيام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته في زمن معاوية لأنه لو كان قد نهض في ذلك الوقت لم يكن لنهضته الأثر المطلوب؛ لأنّ معاوية يستعمل أنواع الحيل والمكائد لتغيير الأمر لصالحه، ويتخذ أنواع المكر والخداع لتضليل الأمة الاسلامية للحفاظ علىٰ سلطنته وكرسيه.

وإن كان الشبه تاماً من جميع الجهات بين يزيد وأبيه معاوية من حيث الظلم والمخزيات؛ لأنّ المبدأ واحد والعداء لله ولرسوله ولأهل بيته ينفذّه كلّ واحد منهما حسب مقدرته واسلوبه، مرّة بالحيلة وأُخرىٰ بالطيش والغباء.

السيرة العملية لخلفاء بني أمية:

لقد كان الشرب والسكر والاستهتار وارتكاب انواع المعاصي سنة جارية في قصور خلفاء بني أمية؛ يرثها الخلف عن السلف، وكان ذلك أمراً شائعاً عندهم حيث مارسوا هذه الأعمال القبيحة والمعاصي المنكرة بمرأىٰ وبمسمع من المسلمين، وكتب التاريخ والسير مشحونة بثبت مثل هذه الأعمال في صحائفهم، وتعتبر من العناوين البارزة في تراجمهم:

يقول الجاحظ: «وكان يزيد لا يمسي إلّا سكراناً ولا يصبح إلّا مخموراً، وكان عبدالملك بن مروان يسكر في كلّ شهر مرّة حتّىٰ لا يعقل في السماء هو أو الماء، وكان الوليد بن عبدالملك يشرب يوماً ويدع يوماً، وكان سليمان بن

عبدالملك يشرب في كلّ ثلاث ليال ليلة، وكان هشام يشرب في كلّ جمعة، وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشراب، فأما يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالتي سكر وخمار ولا يوجد أبداً إلّا ومعه احدىٰ هاتين، وكان مروان بن محمّد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت»[١].

نعم، هذه السيرة العملية لخلفاء بني أمية الذين يحكمون الممالك الإسلامية!!

التحذير من السكوت:

يرىٰ الإمام الحسين عليه السلام السكوت عن يزيد تعطيلاً لحكم الله، وقضاءً علىٰ سنة الرسول صلى الله عليه وآله وترويجاً لفسق يزيد...

قال الإمام الحسين عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رأىٰ منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا بقول كان حقاً علىٰ الله أن يدخله مدخله»[٢].

لقد جاء التحذير من فسح المجال لخلفاء الجور والضلال من التسلط علىٰ رقاب الأمة والسكوت علىٰ أعمالهم وعدم الاعتراض عليهم قولاً أو فعلاً؛ فانّ ذلك سيؤدي إلىٰ نتائج خطيرة وعواقب سيئة.

قضية الامام الحسين عليه السلام:

في قضية الإمام الحسين عليه السلام حجج بالغة برهنت علىٰ أنّ النظام الأموي

---

(١) التاج في أخلاق الملوك: ١٥١.

(٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٠٤، تاريخ ابن الاثير ٤: ٤٨ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٤. البحار ٤٤: ٣٨٢.

بقيادة يزيد هو الامتداد الواقعي للحزب السفياني الخاسر المنكسر الذي كان يعمل ليلاً ونهاراً ضد الرسول الأكرم ﷺ وللقضاء على دعوته المباركة، فاندفع بكل قواه إلى معارضته، ففعل ما فعل في مقاومة النبي ﷺ واهانته، وجمع الناس لمحاربته، وأيام بدر وأُحد من الأمثلة على ذلك.

والان بعد أن ظفر حفيدهم بالنصر المزيف الذي أعلن التشفي من الرسول ﷺ والانتقام منه، وأخذه ثارات بدر وأحقادها، إذ تمثّل بقول ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وأضاف عليها:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل[1]

فهذا هو الكفر الصريح، الذي ينطق به خليفة المسلمين يزيد!!

وقد كشفت هذه الابيات ايضاً عن العقيده الجاهلية له.

الآثار السلبية لخلافة بني أمية:

لقد وقف بنو أمية فترة من الزمن مقابل الإسلام وحاربوه بكل جهدهم وقواهم، وبعد أن يأسوا من ذلك أعلنوا إسلامهم الظاهري للحفاظ على حياتهم. ومع شديد الأسف وصلت الأُسرة الأموية هذه بعد فترة وجيزه إلى الخلافة الإسلامية وتولوا زمام الأمور، وأخذوا يوجهوا الضربات القاسية إلى المجتمع الإسلامي وتركوا نتائج سلبية خلّفت وراءها مأساة قاسية، تمخضت عن آثارٍ

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزى: ٢٣٥، الاحتجاج للطبرسى ٢: ١٢٢ - ١٢٣.

مؤلمة، فنشير ـ هنا ـ اشارة سريعة إلىٰ أهم عناوينها:

١ ـ تحريف الفكر الإسلامي عن طريق وضع الأحاديث لأجل تغيير المفاهيم والأفكار والقيم الإسلامية، مع اختلاق المناقب والفضائل لبعض الأفراد من أجل اظهارهم بالصبغة الإسلامية. وهذه الظاهرة كادت تشكل الخطر الكبير علىٰ الدين لولا وقوف أئمة أهل البيت عليهم السلام أمامهم وفضح أساليب النظام الأموي الحاكم.

٢ ـ عودة مجموعة من الشخصيات الجاهلية إلىٰ مراكز الحكم والسلطان في المجتمع الإسلامي، بعد أن حاربوا الإسلام طويلاً.

٣ ـ النيل من رسول الله صلى الله عليه وآله والانتقاص من مكانة النبوة، وسب وصي النبي صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام وشتمه علىٰ منابر المسلمين منذ تأسيس الدولة الأموية وإلىٰ زمن عمر بن عبدالعزيز حيث رفع هذا الأمر.

٤ ـ القضاء علىٰ روح الاعتراض والمقاومة واستعمال القتل والإرهاب بحق كل من خرج عن سلطان الدولة الأموية.

٥ ـ محاربة خط أهل البيت عليهم السلام واتباع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والاسراف في قتلهم ومحاربتهم.

٦ ـ نشر الفساد واللهو في المجتمع الإسلامي عن طريق اشاعة الطرب والغناء وشرب الخمور.

٧ ـ الافساد المالي حيث استخدم بنو أمية بيت مال المسلمين لنشر سلطانهم، وسّعوا علىٰ من يريدون وضيقوا علىٰ مَنْ خالفهم بالرأي والسلوك[1].

---

(١) للمزيد من الاطلاع راجع تأملات في زيارة وارث (خلفيات ثورة الإمام الحسين عليه السلام) للشيخ محمد مهدي الآصفي: ١٦٠.

الحقد الجاهلي:

لقد برز الحقد الجاهلي واضحاً في معركة الطف؛ وذلك من خلال الأعمال الاجرامية التي قام بها الجيش الأموي والتي كانت تخالف روح التعاليم الإسلامية، بل الإنسانية، حيث انّ اولئك الطغاة الأوغاد قاموا بقتل ابن رسول الله ﷺ ثم قطعوا اصبعه، واحتزوا رأسه ورفعوه فوق الرمح، وإلىٰ غير ذلك من الأعمال الاجرامية التي شهدتها معركة الطف، من قتل الشيوخ والأطفال، وسبي النساء، وضربهنّ وشتمهنّ...

في حين انّ الإسلام كان يؤكد علىٰ التعاليم القيمة والحفاظ علىٰ الروح الانسانية حتّىٰ في الحروب، ونهىٰ عن المثلة حيث ورد فى الحديث الشريف: «المثلة حرام ولو في الكلب العقور»[1].

تألق النور الالهي:

لقد حاول معاوية ومن سار علىٰ نهجه اخماد نور الإمام عليّ عليه السلام واهل بيته، واستعملوا في ذلك الزخم الهائل من وسائل الدعاية التي تمدها الأموال الطائلة، والرهبة الأموية بالسيوف والرماح، فلا يفلت منها أيّ ذكر لعليّ عليه السلام ولا يخرج منها أيّ اسم له، فصارت السّنة سبّه على المنابر حتىٰ لا يبقىٰ لابن عم الرسول ﷺ صورة في قلوب المسلمين ولا أيّ ذكر له علىٰ شفاهمم!! ولكن قد تألق هذا النور الالهي من وراء مرقده الطاهر يرسم لجميع الأجيال الدروس والعبر، وما هي الأيام إلّا والسحب تنجلي، فترىٰ الفارق الكبير بين مَنْ حمل روح الايمان فجسّدها قولاً وعملاً، ومن حمل روح الكفر والشرك فقادته إلىٰ أسفل سافلين.

---

(١) وسائل الشيعة ٢٩: ١٢٨ ح ٣٥٣١٦، المعجم الكبير ١: ١٠٠ ضمن الحديث ١٦٨.

ومن عِبر الأيام أن مرّ ذات يوم الأديب السوري المعروف الأُستاذ محمّد المجذوب بقبر معاوية بن أبي سفيان، فرآه كومة من التراب المهين يغطيه الذباب، فصدم بما رآه، فانتقل ذهنه في تلك اللحظة إلىٰ قبر الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، فقارن بين الموضعين، ثمّ لم يتمالك نفسه فقال مخاطباً معاوية بهذه القصيدة بعنوان (علىٰ قبر معاوية):

أيـن القـصور أبـا يـزيد ولهـوها ... والصـافناتُ وزهـوها والسّـؤددُ
ايـن الدهـاءُ نـحرتَ عِـزّتَهُ علىٰ ... أعـتابِ دنـياً سِـحُرها لا يـنفدُ
هذا ضـريحك لو شـعرت ببؤسهِ ... لأسـال مـدمعك المـصيرُ الأسـودُ
كُـتَلٌ مـن التُّـربِ المـهينَ بـخربةٍ ... سَكَـرَ الذُّبـابُ بـها فـراح يُـعربدُ
خَـفِيتْ مـعالِمُها عـلىٰ سُكّـانِها ... فكأنّـها فـي مَـجهلٍ لا يُـقصَدُ
ومشىٰ بـها ركبُ البِـلىٰ فـجدارهـا ... عـانٍ يَكـادُ مـن الضّـراعـةِ يسـجُدُ
قُـم وارمُـقِ النّـجفَ الأغـرَّ بـنظرةٍ ... يـرتدُّ طَـرفُكَ وهـو بـاكٍ أرمَـدُ
تـلكَ العـظامُ أعـزّ ربُّك شأنَـها ... فـتكادُ لولا خـوفُ ربّك تُـعبدُ
أبـداً تُـباكِـرُها الوفـودُ يَـحُثُّها ... مـن كـلِّ صَـوبٍ شَـوقُها المتَوقّدُ
نـازعتَها الدنـيا فـفُزتَ بـورِدها ... ثـمّ انـطوىٰ كـالحُلْم ذاك المـوردُ
وَسعَت إلىٰ الأُخرىٰ فأصبح ذِكرُها ... في الخالدين وعطفُ ربّك أَخلَدُ[1]

الزعيم غاندي والنهضة الحسينية:

هناك كلمة مشهورة ومعروفة نطق بها المصلح الهندي الزعيم غاندي الذي قاد شعبه ضد الاحتلال الانجليزي واستطاع أن يحقق النجاح في مسيرته، حيث قال:

---

(١) محاضرات الواثلي ٢: ٣٤٤، ط. شركة المصطفى صلى الله عليه وآله - بيروت.

«تعلمتُ من الحسين عليه السلام كيف أكون مظلوماً فأنتصر».

علّق الكاتب المسيحي «انطون بارا» في كتابه «الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي» على كلام غاندى، قائلاً:

«غاندي مصلح تأثر بشخصية المصلح الأكبر الحسين عليه السلام وصحيح أن قصة الحسين عليه السلام دموية.. إلّا أنها في الوقت ذاته كانت سلمية لا عنيفة، ومن هنا انتهج غاندي منهجية اللاعنف فاستطاع توظيف المظلومية في الانتصار على الاستعمار البريطاني، تماماً كما فعل الحسين عليه السلام عندما وظّف مظلوميته على مرّ التاريخ للحفاظ على العقيدة والمبادئ»[1].

إن تأثير دماء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لم يقتصر على المسلمين فحسب، بل شمل الإنسانية بكل ما تحتوي من معتقدات وأديان واتجاهات ونزعات، وبالتالي كلّ من غض عن الدين طرفه، وجد الإمام الحسين عليه السلام في انسانية، ومن أمثلة ذلك كثيرة في التاريخ منها ما ذكرناه من تأثّر الزعيم الهندي غاندي بالنهضة الحسينية.

فالإمام الحسين عليه السلام استطاع إحكام قبضته على قلوب الناس في جميع مذاهبهم واعتقاداتم.

---

(١) راجع الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: ٣٨٤.

الفصل الثالث

مواقف العقيلة زينب عليها السلام في كربلاء

الجو العام في الكوفة:

قبل أن يصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، استنفر الحكم الأموي جميع قواته وفصائله المتعددة، وضرب الارهاب اطنابه في الكوفة، واعتقل النظام الأموي عيون الشيعة، وانّ عبيدالله بن زياد قد ملأ البر الأقفر حول الكوفة رجالاً وجنوداً لمحاربة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام، ولم يترك أحداً من الكوفة إلّا وأخرجه للحرب، وسدّ المنافذ إليها، وسيطر على الداخل والخارج منها، وقبض على رسل الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة، وقطع جميع الامدادات التي تحاول الالتحاق بالركب الحسيني.

فتارة كان يغري الناس بالأموال ويزيد في أرزاقهم مائة مائة، ثمّ يأمرهم بالخروج إلى حرب الإمام الحسين عليه السلام ويحثهم على الالتحاق بجيش عمر بن سعد.

وتارة أُخرى يستعمل القوة والارهاب مع السيطرة الكاملة على الطرق والمعابر، قال الخوارزمي: «وعبيدالله بن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق والشوارع فليس أحد يقدر أن يجوز»[1] ثمّ ذكر قصة قبضه على رسول الإمام الحسين عليه السلام قيس بن المسهر في مداخل الكوفة.

فالسلطة الأموية نهجها التعسف والارهاب وشعارها القتل والإفساد. وهذا ـ

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٥.

طبعاً ـ يعود للنظرة الأموية للخلافة باعتبارها لقمة سائغة!!

ذكر البلاذري: ثمّ ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وأمر القعقاع بن سويد بالتطواف بالكوفة في خيل فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة؛ فأتى به ابن زياد فقتله، فلم يبقَ بالكوفة محتلم إلّا خرج إلى العسكر بالنخيلة[١].

وذكر أيضاً: أن ابن زياد وضع المناظر[٢] على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة لأن يلحق الحسين مغيثاً له، ورتب المسالح[٣] حولها وجعل على حرس الكوفة زحر بن قيس الجعفي[٤].

وذكر المؤرخ الدينوري: بعد مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة كتب يزيد إلى ابن زياد والي الكوفة! وقد بلغني أنّ الحسين بن علي قد فَصلَ من مكّة متوجهاً إلى الكوفة، فادْرِك العيون عليه، وضع الأرْصادَ على الطُّرقِ وقُمْ أفضلَ القيام...[٥].

ولقد وجّه ابن زياد بالحُصين بن نُمير في أربعة الآف فارس من أهل الكوفة، وأمره أن يقيم بالقادسية ـ موضع قرب الكوفة ـ فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز؛ لكي لا يلتحقوا بالحسين عليه السلام إلّا من لا يُتهم بذلك[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٧٩.

(٢) المناظر: جمع المنظرة: القوم يصعدون إلى أعلى الأماكن ينظرون ويراقبون.

(٣) المسالح: جمعه المسلحة: المرقب أو قوم ذووا السلاح يحرسون ويراقبون.

(٤) أنساب الأشراف ٣: ١٧٩.

(٥) الأخبار الطوال: ٢٤٢.

(٦) المصدر السابق: ٢٤٣.

النفير العام في الكوفة:

لقد أعلن ابن زياد الأحكام العرفية على الكوفة وفرض الرقابة الشديدة عليها؛ خوفاً من خروج أنصار الإمام الحسين عليه السلام والالتحاق به. وأخذ جلاوزة النظام الأموي يحرّضون الناس على الخروج إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، وأخذوا يعدّون العدّة، وكأنّهم يريدون فتح أحد البلدان المحصنة، ولا كأنّهم يريدون ملاقاة ثلة قليلة من خيرة الناس، منهم الصحابة وحملة القرآن وعلى رأسهم ابن بنت رسول الله وسيد شباب أهل الجنة!!

ذكرت بعض الكتب أنّ سوق الحدادين بالكوفة كان قائماً على قدم وساق لهم وهج ورهج، فكل من تلقاه إما أن يشتري سيفاً أو رمحاً أو سهماً أو سناناً يحدّها عند الحداد وينقعها بالسم[1]!!

ويصوّر الطرماح الوضع الراهن آنذاك عندما التقى بالحسين عليه السلام في طريقه إلى الكوفة فقال الطرماح بن عدى للحسين عليه السلام:

«رأيت الناس قبل خروجي من الكوفة مجتمعين في ظهر الكوفة، فسألت عنهم، قيل إنّهم يُعرضون ثمّ يُسرّحون إلى حرب الحسين عليه السلام، فأنشدك الله أن لا تقدم عليهم، فإني لا أرى معك أحداً»[2].

ولكن الإمام الحسين عليه السلام رفض ذلك وبيّن له: أنّ بينه وبين القوم عهداً وميثاقاً وليس بقادر على الانصراف حتّى تتصرّف بهم الأُمور في عاقبة[3].

وجاء في كتاب «وسيلة الدارين»: ولقد ضاقت أرض كربلاء من كثرة الخيل والرجال، وآفاق السماء من كثرة الرايات تتبع بعضها بعضاً[4].

---

(١) وسيلة الدارين (للزنجاني): ٧٩ طبعة بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٦.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٤: ٣٠٦.

(٤) وسيلة الدارين: ٧٩.

عدد الجيش الأموي:

لقد ذكروا عدّة أرقام لعدد الجيش الأموي الذي جاء لحرب الإمام الحسين عليه السلام، وذكرت المصادر أيضاً النفير العام الذي أعلنه ابن زياد، بحيث هدد جميع أهل الكوفة بإيقاع أقسىٰ العقوبات وأشدّها بمن يتخلّف منهم عن الخروج للحرب، وجاء في بعض كلامه وتهديده: «فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكّان إلّا خرج فعسكر معي! فأيّما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمة»[١].

ولقد هيأ ابن زياد ـ اللعين ـ أنواع أدوات الحرب السائدة في ذلك الوقت، استعداداً لحرب ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله.

وهناك عدّة روايات وأقوال في عدد الجيش، ولكن نذكر روايتين في هذا المجال:

الأُولىٰ: ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام في خطابه إلىٰ أخيه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

«ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنهم من أمّة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون علىٰ قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك..»[٢].

ورواية أُخرىٰ: وردت عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام انّه قال:

«ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمّة! كلّ يتقرّب إلىٰ الله عزّوجلّ بدمه!! وهو بالله يذكّرهم فلا يتّعظون حتىٰ

---

(١) انظر أنساب الأشراف ٣: ١٧٨.

(٢) أمالي الصدوق: ١٠١ المجلس ٢٤ حديث ٣.

قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً...»[١].

وهذا أقل عدد ورد فى الروايات المعتبرة في عدد الجيش الزاحف لحرب سيد الشهداء عليه السلام.

ملؤ القفار على ابن فاطمةٍ جُندٌ وملؤُ قلوبهم ذُحَلُ[٢]
جاءتْ وقائدها العمىٰ وإلىٰ حرب الحُسين يقودُها الجهلُ
بجحافلٍ بالطفّ أولُها وأخيرها بالشّام متصلُ[٣]

والعقيلة زينب عليها السلام تنظر إلىٰ هذه الجموع الغفيرة التي جاءت لحرب أخيها الحسين عليه السلام، وهي في غاية الحزن والأسىٰ.

اصطحاب العائلة إلىٰ كربلاء:

هناك سؤال يطرح نفسه: مع تردي الأوضاع فى الكوفة واضطراب الحياة السياسية فيها، لماذا إذن حمل الإمام الحسين عليه السلام النساء والأطفال معه؟

انّ اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام عائلته المصونة إلىٰ كربلاء وبالأخص عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام كان من أوفر لوازم نجاح النهضة الحسينية، ومن متممات ثورته المباركة؛ لأنّ زينب عليها السلام وبقيّة النساء كنّ الصوت المدوي، والصرخة القوية، التي هزّت عروش الظالمين، وايقظن الناس من سباتهم. فإنّ أروع ما خطط له سيد الشهداء عليه السلام في نهضته هو حَمْلُهُ معه زينب الكبرىٰ عليها السلام وسائر المخدرات، فكان لهنّ الدور الكبير في انعكاس الأهداف التي سعىٰ لأجلها الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٧٣ ـ ٣٧٤ المجلس ٧٠ حديث ١٠.

(٢) الذحل: العداوة والحقد. الصحاح ٤: ١٧٠ «ذحل».

(٣) هذه أبيات من قصيدة رائعة للشاعر الحاج حمادي الكواز الحلي المتوفى سنة ١٢٨٣.

لقد ذكر الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه «السياسة الحسينية»: ما يلي:

«وهل نَشُك ونرتاب في أنّ الحسين عليه السلام لو قُتل هو وولْده ولم يَتعقّبه قيامُ تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحدّيات لَذَهبَ قَتْلُه جباراً، ولم يطلب به أحَد ثاراً، ولضاع دمه هدراً. فكان الحسين عليه السلام يعلم أنّ هذا عملٌ لابدّ منه، وأنّه لا يقوم به إلاّ تلك العقائل، فوجب عليه حتماً أن يحملهنّ معه لا لأجل المظلوميّة بسبيهنّ فقط، بل لنظرٍ سياسي وفكرٍ عميق، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة علىٰ يزيد...»[١].

لقد قُمْنَ عقائل الوحي، وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله، بنشر مبادئ الإمام الحسين عليه السلام، وتوضيح أهدافه، وقد قامت زينب عليها السلام بتدمير غرور عبيدالله بن زياد وأميره اللعين يزيد، وألحقت بهما الخزي والعار، وجعلتهما عِبْرة لأولي الألباب.

ولقد أجاب المحقق السيّد عبدالرزاق المقرّم عن خروج عائلته عليه السلام معه مع علمه بما يقدم عليه ومن معه علىٰ القتل والشهادة، هو لاستمرار نهضته بعد قتله وإلّا تذهب ضياعاً لو لم يتعقبها لسان ذرب وجَنان ثابت يعرّفان الأمّة ضلال يزيد بن معاوية وعبيدالله بن زياد؛ وذلك باعتدائهما علىٰ الذرية الطاهرة الثائرة في وجه الكفر ودحض ما ابتدعوه في الشريعة المقدسة[٢].

وقال أيضاً في موضع آخر: فكان مجئ الحسين عليه السلام بالعقيلة زينب عليها السلام فوائد مهمة أهمها: تنزيه دين النبي صلى الله عليه وآله عمّا ألصقوه بساحته من الأباطيل، ولا قبح فيه عقلاً، كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع. والمرأة وإن وضع الله عنها

---

(١) حكاه عنه القرشي في كتابه حياة الامام الحسين عليه السلام ٢: ٢٩٨.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ١٣٦.

الجهاد ومكافحة الأعداء، وأمرها سبحانه وتعالىٰ أن تقرّ في بيتها، فلذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال، وأمّا إذا توقّف إقامة الحق ونصرة الدين عليها فقط، كان الواجب النهوض بعبئ ذلك كُلّه؛ كي لا تندرس آثار الحقّ، وتذهب دماء أولئك الصفوة دونه ادراج التمويهات[1].

انّ في حمل العيال واصطحاب النساء معه صلوات الله عليه كانت هناك ـ قطعاً ـ حكم ومصالح، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام شخصية عالمية خالدة قد غيّر وجه التاريخ، فهو ذو حكمة ودهاء بحيث استطاع بحكمته وسياسته أن يقوّض عرش النظام الأموي ويقف بوجه المد الجاهلي الذي أراد أن يمحو الإسلام ويعيد الناس إلىٰ جاهليتهم وكفرهم، هذا فضلاً عن كون الإمام الحسين عليه السلام معصوماً من الخطأ والغلط لا يتصرّف إلّا بما يرضي الله تعالىٰ.

فالإمام عليه السلام أشار إلىٰ جواب مقتضب اجمالي عندما سألوه عن الحكمة في حمل النساء والأطفال معه إلىٰ العراق وهو: «قد شاء الله أن يراهن سبايا». لم يتمكن الإمام عليه السلام أن يفصح عن الهدف للظرف الذي كان يعيشه آنذاك، ولكن بعد مرور الأيام تبين بعض تلك الحكم أو أهمها وهي ما أشارنا إليها.

وهناك نكتة مهمة: انّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف جيداً حقيقة النظام الأموي ويعرف سياستهم الاجرامية، ويعلم أنّه بمجرد أن يخرج من المدينة، فانّ الأمويين سرعان ما يلقون القبض علىٰ عائلته وقد يحملون النساء سبايا إلىٰ يزيد في الشام لأجل الضغط علىٰ سيد الشهداء عليه السلام والوقوف أمام نهضته؛ لذا فما زال هو علىٰ قيد الحياة يدافع عنهنّ ويرعاهنّ، وإذا قُتل في سبيل الدين يكون قد قضىٰ ما عليه ويبقىٰ ما عليهنّ، وهذا أحد وجوه الحكمة في ذلك أيضاً.

---

(١) راجع كتاب «العباس عليه السلام» للسيد المقرّم: ١١٨.

من الشواهد التاريخية:

والشواهد التاريخية على سياسة النظام الأموي الحاقد على البشرية كثيرة، نذكر منها:

الأول: انّ الأمويين قبضوا على زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي[1] لمّا هرب من الكوفة عندما أراد زياد ليقتله فكتب إليه معاوية، احمل إليّ زوجته، فألقى زياد القبض على زوجته «آمنة بنت رشيد» وأرسلها إلى معاوية بعنوان أسيرة، فأمر معاوية بسجنها، فسجنت حتّى جئ برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد أن أُلقي القبض عليه في غارٍ قرب الموصل من قِبل والي معاوية هناك، فقُتل، ثمّ قُطع رأسه وأُرسل إلى معاوية في الشام. ولمّا وصل رأسه إلى معاوية أمر أحد الحرس بأن يوضع الرأس في حجر زوجته وهي في السجن، فلم تشعر تلك المرأة الصالحة إلّا ورأس زوجها عمرو في حجرها، ففزعت، ثمّ أخذت تبكي وتقول غيبتموه عني طويلاً وأهديتموه إليّ قتيلاً... ثم قالت للحرس: أبلغ معاوية عني ما أقول، وقل له: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك، وعجّل لك الويل من نقمه، وطلب منك بدمه، فلقد جئت شيئاً فريّاً، وقتلت باراً تقياً... فلمّا وصل كلامها الى معاوية أمر باحضارها في المجلس، فأُحضرت وصار

---

(١) عمرو بن حمق الخزاعي: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد الحديبية، وصحب النبي صلى الله عليه وآله، وحفظ عنه أحاديث، وأنه سقى النبي صلى الله عليه وآله فدعا له وقال «اللهم متعه بشبابه» فمرت عليه ثمانون سنة لا يرى في لحيته شعرة بيضاء، وصار بعد ذلك من شيعة الإمام علي عليه السلام، ومن السابقين الذين رجعوا إليه. وشهد معه حرب الجمل وصفين والنهروان. ومن كتابٍ للإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية يعدّ فيه جرائمه ذكر منها: «أولست قاتل عمرو بن حمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه بعد ما أمنته واعطيته عهود الله وميثاقه. انظر شجرة طوبى للحائري: ٨١.

يشتمها ويتهددها[١].

الثاني: كيفية تعامل النظام الأموي مع زوجة المختار بن أبي عبيدة الثقفي، لمّا هرب من سجن ابن زياد حيث ألقوا القبض على زوجته، وأودعوها في السجن إلى أن اجتمع قومها عند ابن زياد وتشفعوا فيها، فأطلقها[٢].

الثالث: قال أبو الفرج الأصفهاني: بعد مقتل الحسين عليه السلام أمر عمرو بن سعيد العاص صاحب شرطته على المدينة أن يهدم دور بني هاشم، وبلغ منهم كل مبلغ[٣].

يمكن أن نفهم من ذلك أنه لو ترك الإمام الحسين عليه السلام ذريته وأطفاله خلفه فانّ مصيرهم يكون كذلك، وسيعانون من كلّ الاحتمالات الرهيبة من أجل الضغط على الإمام الحسين عليه السلام، من قتل وسلب وتعذيب وغير ذلك؛ لأنّ أمثال يزيد لا يمنعه أيّ شيء من ارتكاب العنف والرعب.

فالإمام الحسين عليه السلام كان لا يمكنه ترك ذريته وعائلته تحت رحمة خصمه الظالم، وبالأخص في ظروف كظروف الإمام الحسين عليه السلام.

لذا فقرار الإمام عليه السلام في حمل ذريته وعائلته معه فيه الحكمة السديدة والمنطق السليم، فهو سلام الله عليه يقوم بالدفاع عنهم ما زال حيّاً، وأما بعد استشهاده فيكون قد أدّى ما عليه وبقي ما عليهم من نشر رسالته واظهار مظلوميته.

---

(١) انظر: شجرة طوبى للحائري: ٨٢، المجلس ٣٤. المجالس السنية للسيد محسن الأمين ١: ٤١٢ المجلس ١٧٣، ومأساة الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب للكاشي: ٧٩.

(٢) مأساة الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب: ٧٩ ـ ٨٠

(٣) الاغانى ٥: ٧٥ ط. دار احياء التراث العربى - بيروت. وانظر: مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣٩٦، ومعالم المدرستين ٣: ١٥٢.

النظرة الثاقبة للامام الحسين عليه السلام:

كانت أول صرخة ضد الحزب الأموي بعد واقعة الطف هي تلك الصرخة التي اطلقتها العقيلة زينب سلام الله عليها في الكوفة في وسط الجموع الغفيرة الملتفة حول ركب السبي، حيث اهتزت لها الضمائر وايقظت فيها النفوس، فكان خطاب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام قد حرّك تلك الحشود الغافلة التي تعيش الخداع والتمويه فبينت لهم الحقائق وزرعت في نفوسهم الوعي، فكانت كلماتها سلام الله عليها تؤنبهم على فعلهم، وتذكرهم على عظيم جنايتهم، فكان لخطاب العقيلة رد فعل عنيف بين الجماهير المحتشدة، فما حار لهم جواباً أمام هذه البلاغة الزينبية التي هي فرع البلاغة العلوية. ولم يكن عندهم أيّ اعتذار إلّا العَبرة والبكاء...

فكانت بلاغة العقيلة سلام الله عليها وفصاحتها لا يأتي بمثلها إلّا من تربى في بيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث أحدثت كلماتها وخطبها الهزة تلو الهزة في العرش الأموي وبالتالي ساهمت بشكل جاد في التعجيل بسقوطه وانهياره.

نعم، انّها الحكمة الإلهية بأن يُسار بالسبي إلى الكوفة ثم إلى الشام بذلك الشكل المؤلم على أقتاب الجمال.

وبالتالي ليرى المسلمون وغيرهم ما حلّ بآل الرسول صلى الله عليه وآله من الفجائع والمآسي بعد مقتل سبط النبي صلى الله عليه وآله بكربلاء، وهذه أحد الأهداف التي كانت في حمل النساء والأطفال مع سيد الشهداء عليه السلام ليكونوا شهوداً وألسنة تنطق بمظلوميته، وسنداً تاريخياً مهماً على مدى ظلم الدولة الأموية؛ وان عمد يزيد وأتباعه على إيهام الناس بأنّ الذين قُتلوا في معركة الطف هم من الخوارج!! وركّز أشد التركيز على هذا الأمر؛ لكي يخدع الأمة.

ولكن سرعان ما اتضح الواقع وانكشف الأمر وكانت النتائج في ذلك سلبية علىٰ بني أمية، حيث عرف الناس بأن ركب السبي هم من العترة الطاهرة ومن بيت الوحي، وليسوا بخوارج خرجوا عن الدين، بل هم الذين كانوا السبب في الاهتداء إلىٰ الدين والتشرّف بالإسلام العظيم.

ولقد أثبتت حوادث ما بعد واقعة الطف مدىٰ الدور المهم الذي قمن به نساء آل الرسول صلى الله عليه وآله وبالأخص العقيلة زينب عليها السلام، فأثبتت للعالم خلال فترة السبي رجاحة عقلها، وقوّة حجّتها، وعظم شخصيتها، حيث قادة مسيرة أخيها الحسين عليه السلام بعد استشهاده واستلمت راية الجهاد بعد غيابه، إذ قادت بنفسها مسيرة ما تبقىٰ من الموكب، ودافعت عن الحق بكل صلابة وشجاعة، فغدت مواقفها خالدة علىٰ مرّ الأيام وتعاقب القرون، مثالاً يحتذىٰ به وفخراً لنهضة أخيها الحسين عليه السلام التي أكملتها بجهادها وصبرها.

لقد قامت العقيلة زينب عليها السلام بالدور المهم في نهضة أخيها سيد الشهداء عليه السلام بحملها لواء الحرب النفسية التي تممت الحرب العسكرية، فأكملت الهدف، وحققت الغاية، ولقنت أعداء الدين والإنسانية درساً بقي صداه علىٰ مرّ التاريخ عبرة للظالمين والطغاة.

فالعقيلة زينب عليها السلام قامت بدورها الصعب الذي لا يقل صعوبة وخطورة عن الدور الذي قام به من شارك في معركة الطف تحت ظلال السيوف والأسنة والرماح..

ومن هنا يتضح لنا الرأي الأمثل والحكمة البالغة في خروج الإمام الحسين عليه السلام بحرمه وعياله وأطفاله، وما تلاه من استلام العقيلة لراية الكفاح والجهاد.

وكان الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلىٰ المستقبل بنظرته الثاقبة، وكان عالماً

بنتائج الحرب مع الطغمة الظالمة؛ لذا قرر حمل العيال معه لكي يشاركوا بتحطيم الوثنية الجاهلية الجديدة التي امتطت الإسلام لتحقيق أهدافها، ومحق ذرية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله صاحب الرسالة الخالدة.

النزول في كربلاء:

قال القندوزي: فساروا جمعياً إلىٰ أن انتهوا إلىٰ أرض كربلاء، إذ وقف جواد الحسين عليه السلام، وكلّما حثّه علىٰ المسير لم ينبعث من تحته خطوة واحدة، فقال الإمام عليه السلام: «ما يُقال لهذه الأرض»؟

قالوا: تُسمّىٰ كربلاء.

فقال عليه السلام: «هذه والله أرض كَرْبٍ وَبَلاء، هاهنا تُقتل الرجال، وتُرملُ النساءُ، وهاهنا محلُّ قبورنا ومحشرنا، وبهذا أخبرني جدّي صلى الله عليه وآله»[1].

نزل الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء ـ علىٰ المشهور ـ يوم الثاني من شهر محرم الحرام من سنة احدىٰ وستين هجرية، بعد أن التف حوله الأعداء وسدّوا عليه الطرق، فنزل عليه السلام في تلك الأرض، ونصب خيامه، وصارت رايات الكفر والضلال المرسلة من قبل ابن زياد يلحق بعضها بعضا.ولله درّ القائل:

حُطُّوا الرّحالَ فذا مَحَطُّ خِيامِنا ... وهُنا تكونُ مصارعُ الشهداءِ

حُطُّوا الرّحالَ فذا مناخُ رِكابنا ... وبهذهِ والله سَبْيُ نِسائي

وبهذه الأطفال تُذْبَحُ والنِسا ... تَعلو علىٰ قَتَبٍ بغيرِ وِطاءِ

وبهذه تُعْلىٰ الرؤوسُ علىٰ القَنا ... تُهدَىٰ إلىٰ ذي الكُفرِ والشَحْناءِ

وبهذه تَتَفَتَّتُ الأكبادُ مِن ... حَرِّ الظما وحرارةِ الرَمْضاءِ

---

(١) ينابيع المودة ٢: ١٦٣.

وبـــهذه يـعدُو جَـوادي صـاهِلاً مُلْقَىٰ العِنانِ يـجولُ فـي البـيداءِ
وبـــــهذهِ واللهِ يَسْـلُبْني العِـدا وتَجولُ خَـيلُهُمُ عـلىٰ أعـضائي
وبـــهذهِ زُوَّارُنـا وَحْشُ الفَـلا والريحُ تَكْسونا ثَـرَىٰ الغَـبراءِ[1]

وتكاملت جيوش الضلال، واحاطوا بالحسين عليه السلام وأهل بيته كالحلقة، ومنعوهم من شرب الماء، ولكنّهم صبروا علىٰ البلاء، فمنهم من قضىٰ ما عليه من المسؤولية حيث وقع مضرجاً بدمه، ومنهم من بقي من العيال والأطفال، ترعاهم العقيلة زينب سلام الله عليها وتصارع معهم المحن والخطوب، في سبيل الدفاع عن الدين الحنيف، ومقارعة الظلم والجور.

يوم عاشوراء:

أخذ فجر يوم العاشر من المحرم لسنة ٦١ هـ بالبزوغ فيما بدت الكواكب بالأفول، ونسيم الصبح يلف الصفوة الطاهرة ليطير بهم إلىٰ الحياة الخالدة.. فالجميع ينتظرون اشراقة الصبح لحظة بعد أُخرىٰ ليطفئوا شموعهم ويوقدوا مصباح الهداية لجميع الانسانية...

روىٰ الكليني في الكافي بسنده عن أبان عن عبد الملك قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صوم تاسوعا وعاشورا من شهر المحرّم؟ فقال: تاسوعا يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام، وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانه وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم، وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر، ولا يمدّه أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب، ثم قال: وأمّا

---

(١) وردت هذه الابيات فى الدورس البهية في مجمل أحوال الرسول والعترة البهية: ٦٦.

يوم عاشوراء فيوم أُصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعىٰ حوله، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟! كلّا وربّ البيت الحرام، ما هو يوم صوم، وما هو إلّا يوم حزن ومصيبة دخلت علىٰ أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فرح وسرور لابن مرجانه وآل زياد وأهل الشام، غضب الله عليهم وعلىٰ ذريّاتهم، وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام...»[١].

العقيلة زينب عليها السلام تراقب الأوضاع:

لقد كانت العقيلة زينب عليها السلام تراقب الأوضاع عن كثب في واقعة الطف؛ وذلك بدافع من الشعور بالمسؤولية، وانّها صاحبة الدور المهم والمواقف الجليلة.

روىٰ الطبري وغيره: أنّه لمّا زحفت خيول عمر بن سعد عصر يوم التاسع من المحرم نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام، والحسين عليه السلام جالس أمام خيمته محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه علىٰ ركبتيه، وسمعت أخته زينب سلام الله عليها الصيحة فدنتْ من أخيها، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت! قال: فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: إنّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، قال: فلطمتْ أختُه وجهها وقالت: يا ولتا! فقال لها: ليس لكِ الويل يا أخيّة، اسكتي رحمك الله... ثم قال لأخيه العباس سلام الله عليه اذهب لهم وقل لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم؟[٢]

---

(١) الكافي ٤: ١٤٧ ح ٧، الوسائل ١٠: ٤٥٩ ح ١٣٨٤٧، الباب ٢١ من أبواب الصوم المندوب.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣١٥، الارشاد للمفيد ٢: ٨٩ ـ ٩٠، تاريخ ابن الأثير ٤: ٥٦، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩١.

العقيلة عليها السلام في حال وجل وحزن:

خرج الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من المحرم في جوف الليل إلىٰ خارج الخيام؛ ليتفقد التلاع والعقبات المشرفة علىٰ الخيام، فالتفت الإمام عليه السلام وإذا بنافع بن هلال البجلي من خواص أصحابه يسير خلفه، فقال عليه السلام: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟ فقال سيدي، أفزعني خروجك ليلاً إلىٰ جهة هذا الباغي عمر بن سعد.

فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت اتفقد التلاع والروابي، مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم يحملون وتحملون. ثمّ رجع عليه السلام وهو قابض علىٰ يد نافع وهو يقول: هي هي والله وعد لا خلف فيه. ثم قال: يا نافع، ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

فوقع نافع علىٰ قدمي الإمام الحسين عليه السلام يقبلهما ويبكي وهو يقول: إذن ثكلت نافعاً أمّه، سيّدي انّ سيفي بألف وفرسي بمثله، فوالله الذي منّ عليّ بك في هذا المكان لن أفارقك يا أبا عبدالله حتّىٰ يكلا عن فرى وجرى.

ثمّ دخل الإمام الحسين عليه السلام خيمة أُخته زينب عليها السلام ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب عليها السلام تقول للحسين عليه السلام ـ وقد اختنقت بعبرتها ـ: وا أخاه، واحسيناه، أُشاهد مصرعك وأُبتلىٰ برعايتي هذه المذاعير من النساء، والقوم ـ يا ابن أُمّي ـ كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم يعزّ عليّ مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم.

ثمّ قالت: يابن أُمّي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإني أخشىٰ أن يُسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأسنّة. فبكىٰ الحسين عليه السلام وقال: أما والله لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس

الطفل بلبن أُمّه[١].

ثمّ لمّا سمع نافع ذلك بكىٰ وأتىٰ حبيب بن مظاهر وجمع الأصحاب وتكلّموا هم وبنو هاشم بكلمات تدلل علىٰ شجاعتهم واخلاصهم.

العقيلة عليها السلام وأشعار الإمام عليه السلام:

عندما كان الإمام الحسين عليه السلام في خيمته يعالج سيفه ويصلحه، وهو يقول:

يا دَهْرُ أُفٍّ لك من خليل ... كم لك بالإشراقِ والأصيلِ

من صاحِبٍ وطالبٍ قَتِيلِ ... والدّهْرُ لا يَقْنَعُ بالبديلِ

وإنّما الأمرُ إلىٰ الجَليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلِ

وكان في الخيمة ولده الإمام زين العابدين عليه السلام وأخته العقيلة زينب عليها السلام، أما الإمام فإنّه لمّا سمع هذه الأبيات خنقته العبرة ولزم السكوت، وعلم أنّ البلاء قد نزل.

وأمّا العقيلة زينب عليها السلام لمّا سمعت ذلك استولىٰ عليها الحزن الشديد ووثبت تجرّ ذيلها حتّىٰ انتهت إلى اخيها الحسين عليه السلام ، وقالت:

«واثكلاه! واحزناه! ليت الموت اعدمني الحياة! اليوم ماتت أُمّي فاطمة وأبي عليّ وأخي الحسن، يا بقية الماضين، وثمال[٢] الباقين»[٣].

---

(١) راجع: المجالس الفاخرة لشرف الدين: ٢٣١. ط. مؤسسة المعارف، مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٢٨٤.

(٢) الثمال: العمدة.

(٣) راجع: مقاتل الطالبيين: ١١٢ ـ ١١٣، الارشاد ٢: ٩٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١:٢٣٧ ⇦

ثمّ أخذ الإمام عليه السلام يصبّرها ويسلّي خاطرها، وفيما قال لها: «يا اختاه تعزّي بعزاء الله واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكلّ شيء هالك إلّا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة»[1].

ثمّ سلّاها الإمام عليه السلام بجهده، وذكّرها المصيبة بموت أبيه وجدّه صلوات الله عليهم أجمعين.

وبعد ذلك أوصى عليه السلام أخته زينب سلام الله عليها وباقي النسوة ـ كما جاء في الارشاد[2] وغيره ـ أن لا يشقّقن عليه بعد قتله جيباً ولا يخمشن وجهاً ولا يقلن هجراً.

فكان مثل هذا المنظر يذيب قلب الحوراء زينب عليها السلام وهي تسمع من أخيها أنّه قد عزم على الموت ومفارقة الحياة وصمم على الشهادة، فكانت سلام الله عليها تتكلّم مع سيد الشهداء بنبرات حزينة وقلبها الرؤوف يعتصر ألماً، وقد غشيتها سحب قاتمة من اللوعة والأسى.

العقيلة زينب عليها السلام ومصرع علي الأكبر عليه السلام:

كان علي الأكبر عليه السلام اشبه الناس بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقاً وخُلُقاً، وكان أهل البيت عليهم السلام إذا اشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نظروا إلى علي الأكبر سلام الله عليه، وكان

⇦ـ ٢٣٨، تاريخ الطبري ٤: ٣١٩، الكامل لابن الأثير ٤: ٥٨، نهاية الأرب ٢٠: ٤٣٦، اللهوف: ١٤٠، ١٤١، جلاء العيون ٢: ٢٠٢. وانظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٤، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٩، اعلام الورى ١: ٤٥٧، جواهر المطالب ٢:٢٨٧.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٢٥٦، وانظر نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٦.

(٢) الارشاد للمفيد ٢: ٩٤.

أعز ابناء الإمام الحسين عليه السلام لعمته العقيلة سلام الله عليها، وهو أول هاشمي اندفع إلىٰ ساحة الحرب لمقاتلة الأعداء، وقد شيّع الإمام عليه السلام ولده بدموع مشفوعة بالأسىٰ والحزن، وخلفه عمته زينب عليها السلام وسائر عقائل الوحي.

وانطلق الأكبر عليه السلام إلىٰ ميدان الحرب وقاتل الأعداء بشجاعة فائقة قد ذكّرتهم بجدّه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وربّ البيت أولىٰ بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي[1]

فأخذ الأكبر يجول في الميدان وهو يلقن الأعداء درساً في الشجاعة والتضحية، بحيث كانوا يفرون من بين يديه حتّىٰ ضج معسكر الطاغية ابن سعد من كثرة ما نزل بهم من القتلىٰ والجرحىٰ، وهو ما عليه من شدّة العطش ولوعة الظمأ.

وقد أنزل بجيش العدو الخسائر الفادحة وهو علىٰ عطشه وتعبه. ثمّ عاد إلىٰ المخيم يطلب الماء ويودع العيال.

ثمّ قفل راجعاً إلىٰ الميدان وقد توسط حراب الأعداء وسيوفهم وهو يقاتلهم أشد ما يكون القتال.. حتّىٰ برز إليه الخبيث الدنس مرّة بن منقذ العبدي فطعنه بالرمح في ظهره وضربه ضربة منكرة علىٰ رأسه ثمّ حمله الفرس إلىٰ معسكر الأعداء فأحاطوا به من كلّ جانب، ومزّقوا جسده الشريف بالسيوف...

فأسرع إليه أبوه سيد الشهداء عليه السلام ووقف علىٰ جسده الطاهر واستعفا من الدنيا بعده، وقلبه يحترق ألماً وحزناً علىٰ ولده الأكبر سلام الله عليه... وهرعت إليه عقيلة بني هاشم عليها السلام لمّا سمعت بالخبر فأخذت تندبه بحرقة وألم وتنادي

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٠.

بالويل والثبور، وتقول: يا نور عيناه، وا ولداه، واقتيلاه، واقلة ناصراه، واغربتاه، وامهجة قلباه..[١].

ولقد بكت العقيلة زينب عليها السلام بكاءً يقطّع نياط القلب.

وأقبل الإمام الحسين عليه السلام على فتيانه وقال إحملوا أخاكم، فجاءوا به حتى وضعوه عند الفسطاط[٢] الذي كانوا يقاتلون أمامه[٣].

العقيلة زينب عليها السلام ومصرع العباس عليه السلام:

لمّا سقط العباس عليه السلام على أرض كربلاء قد غشيته الدماء، وجلّلته النبال، وعلته السيوف والرماح، أسرع إليه الإمام الحسين عليه السلام ورآه على تلك الحالة، ففاضت روحه الشريفة وسيد الشهداء عليه السلام ينظر إليه، فعزّ عليه مصرعه وقال: «الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي»[٤].

وانّ الحسين عليه السلام ترك أخاه العباس عليه السلام في مكانه على المسناة، وقام عنه بعد ما فاضت نفسه الزكية، ولم يحمله إلى الفِسطاط الذي كان يحمل الشهداء من أهل

---

(١) انظر: مقتل الخوارزمي ٢: ٣١، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٣، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٠-٣٤١.

(٢) الفسطاط: بيت من شعر، وفيه ثلاث لغات: فسطاط وفستاط وكسر الفاء لغة فيهن، وقيل ضرب من الأبنية، وفسطاط المصر: مجتمع أهله حول جامعه. راجع الصحاح ٣: ١١٥٠ «فسط» ،ولسان العرب ٢: ١٠٩٥ نفس المادة.

(٣) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣١، البداية والنهاية لابن‌كثير ٨: ١٩٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٥: ٤٢، تظلّم الزهراء عليها السلام: ١٩٩.

بيته وأصحابه إليه، وذكروا لذلك عدّة أسباب[١]، والكل محتمل.

ورجع الحسين عليه السلام إلى المخيم منكسراً، حزيناً، باكياً، يكفكف دموعه بكمه، وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى:

أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، أما من خائف من النار فيذّب عنا؟ فأتته سكينة وسألته عن عمّها العباس عليه السلام، فأخبرها بقتله، وسمعته زينب عليها السلام فصاحت: وا أخاه واعباساه واضيعتنا بعدك! وبكين النسوة وبكى الحسين عليه السلام معهن وقال: واضيعتنا بعدك!![٢]. ولله درّ الشاعر:

وهوى بجنب العلقمي فليتهُ ... للشاربين به يُداف العَلْقمُ

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه ... بين الخيام وبينه متقسمُ

ألفاه محجوب الجمال كأنه ... بدر بمنحطِم الوشيج ملثمُ

إلى أن قال:

نادى وقد ملا البوادي صيحةً ... صمُّ الصخور لهولها تتألّم

ءأُخيّ مَنْ يحمي بنات محمّد ... إذْ صرْن يسترحمن مَنْ لا يرحم[٣]

لقد كانت عيون الفاطميات بأبي الفضل قريرة، وعيون الأعداء منه باكية ساهرة؛ لأنّهم يخافون سطوته ويخشون من اسمه. ولكن انقلب الأمر ليلة الحادي عشر، حيث قرّت عيون الأعداء وبكت وسهرت عيون الفاطميات وبالأخص

---

(١) انظر: مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٣٢٢ ـ ٣٢٣، ومقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣٢٠.

(٢) انظر مقتل السيد المقرّم: ٣٢٠.

(٣) هذه الأبيات من قصيدة عصماء للشاعر الكبير السيد جعفر الحلّي رحمه الله مطلعها:

وجهُ الصباحِ عليّ ليلٌ مظلم ... وربيعُ أيامي عليّ محرّمُ

راجع مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهري: ٩٨ ـ ١٠١.

عقيلة بني هاشم زينب الكبرىٰ عليها السلام.

اليوم نامت أعينٌ بك لم تنم وتسهّدت أُخرىٰ فعزّ منامها[١]

العقيلة عليها السلام ومقتل الطفل الرضيع:

ورد في قصة مقتل الطفل الرضيع علىٰ أحد الروايات: انّ الإمام الحسين عليه السلام تقدّم إلىٰ باب الخيمة، وقال لأخته زينب عليها السلام: ناوليني ولدي الصغير حتّىٰ أودعه، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة - اللعين - بسهم فوقع في نحره، فذبحه.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لزينب عليها السلام: خذيه، ثمّ تلقىٰ الدم بكفيه فلمّا امتلأتا رمىٰ به نحو السماء، ثمّ قال: هوّن عليّ ما نزل بي انّه بعين الله[٢].

قال الامام الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلىٰ الأرض»[٣].

فهنا كانت العقيلة عليها السلام أيضاً قد شاركت أخاها الحسين عليه السلام في مثل هذه المأساة والمصائب.

ومنعطف أهوىٰ لتقبيل طفله فقبّل منه قبله السهم منحراً

وانّ قتل الطفل الرضيع في تلك الحالة المدهشة، لا يكون إلّا مجرد التوحش والبربرية والعداوة السبعية المنافية لقواعد جميع الأديان.

الإمام الحسين عليه السلام في الساعات الأخيرة:

لقد كان سيد الشهداء عليه السلام في الساعات الأخيرة من يوم عاشوراء يقاسي من

---

(١) ورد هذا البيت في معالي السبطين ١: ٤٤٣.

(٢) اللهوف: ١٦٨، أعيان الشيعة ١: ٦٠٩، لواعج الأشجان: ١٨١، المجالس الفاخرة (للسيد شرف الدين): ٢٤٤. ونحوه في مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٢.

(٣) راجع المصادر السابقة.

شدة العطش والجوع ونزف الجراح ومتابعة القتال...بالاضافة الى فقد الأهل والأصحاب ومع ذلك كان كالجبل الراسخ لا تحركه الرياح، وضرب المثل الأعلى فى الصمود والمقاومة.

يقول الباحث المصري عباس محمود العقاد في وصفه للإمام الحسين عليه السلام في تلك الساعات الحرجة من يوم عاشوراء ومدى صبره ومقاومته، مالفظه: «وظلّ علىٰ حضور ذهنه وثبات جأشه في تلك المحنة التي تعصف بالصبر وتطيش بالألباب، وهو جهد عظيم لا تحتويه طاقة اللحم والدم، ولا ينهض به إلّا أولو العزم من أندر من يلد آدم وحواء، فانه كان يقاسى جهد العطش والجوع ونزف الجراح..»[1].

نعم، انّ مقاومة الإمام الحسين عليه السلام اذهلت جميع العقول من مختلف الشعوب والقبائل.

ونحن لا نطيق أن نذكر تفاصيل جميع ما حدث في الساعات الأخيرة من حياة سيد الشهداء عليه السلام، ولا نطيق ذكر تفاصيل مصرعه الشريف، فذلك ما لا نطيق سماعه فضلاً عن بيانه.

ولكن لمّا برز جميع أنصار الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته لمقاتلة أعداء الدين والإنسانية، وسقطوا جميعهم علىٰ رمضاء كربلاء مضرّجين بدماءهم الزكية، بقي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وحيداً في الميدان، وهو في غاية الصلابة والثبات لم تؤثّر عليه كلّ تلك المصائب والمحن، بل ازداد عزيمة علىٰ محاربة الأعداء، ومقارعة الظلم والطغاة. قال أحد حضّار المعركة:

«فوالله ما رأيت مكثوراً قط، قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً منه

---

(١) أبو الشهداء الحسين بن علي عليه السلام: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

ولا أمضىٰ جَناناً، ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيتُ قبله ولا بعده مثله...»[١].

وكان العطش قد أثّر عليه وعلىٰ أهل بيته تأثيراً بالغاً، إذ حال العدو الظالم بينهم وبين الماء قبل المعركة بثلاثة أيام، والحسين عليه السلام مع كلّ ذلك يرىٰ أنّ التضيحة بنفسه هي المنزع الأخير لنصرة الدين الحنيف، وهؤلاء الأعداء قد غاب عنهم الوعي الديني والإنساني، فكان عليه السلام ينظر إليهم وهم قد نزعت الرحمة من قلوبهم، وقد عرف فظاظتهم وهمجيتهم، ولمّا لم يقدروا عليه في ميدان القتال هجموا علىٰ عياله وهو ما زال حيّاً، وهذا ما تأباه الأعراف وتنكره الغيرة العربية، لذا وبخهم سيد الشهداء عليه السلام، وأنذرهم، وشك في عروبتهم فقال عليه السلام لهم:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، فارجعوا إلىٰ أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون! ثمّ قال لهم:

أنا الذي أُقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حياً»[٢].

ولقد حمل عليهم الإمام عليه السلام ولم يزل يقتل كلّ من دنا إليه من عيون رجالهم، حتّىٰ قتل منهم مقتلة عظيمة.

وقد واصل سيد الشهداء عليه السلام قتال الاعداء وهو ما عليه من الجراحات والعطش، فما ضرب أحداً بسيفه إلّا قتله، ولا طعنه برمحه إلّا صرعه.

ثمّ رجع سبط الرسول عليه السلام إلىٰ عياله ليودّعم الوداع الأخير،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥، الكامل في التاريخ ٤: ٧٧، الارشاد ٢: ١١١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٨، لواعج الأشجان: ١٨٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٣.

الإمام الحسين عليه السلام وأُخته العقيلة عليها السلام في الوداع الأخير:

قفل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً إلىٰ عياله ليودّعم الوداع الأخير، وينقل مسؤوليتهم علىٰ عاتق أُخته العقيلة زينب سلام الله عليها ويوصيها بحفظهم ورعايتهم؛ لأنّها ستنوب عنه بعده، هذا وجراحاته تنفجر دماً، وكانت كثيرة تفوق حدّ التصور، وقد تكفل أرباب المقاتل بذكر تفاصيل ذلك.

وهو في هذه الحالة توسط أهله وعياله، وأخذ يوصي حرم الرسالة وعقائل الوحي بلبس الأزر والاستعداد للبلاء، وأمرهنّ بالصبر والتسليم لقضاء الله تعالىٰ، قال لهم:

«استعدُّوا للبلاءِ، واعلموا أنّ الله حافِظُكُم وحاميكُم، وسَيُنْجيكُم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبةَ أمرِكُم إلىٰ خير، ويُعذّبُ أعاديكمُ بأنواع البلاء، ويُعوّضكُم اللهُ عن هذه البليةِ أنواع النّعم والكرامة، فلا تَشْكُوا بألسنتِكُم ما ينقُصُ قَدْرَكُم»[1].

ومن الذي يستطيع أن يتصوّر حال الإمام الحسين عليه السلام وحال أُخته العقيلة زينب سلام الله عليها في تلك اللحظات الحرجة، ومخدرات آل الرسول صلى الله عليه وآله قد تعلقن بسيد الشهداء عليه السلام وهو سابح بدمه الطاهر، والأطفال تصرخ من شدّة العطش ورهبة الخيل..

وكان الإمام عليه السلام مشغولاً في وداع أهل بيته والرجال قد تدافعوا علىٰ مخيمه، وهجموا عليه في هذه اللحظات الحساسة، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتّىٰ تخالفت السهام بين اطناب المخيم، فكانت محنة الإمام الحسين عليه السلام في وداعه الأخير أشد وأقسىٰ ما عاناه من المحن والخطوب، هذا والعقيلة زينب سلام الله

---

(١) ناسخ التواريخ ٢: ٣٨٠، الدمعة الساكبة ٤: ٣٤٦، نفس المهموم: ٢٥٥، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٩٢، مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٤٤٢.

عليها في تلك اللحظات القاسية تحاول مداراة النساء المذعورات وتسكّت الأطفال الولهىٰ، ومن جهة أُخرىٰ تودّع ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وداعه الأخير، فالتاعت أشد ما يكون اللوعة من هذا المشهد الرهيب واليوم العصيب.

لقد مرّت على الامام الحسين عليه السلام لحظات أشد ما تكون، هي تلك لحظات الوداع مع أهل بيته وهو يرى صبية تصرخ ونساء تبكي، وانفرد في ذلك الوقت الحرج باخته العقيلة زينب عليها السلام يودّعها الوداع الأخير ويوصيها بوصايا مهمّة وهي تختنق بعبرتها، وتنظر إلىٰ تلك الوحوش الكاسرة من أجلاف بني أُميّة تنتظره تريد أن تنزع منه الحياة، مع كلّ هذه المواقف الصعبة فالعقيلة زينب عليها السلام قد تجاوزتها وتلقت الصعاب بصدر رحب وصمدت أيّ صمود...

يا قلب زينب ما لاقيت من محن
فيك الرزايا وكلّ الصبر قد جُمعا
لو أنّ ما فيك من حزن ومن كمد
في قلب أقوى جبال الأرض لأنصدعا
يكفيك فخراً قلوب الناس كلّهم
تقطّعت للذي لاقيته جزعا[1]

ثمّ التفت الإمام الحسين عليه السلام إلىٰ الخيمة ونادىٰ يا سكينة يا فاطمة يا زينب يا أم كلثوم عليكن منّي السلام، فناداته سكينة يا أبة استسلمت للموت فقال كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين، فقالت: يا أبة ردنا إلىٰ حرم جدنا.

---

(١) هذه الأبيات للسيّد حسن البغدادي (ت ١٣٦٧ هـ). راجع أدب الطف للسيّد جواد شبّر ٩: ٣٢٢.

فقال عليه السلام: «هيهات لو ترك القطا ليلاً لنام»[١] فتصارخن النساء فسكتهنّ الحسين عليه السلام، فلمّا همّ بالركوب تصارخت الأطفال والعيال وتعلقن النساء بأطراف ثيابه فنادىٰ احبسيهنّ يا زينب... ثم حمل علىٰ الأعداء شاهراً سيفه آيساً من الحياة عازماً علىٰ الموت[٢].

وأتت زينبُ وللحُزن منها ... نفثاتٌ تُوري الفؤاد اضطراما
تستخفّ الخُطىٰ فيثقلها الخطبُ ... فتحني - وهي الوقورُ - قِواما
عانقته فقبّلت صدرَهُ الدامي ... وأرخت دمعَ العيون انسجاما
ثمّ نادتْ والحزنُ يقذف من فيها ... فؤاداً مع النوائب هاما
يابن أمي مَنْ للعواطف يَسقيها ... فتُروىٰ بَرداً وتُغذىٰ سلاما
من لهذي الصغار يحنو عليها ... يوم تبكي الآباء والأعماما
مَنْ يُسلّي كرائم الوحي إمّا ... ندَبتْ يوم سبيهنّ الكِراما
مَنْ لرهط النبيّ يحمي حماه ... إذ يلاقي أراذلاً ولئاما
مَنْ يُراعي الذِّمامَ بعدك فينا ... فالأعادي لم ترعَ منك الذِّماما[٣]

---

(١) لو ترك القطا ليلاً لنام: تمثّل عليه السلام بعجز بيتٍ لحذام ابنة الديان، وله قصة ذكرها الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٦١، وكذلك ذكر نحوه غيره: وهي أنّ الديان وقومه جاءهم اعداؤهم ليلاً، فلما كانوا قريباً منهم أثاروا القطا (طائر معروف) فمرّت بأصحاب الديان، فخرجت حذام إلىٰ قومها فقالت:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ... فلو ترك القطا ليلاً لناما

أي القطا لو تُرك ما طار هذه الساعة، فقد أتاكم القوم، فقال دسيم بن طارق بصوت عال:

إذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

(٢) مثير الأحزان لشريف الجواهري: ٨٥.

(٣) الأبيات من قصيدة للسيد محمد تقي بحر العلوم (ت ١٣٩٣ هـ). يصوّر فيها وداع زينب ⇦

العقيلة زينب عليها السلام وشهداء أهل بيتها:

بعد أن حضرت زينب سلام الله عليها جسد ابن أخيها علي الأكبر في الفسطاط وهو يغوص بدمه، ألقوا إليها بعد فترة وجيزة بجسد ابن أخيها الآخر القاسم بن الحسن عليه السلام فأسرعت إلىٰ استقباله وهو الآخر قد صبغت الدماء جسده الطاهر، وهكذا ظلت الاجساد الزواكي تُلقىٰ إليها حتىٰ أُلقي إليها بولديها عون ومحمّد وإخوتها جعفر وعبدالله وعثمان و... وهي تنوح وتبكي وتسلّي وتعزّي... حتىٰ أخيراً جاءها خبر شهادة أخيها العباس سلام الله عليه وسمعت بمصرعه فازداد حزنها واسرعت إلىٰ أخيها الحسين عليه السلام لتشاركه في المصاب الجلل وهي ملتاعة مفجوعه...

وظلّت عقيلة بني هاشم سلام الله عليها مع أخيها الحسين عليه السلام الذي أصبح وحيداً يقاتل الأعداء وقد أُثخن بالجراح حتّىٰ سقط أخيراً وقد اشتبكت علىٰ جسده الشريف السيوف والرماح، إلىٰ أن فاضت روحه الشريفة وصعدت إلىٰ الفردوس الأعلىٰ، يشكو إلىٰ ربّه ما صنعت تلك الأوباش به وبأهل بيته وأصحابه.

وبعد ذلك قامت العقيلة سلام الله عليها بدورها الجديد الذي ينتظرها، والمرحلة الأُخرىٰ من المقاومة والجهاد والصبر.

ولمّا مرّت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ جسد أخيها ندبته بلوعة وحرقة، كان في صوتها ألم حاد إلىٰ درجة لا تطاق، وفيه حزن وأنين قد أثّر حتّىٰ علىٰ تلك القلوب القاسية، ولم يصل صوتها لإنسان إلّا بكىٰ.

نعم، لقد شهد التاريخ الإسلامي شخصيات سياسية ودينية بارزة، لكن

⇦سلام الله عليها لأخيها الامام الحسين عليه السلام في اللحظات الأخيرة. راجع مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٤٣٠.

الذين تركوا البصمات الخالدة والتي لا تزال صدىٰ أناتها تسمع لحد الآن، كانت من صنع عدد محدود من الأشخاص، تنفرد بينهم العقيلة زينب سلام الله عليها ابنة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كشخصية نسائية عالمية، استطاعت أن تغيّر مجرىٰ التاريخ، وتجعل من مأساة واقعة الطف، مأساة إسلامية تاريخية كبرىٰ، يكون صداها علىٰ مرّ العصور والأجيال.

زينب عليها السلام ووصايا الإمام الحسين عليه السلام:

جاء في بعض المصادر[1] أنّ الإمام الحسين عليه السلام نهىٰ أخته الحوراء زينب عليها السلام عن اللطم وشق الجيوب وجزّ الشعور ونحوها من الأُمور، التي تصدر - عادة - من الحزين الكئيب المغلوب علىٰ أمره.

فالإمام عليه السلام كان يحذّر أخته من ذلك لكي لا يشمت به الأعداء، وهذا معنىٰ جليل نفيس يريده كلّ عزيز النفس، وبالأخص مثل سيد الشهداء عليه السلام الذي ما لوىٰ رأسه للعدو لحظة واحدة، ولا بايع الطغاة مكرهاً حتّىٰ قُتل قتلة تُضرب فيها الأمثال، وتتمناها الأحرار.

العقيلة عليها السلام تمتثل وصايا الإمام الحسين عليه السلام:

من دون شك وريب انّ العقيلة زينب الكبرىٰ عليها السلام قد امتثلت وصايا أخيها الحسين عليه السلام فلم تشق عند قتله جيباً، ولم تَخمشْ وجهاً، ولم تقل بما ينقص قدرها وشأنها؛ لأنّ شأنها وجلالتها فوق ذلك، فكانت تتلقىٰ المصائب التي نزلت

---

(١) نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٤٣٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٨، وانظر تاريخ الطبري ٤: ٣١٩.

بها بقلب صابر، وإيمان ثابت، فكانت تجمع العيال، وتصبّر الأطفال، وترعىٰ النساء المفجوعات بفقد الأحبّة، كل ذلك برباطةِ جأش، وصبر عظيم:

بأبي التي وَرِثتْ مصائب أمّها ... فغدت تُقابلها بصبر أبيها

لم تَلهُ عن جمع العيال وحفظِهم ... بفِراق إخوتها وقتل بنيها

فالحوراء زينب عليها السلام لم تزل حافظة لأخيها الوصية في جميع مظان شماتة العدو.

زينب عليها السلام تحاول حبس الغلام:

جاء في عدة مصادر لمّا كان الإمام الحسين عليه السلام فى آخر اللحظات من حياته الشريفة: خرج عبدالله بن الحسن بن عليّ عليهما السلام ـ وهو غلامٌ لم يُراهق ـ من عند النّساء يشتدُّ حتّىٰ وقف إلىٰ جنب الحسين عليه السلام فلحقته زينب بنت علي عليها السلام لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام: «احبسيه يا أُختي» فأبىٰ وامتنع عليها امتناعاً شديداً، وقال: والله لا أُفارق عمّي. وأهوىٰ أبْجَرُ بن كعب إلىٰ الحسين عليه السلام بالسيف. فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمّي؟! فضربه أبْجَرُ بالسيف، فاتقاها الغلامُ بيده فأطنّها إلىٰ الجلدة فإذا يدُه معلّقة، ونادىٰ الغلامُ: يا أُمّتاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: «يا ابن أخي، اصبر علىٰ ما نزل بك، واحتسِبْ في ذلك الخير، فإنّ الله يُلحقك بالصالحين»[1].

كلّ هذه الأحداث المؤلمة كانت تجري أمام العقيلة زينب عليها السلام، وهي تتحملها صابرةً محتسبةً؛ في تلك الساعات الحرجة واللحظات الرهيبة.

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٠، مثير الأحزان لابن نما: ٧٣، اللهوف: ١٧٣، بحار الأنوار ٤٥: ٥٣، اعلام الورىٰ ١: ٤٦٧، وراجع مثير الأحزان للشيخ شريف :٨٨.

من معاناة العقيلة زينب عليها السلام:

لقد عانت العقيلة زينب عليها السلام في يوم عاشوراء أنواع المحن، ومن جملة المحن التي عانتها مداراة النساء المذعورات، وسماعها بكاء الأطفال الصغار، وبالأخص بعد أن ودّع الإمام الحسين عليه السلام العائلة وداعه الأخير ونزل إلىٰ الميدان وحيداً لمقاتلة أعداء الدين.

لقد تحمّلت العقيلة زينب سلام الله عليها ـ حينئذٍ ـ مسؤولية إدارة العائلة التي ترهب هجمات الأعداء آونة بعد آونة، وترتقب الأسر ساعة بعد ساعة، بعد أن فقدوا الأهل والأنصار.

فكان يزداد حزن العقيلة سلام الله عليها لحظة بعد لحظة، فتارة تخنقها العَبْرة لمّا تنظر في الخيام، وتارة أُخرىٰ يتقطع نياط قلبها عندما ترمي بطرفها إلىٰ الميدان تراقب أوضاع سيد شباب أهل الجنة وعزيز أُمّها الزهراء عليها السلام، وهو وحيداً يقاتل الأعداء.

فجميع هذه المصائب والمحن زادت من فضلها، ورفعت من مقامها، وهي الصابرة المحتسبة.

خروج العقيلة عليها السلام:

وخرجت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي تندب أخاها الحسين عليه السلام بأشجىٰ ندبة، وهي تقول: «ليت السماء انطبقت علىٰ الأرض». لقد تصدّت زينب سلام الله عليها إلىٰ زمام الأُمور واستثمار الواقعة الرهيبة فأخذت تخاطب الجيش الأموي الذي كان يعتبر نفسه الفاتح العظيم، وذلك حينما دنا ذلك القائد الأموي الظالم مع جماعة من جنوده وأعوانه إلىٰ الإمام الحسين عليه السلام وكان يجود بنفسه وهو مطروح علىٰ رمضاء كربلاء، فقالت عقيلة بني هاشم سلام الله عليها لعمر بن سعد: أيّ

عمر أيُقْتَل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟!

فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل علىٰ لحيته[١]، فقالت: ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يُجْبها أحد[٢]!.

الهجوم علىٰ المخيّمات وموقف العقيلة عليها السلام:

بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ومصرعه، هجم الأعداء بكلّ قسوة ووحشية علىٰ خيام سيد الشهداء عليه السلام وهم علىٰ خيولهم!! وفيها الأطفال والنساء، وتسابق القوم على نَهْب بُيوت آل الرسول صلى الله عليه وآله، وقرّة الزهراء البتول، حتّىٰ جَعَلوا يَنزعون مِلْحَفة المرأة عن ظهرها!![٣].

فأخذوا يسوقون النساء بكعب الرماح، وهنّ يلُذن بعضهن ببعض، وقد أُخذ ما عليهنّ من أخْمرةٍ واسْوِرة وهنّ يندبن جدّهن المصطفىٰ صلى الله عليه وآله. وجاء في البحار، أنّ أحد الأوغاد القساة قد ضرب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام بكعب رمحه بين كتفيها بحيث سقطت علىٰ وجهها فوقعت مغشية عليها، ولكن عمتها زينب عليها السلام قد أدركتها وهي تبكي عندها[٤].

وروي عن السيدة زينب عليها السلام أنها قالت: كنتُ في ذلك الوقت ـ بعد الهجوم علىٰ الخيام ـ واقفة في الخيمة إذ دخل رجل أزرق العينين فأخذ ما كان في الخيمة،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٥، الكامل في التاريخ ٤: ٧٨، نهاية الأرب ٢٠: ٤٥٩.

(٢) الارشاد للمفيد ٢: ١١٢.

(٣) معالي السبطين ٢:٨٦ الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني. وانظر: امالي الصدوق: ١٤٠ الحديث ٢ المجلس ٣١، والارشاد ٢: ١١٢.

(٤) انظر بحار الأنوار ٤٥: ٦١.

ونظر إلىٰ عليّ بن الحسين عليه السلام وهو علىٰ نَطْع من الأديم[١] وكان مريضاً فجذب النَطْع من تحته، ورماه إلىٰ الأرض!!

قال حميد بن مسلم: انتهيتُ إلىٰ عليّ بن الحسين، وهو مريض ومُنبسط علىٰ الفراش، إذ أقبل شمر بن ذي الجوشن ومعه جماعة من الرَجَالة وهم يقولون له: ألا تقتل هذا العليل؟

فهمَّ اللعين بقتله، فقلتُ: سبحان الله! أتقتل الصبيان؟! إنما هو صبي.

فلم يمتنع اللعين وسلَّ سيفه ليقتله، فألقتْ زينب عليها السلام بنفسها عليه وقالت: واللهِ لا يُقتل حتّىٰ أُقتل[٢]. فانصرفوا عن ذلك.

وفي نور الأبصار وتاريخ القرماني[٣]: همّ شِمر بقتل عليّ بن الحسين زين العابدين، وهو مريض فخرجت إليه زينب بنت علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وقالت: والله لا يُقتل حتّىٰ أُقتل، فكفّ عنه[٤].

وهكذا نجا الإمام عليه السلام منهم بموقف عمته زينب عليها السلام بطلة كربلاء.

انقاذ العقيلة عليها السلام للإمام السّجاد عليه السلام:

لقد تعرض الإمام السّجاد عليه السلام إلىٰ هجمة شرسة من قبل الجناة الجفاة للقتل ـ الحتمي ـ مرتين على الأقل؛ وذلك بعد مقتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) النَطْع: بساط من الجلد يُفرش تحت الإنسان. الأديم: الجلد المدبوغ.

(٢) انظر معالي السبطين ٢: ٨٧، الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني، وراجع أسرار الشهادة ٣: ١٢٩.

(٣) نور الابصار ٢: ٢٤٣، تاريخ القرماني ١: ٣٢٣.

(٤) وفي المنتظم (لابن الجوزى) ٥: ٣٤١: إنّ ابن سعد هو الذي أمر بقتل الإمام زين العابدين فوقعت عليه زينب وقالت: لا يقتل حتّىٰ أُقتل.

الأُولىٰ: لمّا هجم الأعداء علىٰ مخيم الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده عصر يوم عاشوراء وبدأوا بالنهب والسلب فدخل الشمر اللعين إلىٰ خيمة الإمام السّجاد عليه السلام ،ثمّ جرّد السيف ليقتله، فانكبت عليه عمته زينب سلام الله عليها واعتنقته وصاحت ان أردتم قتله فاقتلوني قبله، فكف الأرجاس عنه، (كما عرفت آنفاً)، ولولا موقف العقيلة هذا لقتلوا الإمام عليه السلام لأنّهم في غاية القسوة والخسّة.

الثانية: في مجلس عبيدالله بن زياد في الكوفة، لما نظر إلىٰ الإمام عليه السلام وقال له مَنْ أنت؟ قال: أنا علي بن الحسين، قال اللعين أوليس الله قد قتل عليّاً. فقال الإمام عليه السلام: كان لي أخ أكبر مني يسمّىٰ عليّ، قتله الناس يوم كربلاء. فقال ابن زياد: بل الله قتله. فقال الإمام عليه السلام: الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال أو بك جرأة علىٰ ردّ جوابي. ثمّ أمر الجلاوزة بقتله، فهنا قامت العقيلة زينب سلام الله عليها ورمت بنفسها عليه، وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا ماسفكت فاتركه، وان كنت اردت قتله فاقتلني قبله. فتعجب ابن زياد من هذا الموقف، وقال عجباً للرحم! فانّها تود أن تُقتل دونه، ثمّ قال: فاتركوه، فتركوه[1].

ولقد سجّل التاريخ لزينب الكبرىٰ سلام الله عليها هذا الموقف السامي بالاضافة إلىٰ مواقفها الكريمة الأُخرىٰ.

العقيلة عليها السلام أمام الجسد الطاهر:

بعد أن هوىٰ أخوها سبط الرسول صلى الله عليه وآله صريعاً علىٰ الأرض، وقد مزقت سيوف النفاق ورماح الكفر جسده الطاهر، ومثّل به العدو الغادر كأعظم وأقسىٰ ما يكون التمثيل، وقد أُحتز رأسه الشريف بسيوف البغاة الجفاة، انبرت إليه أُخته لبوةُ

---

(١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٠، تاريخ ابن الاثير ٤: ٨٢.

حيدر، ولتبدأ مرحلة جديدة من نهضة أخيها الحسين عليه السلام، فوقفت أمام جسده الطاهر وهو في تلك الحالة المفجعة، فرمقت السماء بطرفها، وقالت هذه الكلمات الخالدة التي تكشف عن قوة ايمانها، ورسوخ عقيدتها، وعظم شخصيتها، حيث قالت:

«اللهم تقبل منّا هذا القربان...»[١].

لقد عبّر موقف العقيلة هذا عن أروع الصمود والقمة في التضحية في سبيل العقيدة والدين.

السلب والنهب:

قال الخوارزمي: وأقبل الأعداء ـ بعد مصرع الحسين عليه السلام ـ على الخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن فأخذوا كلّ ما كان بالخيام.. ثمّ توجهوا نحو الخيل والإبل فانتهبوها[٢].

وتسابق القوم على نهب بيوت الخيام. ولقد عمد طغاة النظام الأموي وأجلافهم إلى حرق خيام سيد الشهداء عليه السلام بعد استشهاده، غير حافلين بمن في الخيام من عقائل النبوة ومخدّرات الوحي وأطفال آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فاضرموا النار فيها، ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر باكيات، تلاحقهنّ اليتامى والأطفال، فقد علا صراخهم، وقد هاموا على وجوههم في البيداء.

وفى بعض النقول: ثمّ أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار،

---

(١) لقد ذكر هذه الجملة الخالدة للعقيلة زينب عليها السلام: المظفري في الطراز المذهب: ٣٦، والنقدي في كتابه زينب الكبرى عليها السلام: ٩٤ ، والحائري في شجرة طوبى: ٣٩٣، والجزائري في الخصائص الزينبية: ٢٠ وغيرهم.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى ٢: ٣٨.

فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات[١].

وكان هول ذلك المنظر من أفجع ما رأته زينب سلام الله عليها والإمام السّجاد عليه السلام.

حيث كان الإمام عليه السلام تلاحقه ذكريات كربلاء، وما جرىٰ علىٰ أبيه وأهل بيته عليهم السلام، من الرزايا والخطوب، وكان كلّما نظر إلىٰ عمّاته وأخواته تذكّر فرارهنّ يوم الطف من خيمة إلىٰ خيمة، ومن خباء إلىٰ خباء، ومنادي القوم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين، فيحزن أشدّ الحزن وأمرّه وأقساه.

جاء في بعض المصادر عن الإمام السّجاد عليه السلام قائلا:

«وإني نظرت إلىٰ أبي واخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني وانّي لا أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة إذا نظرت إلىٰ عماتي وأخواتي ذكرت فرارهنّ من خيمة إلىٰ خيمة»[٢].

رأىٰ اضْطِرامَ النّار في الخِباء ... وهو خِباءُ العِزِّ والإباءِ
رأىٰ هُجُومَ الكُفْرِ والضّلالةِ ... علىٰ بناتِ الوحي والرّسالةِ
رأىٰ فِرارهُنَّ في البيداءِ ... وهو عليه أَعظمُ الأرْزاءِ
شاهدَ في عقائِلِ النّبوّةِ ... ما ليس في شريعةِ المُروّةِ
مِنْ نَهْبِها وسَلْبِها وضَرْبِها ... ولا مُجيرَ قَطُّ غيرَ ربّها[٣]

وكانت العقيلة زينب عليها السلام تعيش هذه الأحداث بمرارة وألم وتحاول انقاذ الإمام السّجاد عليه السلام من وسط النار المشتعلة من جهة، ومن جهة أُخرىٰ كانت تنظر

---

(١) انظر: اللهوف: ١٨٠، ومعالى السبطين ٢: ٨٨، الفصل الثاني عشر، المجلس الثاني.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٤٦.

(٣) هذه الأبيات للشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله يصوّر فيها ما رآه الامام السجاد عليه السلام عندحرق الخيام يوم عاشوراء. راجع ديوانه الأنوار القدسية: ٦٧.

إلى النساء والأطفال وهم يذودون بعضهم ببعض.

يقول السيد حيدر الحلّي[١] في قصيدة له، يَصِفُ فيها ساعة هجوم الأعداء على مُخيّمات الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته:

وحـــائرات أطـــارَ القـــومُ أعـــيُنَها ... رُعْـــباً غَـداةَ عـليها خِـدرَها هَـجَموا
كانتْ بـحيثُ عـليها قـومُها ضَـربتْ ... سُـــرادقـــاً أرضـــهُ مِـن عِـزّهِمْ حَـرَمُ
يَكـــادُ مِـــن هَـــيبَةٍ أنْ لا يَـطوفَ بـه ... حـــتّى المَـــلائكُ ولا أنّـــهم خَـــدَمُ
فَغُودِرَتْ بـين أيـدي القـوم حـاسِرةً ... تُسبى وليسَ تَرى لها مَن فيه تَعتصِمُ
نَـــعمْ لَـــوَتْ جِـيدها بـالعَتْبِ هـاتِفةً ... بـــقَوْمِها وحَشـــاها مِـــلْؤُهُ ضَـــرَمُ
عَجّتْ بِهم مُذْ على أبرادِها اختَلَفتْ ... أيدي العَدوّ؛ ولكـن مَـن لَـها بِـهِمُ[٢]

نعم، لقد قامت تلك العصابة المجرمة التي انمحت عن نفوسها جميع أفانين الشرف والكرامة إلى نهب امتعة الإمام الحسين عليه السلام ورحله، وأحرقوا الخيام، وسلبوا ما على النساء والأطفال، وتركوهم بلا خباء وغطاء!!

رضّ الجسد وقطع الرؤوس:

بعد ارتكاب تلك المجازر الوحشية بحق الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وبعد أن أضرموا النار بمخيمات سيد الشهداء عليه السلام، ما اكتفوا بذلك، بل ابتدعوا ظاهرتين جديدتين في التاريخ الإسلامي:

الأُولى: رض جسد الإمام الحسين عليه السلام الطاهر بحوافر الخيل، لقد اختار

---

(١) السيّد حيدر الحلّي المتوفى ٣٠٤ هـ شاعر مكثر ومجيد في رثاء الامام الحسين عليه السلام وشعره كلّه أو جلّه ثورة وحماس واستنهاض.

(٢) ديوان السيد حيدر الحلّي ١: ١٠٥.

عمر بن سعد ـ لعنه الله ـ عشرة نفر ليرضّوا جسد الحسين عليه السلام، منهم إسحاق الحضرمي، والأخنس بن مرثد، القائل في ذلك:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر بكل يعبوب شديد الأسر

حتّىٰ عصينا الله ربّ الأمر بصنعنا مع الحسين الطهر

فداسوا حسيناً عليه السلام بخيولهم، حتّىٰ رضّوا صدره وظهره، فسُئل ـ ابن سعد ـ عن ذلك، فقال: هذا أمر الأمير عبيدالله[1]!!

الثانية: قطع ثمانية وسبعين رأساً[2] من الشهداء الأبطال بعد القتل، اقتسمت حملها القبائل فيما بينها، وسيّروها.

فكانت هذه المشاهد المؤلمة بمرأىٰ من العقيلة زينب سلام الله عليها، وهي تحترق ألماً وحزناً علىٰ أخيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته.

ليلة الحادي عشر من المحرّم:

حلّ موعد غروب الشمس من العاشر من المحرم لعام ٦١ هـ وقد غابت

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) من اللازم بالذكر: انّ بعض الرؤوس لم تقطع ـ كرأس الحر والطفل الرضيع ـ وبعضها قطعت في أثناء الحرب وخفي أثرها. وهذا العدد هو الذي ذكره ابن طاووس هو المتيقن من الرؤوس المسيّرة مع السبايا بعد المعركة. انظر مقتل السيد بحر العلوم (الهامش): ٤٦١، وراجع اللهوف: ١٩٠.

ولم يسلم من أنصار الحسين عليه السلام ـ علىٰ الظاهر ـ إلّا ثلاثة:

الضحاك بن عبدالله المشرقي، وعقبة بن سمعان مولىٰ الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، والمرقع بن ثمامة الأسدي، كما ذكر ذلك الطبري ووثقه الشيخ شمس الدين في كتابه أنصار الحسين عليه السلام. راجع الطبري ٤: ٤٧، وانظر انصار الحسين عليه السلام: ٦٤.

معها تلك النجوم الزاهرة، وتوقف الأفق حزناً، وأطلقت السماء مدامعها جزعاً، وطأطأت الأرض خجلاً من أعمال جيش الغدر والخيانة، فاقدي الرجولة، اعداء الدين والإنسانية.

حلّ الظلام في اليوم العاشر من المحرم، والحزن قد أحاط بالكون، والكآبة قد عمت أرض كربلاء حيث انقطعت تلك الأصوات التي كانت ترتفع بمناجاة ربّها، وخلت تلك الخيام من الأقمار الزاهية التي كانت تتلو القرآن وتصلّي إلى بارئها.

وأمّا حال النساء المخدرات فبقين في تلك الصحراء الموحشة وقلبهن يعتصر ألماً من شدّة الحزن والأسى، يندبن الشهداء بصمت ووقار، وأنفاسهن تتردد بحرارة، وأعينهنّ تذرف الدموع على تلك الواقعة الأليمة، وكانت بطلة كربلاء زينب الكبرى عليها السلام هي التي تحرس الخيام، وتتفقد الأطفال، لتؤدي دورها الجديد، وتتحمل مسؤولية العائلة، وتستعد لنشر أهداف النهضة الحسينية، وتكمل مسيرة أخيها، ولم تدع أن يستولي عليها الحزن العميق، بحيث تكون أسيرة حزن، وحليفة ذهول، ورهينة جزع؛ لعظم المصاب التي حلّ بها، ولفداحة الرزء الذي أصابها، بل كانت فوق ذلك كلّه، فأصبحت سيدة الموقف، فلم يجد الضعف إلى عزيمتها سبيلاً، لأنّها صاحبة رسالة ومبدأ وعقيدة.

نعم، أعظم ليلة مرّت على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله هي ليلة الحادي عشر من المحرم، جنّ عليهنّ الليل وهنّ في ظلام دامس يتراكضن في البيداء بين رحل منتهب، وخباء محترق، وحماتهنّ صرعى على أرض المعركة ولا محام لهنّ ولا كفيل، وقد أحاط بهنّ أعداء الدين. وعلى مقربة من العائلة المفجوعة جحفل جيش الغدر، تهزّه نشوة الظفر وتغمره طيش النصر.

فبقين حرائر النبوة وودائع الرسالة تلك الليلة في ذلك الوضع المؤلم

وعقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها تدير أمر العائلة، ولم يكن مَنْ يسكّن ألمهنّ ولا يخفف من وجدهنّ، غير العقيلة عليها السلام التى كانت تسمع صراخ الصبية وأنين النسوة.

وكانت تخاطب جدّها صلى الله عليه وآله وتشكو له حزنها:

كَيْفَ القَرارُ؟ وفي السّبايا زينبُ ... تَدْعُو بِفَرْط حَرارةٍ يا أَحمدُ

هذا حُسَيْنٌ بالسّيوفِ مُبَضَّع ... مُتَلَطّخٌ بدِمائهِ مُسْتَشهِدُ

المرور علىٰ مصارع الشهداء:

انّ المنافقين من بني أُميّة تركوا الحسين عليه السلام علىٰ وجه الأرض ملقىٰ بغير دفن وكذلك أصحابه، وجاؤا بالنساء قصداً وعناداً وعبّروهم علىٰ مصارع آل الرسول صلى الله عليه وآله[1].

فهنا أخذت زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم تندب أخاها، قال الراوي:

«فوالله لا أنسىٰ زينب بنت عليّ عليه السلام، وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين، وقلب كئيب: يا محمّداه! صلّىٰ عليك مليك السّماء هذا حسينك مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتك سبايا، إلىٰ الله المشتكىٰ وإلىٰ محمّد المصطفىٰ وإلىٰ عليّ المرتضىٰ وإلىٰ حمزة سيّد الشهداء، يا محمّداه! هذا حسين بالعراء تسفي عليه ريح الصّبا، قتيل أولاد البغايا واحزناه، يا كرباه اليوم مات جدّي

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨ - ٤٤٩، الكامل فى التاريخ ٤: ٨١، جواهر المطالب (للباعونى) ٢: ٢٩١.

وهناك رواية أُخرىٰ: انّ النساء قلنّ بحق الله إلّا ما مررتم علىٰ مصرع الحسين عليه السلام، فلمّا نظر النسوة إلىٰ القتلىٰ صحنّ وضربنّ وجوههنّ. انظر: اللهوف: ١٨٠، البحار ٤٥: ٥٨، تظلّم الزهراء عليها السلام: ١٣٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله يا أصحاب محمّداه هؤلاء ذرّية المصطفى يساقون سوق السّبايا.

وفي رواية: يا محمّداه بناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة تسفي عليهم ريح الصّبا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرّداء، بأبي مَنْ أضحى عسكره في يوم الاثنين نهبا، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي مَنْ هو لا غائب فيرتجى ولا جريح فيُداوى[١].

وفى مقتل الخوارزمي وغيره: ومازالت تقول هذا حتى ابكت كلّ عدو وصديق، وحتّى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها[٢].

وجاء في مثير الأحزان لابن نما: ومررن على جسد الحسين عليه السلام وهو معفّر بدمائه مفقود من أحبائه، فندبت عليه زينب بصوت مشج وقلب مقروح... فأذابت القلوب القاسية، وهدت الجبال الراسية[٣].

وفي بعض المصادر: لمّا مرّت زينب بالحسين ووجدته صريعاً صاحت: يا مُحمّداه! هذا حُسين بالعراء مُرَمل بالدّماء مُقطّع الأعضاء! يا مُحمّد بناتُك سبايا، وذّريتُك مقتّلة. فأبكت كلّ عدوّ وصديق[٤].

لله صبر زينب العقيلة ... كم صابرت مصائباً مهولة

رأت من الخطوب والرزايا ... أمراً تهون دونه المنايا

رأت كرام قومها الأماجد ... مجزّرين في صعيد واحد

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٨٠ - ١٨١، بحار الأنوار ٤٥: ٥٨ -٥٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٩، وانظر: الدمعة الساكبة للبهبهاني ٤: ٣٧٤، ووفائع الأيام للخياباني ٢: ١٥٢.

(٣) مثير الأحزان: ٧٧.

(٤) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨، الكامل في التاريخ ٤: ٨١ خطط المقريزي ٢: ٣٢٨، تذكرة الخواص: ٢٣٠ - ٢٣١، نور الأبصار ٢: ٢٠٣.

رأت عزيز قومها صريعاً قد وزّعوه بالظبىٰ توزيعاً
رأت رؤوساً بالقنا تشال وجثثاً أكفانها الرمال
رأت رضيعاً بالسهام يفطم وصبية بعد أبيهم أيتموا
رأت شماتة العدوّ فيها وصنعه ما شاء في أخيها[1]

بكاء العدو والصديق:

إنّ العدو الظالم بعد ارتكابه المجزرة الكبرىٰ وقتله لسيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وأصحابه، قاموا بعمل اجرامي آخر لا يقل فظاظة عن الأول، وهو حملهم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا من كربلاء إلىٰ الكوفة فالشام. وقد بلغ هذا العمل الاجرامي ذروته حينما مرّوا بهذا الركب الحزين المفجوع علىٰ مصارع الشهداء، وهم مجزرين كالأضاحي على أرض كربلاء، وتحت أشعة الشمس المحرقة، قد مزّقت السيوف أجسادهم، وقطعت البواتر رؤوسهم.

وكانت العقيلة زينب عليها السلام علىٰ رأس الموكب تقوده فبدأت تعلن صرختها وتظهر تحديها أمام الملأ العام، فأخذت تستغل هذه الفرصة التي أراد العدو أن يحكّم فيها مكانته، ويبرز من خلالها قدرته، فاطلقت أول شرارة علىٰ بيوت الظالمين حيث أخذت تندب أخاها الحسين عليه السلام عندما مرّوا بها علىٰ مصرعه وهو مطروح علىٰ رمضاء كربلاء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء،

فأخذت تنظر إلىٰ جسد أخيها الطاهر، وأخذت تندبه بتلك الكلمات الحزينة، فبينت للجيش الأموي مظلومية أخيها ونبهتهم إلىٰ عظيم المأساة وفداحة

---

(١) هذه الأبيات من «المقبولة الحسينية» للشيخ هادى كاشف الغطاء، انظر مقتل الحسين عليه السلام للسيد بحر العلوم: ٤٦٥، وراجع مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣٦٦.

الجرم الذي ارتكبوه، بحيث أثّرت كلماتها في تلك القلوب القاسية فجعلتهم يبكون، وهي مع كلّ ذلك رابطة الجأش، قوية الجنان لم تخذلها مظاهر المأساة عن أداء رسالة أخيها الحسين عليه السلام.

لقد نقل الكثير من أرباب المقاتل والسير عبارة «بكاء العدو والصديق»[١] عندما ندبت أخاها الحسين عليه السلام في كربلاء، وهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

المأساة الخالدة:

لقد كتب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بدمائهم الطاهرة ملحمة التاريخ على أرض الطفوف، وصبغت دمائهم الزكية أرض كربلاء، واضحت عيون جميع الأحرار تطلق مدامعها، وتسيل عَبْرتها، لتلك المأساة التي حلّت بآل الرسول صلى الله عليه وآله.

لقد نصب أول عزاء حينما مرّوا بالسبايا على الأجساد الطاهرة وهم على صعيد كربلاء قد قُطّعت أجسامهم، وجمد عليها دماءهم!! ولكن ما حال اولئك النسوة والأطفال لمّا رأوهم على تلك الحال، وزينب الكبرى سلام الله عليها تندبهم بأشجى ندبة، بحيث اثّرت كلماتها على اعداء الدين والانسانية.

ولمّا نظر الإمام السّجاد عليه السلام إلى أهله مجزّرين وبينهم سيد الشهداء عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بحالة تفطّر الصخر الأصم، فاشتد حزنه وألمه، ولمّا تبينت ذلك منه زينب سلام الله عليها عقيلة بني هاشم، أهمها الأمر فأخذت

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨ - ٤٤٩، الكامل فى التاريخ ٤: ٨١، البداية والنهاية ٨: ٢١٠، جواهر المطالب ٢: ٢٩١، خطط المقريزي ٢: ٣٢٨، ٦: ٣٤٨، تذكرة الخواص: ٢٣٠ - ٢٣١، نور الأبصار ٢: ٢٠٣، وغيرهم.

تسلّي الإمام وتصبّره مع ما عليه من شدّة الصبر والتحمّل، وفيما قالت له:

«ومالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي واخوتي، فوالله انّ هذا لعهد من الله إلىٰ جدّك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات انهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرّجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يُدرس أثره ولا يُمحىٰ رسمه علىٰ كرور الليالي والأيام وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا علواً»[١].

كيفية حمل الرؤوس الشريفة:

وكانت كيفية حمل الرؤوس[٢] الطاهرة في ثلاث هيئات:

١ ـ حملها علىٰ الرماح.

٢ ـ التعليق بلبان الفرس.

٣ ـ حشرها وسط محامل النساء[٣].

وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ قسوة النظام الأموي، واسلوبه اللا انساني في اثارة نفسية الأسرىٰ والسبايا، وطريقته التي اتخذها في ارعاب الجماهير.

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٤، باب ٨٨، مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣٦٥.

(٢) تفيد بعض المصادر أنّ الرؤوس الشريفة أُرسلت إلىٰ الشام قبل السبايا كما في تاريخ الطبري ٤: ٣٥١، تاريخ دمشق ١٨: ٤٥٥، الإرشاد ٢: ١١٩. وبعض المصادر تقول مع الأسارىٰ، راجع: اللهوف: ٢٠٨، أمالي الصدوق: ١٤٠ ضمن حديث ٣، تاريخ ابن الأثير ٤: ٨٣، وانظر الاخبار الطوال: ٢٥٩.

(٣) انظر الحسين عليه السلام لمحمد حسين الصغير: ٢٢٧.

روايات السبي:

وقد روىٰ المسلمون كافّة روايات السبي[١] لنسوة الإمام الحسين عليه السلام وهنّ حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وبنات فاطمة الزهراء عليها السلام. وذكروا أيضاً دخولهنّ علىٰ عبيدالله ويزيد وروت المصادر بما لا يدع مجالاً للشك الكثير من الحوادث المؤلمة التي ارتكبها النظام الأموي بحق أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) راجع فى ذلك كلّ من ترجم الى يزيد، أو كتب حول واقعة الطف. واليك بعض الامثلة: جاء في مرآة الزمان وعبرة اليقظان لليافعي (ت ٧٦٨ هـ). ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ج ١ ص ١٠٩ في حوادث سنة ٦١: «ولما قُتل الحُسين وأصحابه سيقت حريمهم كما تُساق الأُسارىٰ قاتل الله فاعل ذلك، وفيهنّ جمع من بنات الحسين، وبنات علي رضي الله عنهما وعن الجميع، ومعهنّ زين العابدين مريضاً».

وذكر القرماني في تاريخه ج ١ ص ٣٢٣: «ان عبيدالله بن زياد: جهّز علي بن الحسين وما كان معه من حرمه بحيث تقشعر من ذكره الأبدان، وترتعد منه مفاصل الإنسان إلىٰ البغيض يزيد بن معاوية وهو يؤمئذٍ بدمشق مع الشمر بن ذي الجوشن».

الفصل الرابع

مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة

الحركة تجاه الكوفة:

وبعد الزوال من اليوم الحادي عشر من المحرم، ارتحل عمر بن سعد إلى الكوفة ومعه عائلة الإمام الحسين عليه السلام من النساء والاطفال[1]، وسيّر الجميع على اقتاب الإبل بغير وطاء، ومعهم الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام في حالة يرثى لها، ولمّا دخل الركب الكوفة، اجتمع أهلها ينظرون إلى ودائع خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وبينما الناس ينظرون إليهم، ويسألون عنهم، وفي صخب وضجّة، أومأت عقيلة بني هاشم زينب الكبرى عليها السلام إلى ذلك الجمع المتراكم والحشود الحاضرة فسكتوا جميعاً[2] حتّى كأنّ على رؤوسهم الطير، فاندفعت سلام الله عليها إلى الخطابة مع كمال الاطمئنان، وبكل ثبات وشجاعة، حيث القت على الحاضرين خطبة غرّاء يعجز البلغاء عن التفوّه بمثلها في مثل هذه الظروف الصعبة والأجواء الحرجة، وهي امرأة وقعت في أسر الأعداء الجفاة الطغاة، فكشفت بكلامها البليغ النقاب عن واقع الأمويين، ونشرت صحيفتهم السوداء، وخاطبت أهل الكوفة وحمّلتهم

---

(١) انظر الارشاد ٢: ١١٤.

(٢) ورد في كتاب «الفتوح» لابن أعثم (ت ٣١٤ هـ) ٥: ١٣٩: قال خزيمة الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي رضي الله عنه يومئذٍ ولم أرَ خَفِرة قط أفصح منها كأنّها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأومأت إلى الناس ان اسكتوا فارتدت الأنفاس وهدأت الأجراس، ثم قالت الحمد لله وصلواته على أبي محمدرسول الله صلى الله عليه وآله وآل الطاهرين... الخطبة.

المسؤولية في عدم نصرة الدين، ووبختهم على تقاعسهم وتخاذلهم، بحيث أحدث كلامها هزّة عنيفة في قلوب السامعين، وايقظت ضمائر الحاضرين، وجعلتهم حيارى ماذا يقولون.

حال السبايا:

قال الخوارزمي في مقتله: وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كما تساق الأُسارى، حتّى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم، وجعلوا يبكون ويتوجعون، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبل بالحديد، قد نهكته العلّة، فقال: ألا انّ هؤلاء يبكون ويتوجعون من أجلنا، فمن قتلنا إذن؟[١].

وجاء في اسعاف الراغبين: لما قتلوا الحسين وحزوا رأسه وأتوا به إلى ابن زياد فأرسله ومن معه من أهل بيته إلى يزيد ومنهم علي بن الحسين وعمته زينب فسر سروراً كثيراً وأوقفهم موقف السبي وأهانهم وصار يضرب الرأس الشريف بقضيب كان معه ويقول: لقيت بغيك يا حسين!! وبالغ في الفرح...ثمّ قال صاحب اسعاف الراغبين:

وفي هذه القصة تصديق لقوله صلى الله عليه وآله: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي قتلاً وتشريداً وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أُمية وبنو مخزوم»[٢].

الأهداف السياسية من وراء السبي:

بعد أن انتهت مجزرة كربلاء الرهيبة، قام المجرمون الطغاة باجراء انتقامي

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٠.

(٢) اسعاف الراغبين (لابن صبّان) المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٠٧.

مرعب، حيث تمّ انتقاء أكثر من سبعين رأساً من جثث القتلىٰ فقطعوها[١]، وذلك انتقاماً وتنكيلاً لمن شارك مع الحسين عليه السلام في نهضته، وأيضاً تحذيراً وارعاباً لمن يشارك في نهضة أُخرى.

وتمّ توزيع الرؤوس الطاهرة بصورة مدروسة فاقتسمتها القبائل التي شاركت في قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ولم يكتفِ بنو أُمية بهذا الاجراء الفضيع، بل عمدوا إلىٰ سوق بنات الرسالة وعقائل الوحي سبايا إلىٰ الكوفة ثمّ إلىٰ الشام تصحبها تلك الرؤوس الشريفة.

وكان هدف النظام الأموي الحاقد من هذه الاجراءات الانتقامية اهانة الشهداء ونسائهم وعوائلهم، وزرع الخوف في نفس مَنْ يفكّر في أيّ تحرّك مضاد يواجه به حكومة يزيد.

ولكن سرعان ما أُحْبطت الخطة السياسية لدىٰ الأمويين في اخماد النهضة الحسينية، والوقوف أمام أهدافها النبيلة، بل سرعان ما عاد إعلامهم في سبي بنات الرسول صلى الله عليه وآله وحملهم الرؤوس الطاهرة وبالاً عليهم؛ حيث كان في طليعة الأُسارىٰ العقيلة زينب سلام الله عليها التي بيّنت بمنطقها الجزل الجرئ وبموقفها الشجاع واقع الأمر، وفضحت النظام الأموي، وطوّحت بحلم الأمويين في تحقيق الغاية الاعلامية والهدف السياسي من إبراز السبايا، وبالتالي قد جرّ عملهم عليهم اعلاماً مضاداً، خيّب آمالهم، حيث عرف الناس واقع الحال، واطلعوا علىٰ خبث يزيد وأعوانه، وأثار في النفوس الاستنكار الفعلي والمستقبلي.

لقد كان لكلمات الإمام السّجاد عليه السلام وعمته العقيلة زينب سلام الله عليها وكذلك بقيّة سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله الأثر البارز في نشر أهداف نهضة سيد

---

(١) راجع: اللهوف: ١٩٠، البحار ٤٥: ١٤٠.

الشهداء عليهم السلام وفضح النظام الأموي الشرس، وذهبت أحلام الطغاة أدراج الرياح.

خطب العقيلة عليها السلام وكلماتها:

لقد اقترن اسم العقيلة زينب عليها السلام في التاريخ الإسلامي والإنساني بمأساة كربلاء، ولم يجحد أحد دورها في تلك الواقعة الأليمة، وبالأخص في اللحظات الحرجة، حيث كانت مواقفها الجريئة الخالدة من ابن زياد ويزيد، وبها حمىٰ الله أهداف نهضة أخيها، ونشرت رسالته، وحفظت عياله وأهل بيته.

انبرت العقيلة سلام الله عليها لتقيم علىٰ الطغاة الحجّة، وتسدّ أمامهم كلّ المنافذ لتبرير سياستهم وتوجيه ظلمهم، فخطبت الخطب الغرّاء في الكوفة والشام، بحيث اذعن لها الجميع بالسكوت والانصات، فوضعت النقاط علىٰ الحروف، وبيّنت للأمة زيف النظام الأموي، وذلك بما أُوتيت من روائع الحكمة وفصل الخطاب، وهي في تلك الظروف الحرجة، والأجواء الصعبة، الذي يعجز عن الاتيان بخطبها أيّ خطيب بارع، ولكن ذلك ليس غريباً وبعيداً علىٰ اهل البيت عليهم السلام الذين هم معادن العلم والحكمة، والتي غذّاها أبوها أمير المؤمنين عليه السلام بعلومه ومعارفه، وأفاض عليها بمكوناته النفسية، من علم وشجاعة وتقوىٰ و...

فكانت خطب العقيلة سلام الله عليها وكلماتها ثورة علىٰ حكومة بني أُمية، فنسفت قواعد حكومتهم، وعجّلت في انهيار سلطانهم.

ووصف الرواة بعد كلامها في الكوفة: أن الناس حيارىٰ واضعي ايديهم علىٰ رؤوسهم.

كانت كلمات حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله تنير العقول، وتفتح آفاقاً كريمة في أذهان الجماهير، بحيث ازالت الستار عن صروح الحق المتمثل بنهضة أخيها سيد

الشهداء عليه السلام، وفضحت الباطل وأخزت أهله وعلىٰ رأسهم يزيد وأمثاله.

ومن مميزات خطابات العقيلة سلام الله عليها الصراحة والجرأة في الإصحار بالحق.

لقد فضحت الحكومة الأموية وكشفت واقعهم وايقظت ضمائر الأمة وحرّكت عواطفهم، وبينت للمسلمين جرائم يزيد وأعوانه، وكسرت حاجز الخوف الذي كان مصيطراً علىٰ الناس عندما رأوا كيف تتحدىٰ السيدة زينب سلام الله عليها الحكومة الأموية الظالمة وأمام الملأ، وهي تبعث في الجماهير المحتشدة روح المقاومة والجهاد.

دور العقيلة زينب عليها السلام ومسؤوليتها:

كان للعقيلة زينب عليها السلام الدور المهم في واقعة كربلاء، حيث قامت بالدور الإعلامي، فلولاها لما عرف الكثير من الناس عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام أي شيء، فقد حمل التاريخ رسالة زينب سلام الله عليها معه وأخلد كلماتها، وهي تقف تلك المواقف الشجاعة في يوم عاشوراء، وبعد المعركة، في كربلاء والكوفة والشام، ومن ثمّ بعد رجوعها الى المدينة، فنشرت مبادئ نهضة سيد الشهداء عليه السلام والأهداف التي من أجلها ضحّىٰ هو وأهل بيته وأصحابه، حيث بيّنت للأمة زيف يزيد واتباعه، وفضحتهم، وأخرست ألسنتهم، وأخمدت فتنتهم.

فكانت العقيلة ترىٰ من واجبها الديني الوقوف أمام أصول الجور ومعقل النفاق، لذا سنتعرض إلىٰ ذكر كلماتها وخطبها في الكوفة والشام أمام الطواغيت والجبابرة أمثال ابن زياد وابن آكلة الأكباد، وذلك ايقافاً للقارئ الكريم علىٰ شجاعة هذه الحرّة الطاهرة زينب الكبرىٰ عليها السلام بنت إمام المسلمين وسيّد الموحدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المعروف بايمانه وشجاعته.

فكانت صلوات الله عليها معروفة بفصاحة المنطق وجزالة القول وحسن البيان مع الإيجاز في تأدية المعاني على أبلغ وجه وأحسنه، بحيث كانت تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السلام كما شهد بذلك مَنْ سمع خطبها وكلماتها، فلا عجب من ذلك وهي التي تربت في بيت النبوة، ونشأت في حجر الإمامة.

فكانت كلماتها أقطع من السيف وأحد من السنان، وكانت خطبها كالصواعق المحرقة تنزل على رؤوس الجبابرة والطواغيت.

خطبة[1] العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة:

جاء في خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة:

---

(١) من مصادر خطبة الكوفة: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٣٩، أمالي المفيد: ٣٢١ المجلس ٣٨، أمالي الطوسي ١: ٩٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٠، مثير الأحزان لابن نما: ٨٦، اللهوف: ١٩٢، الدر النظيم للشامي من أعلام القرن السابع: ٥٥٩، تسلية المُجالس وزينة المجالس ٢: ٣٥٣، بحار الأنوار ٤٥: ١٠٩، جلاء العيون ٢: ٢٨١، تظلم الزهراء عليها السلام: ٢٤٤، الايقاد: ١٥١، لواعج الاشجان: ٢٠١، أعيان الشيعة ٧: ١٣٨، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٢٣٣، معالي السبطين ٢: ١٦٤، ذريعة النجاة: ٣٠٤، مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٣٧٠، بلاغات النساء لابن أبي طيفور: ٤١، ونثر الدر للآبي ٤: ٢٩، والتذكرة الحمدونية ٦: ٢٦٤، ونُسبت الخطبة في المصادر الثلاثة الأخيرة إلى أُم كلثوم.

اقول: لعل المتتبع في كتب الحديث والتاريخ يطمئن، بل يقطع بأن المقصود من «أُم كلثوم» في الكثير من الموارد هي العقيلة زينب سلام الله عليها.

ولقد اشار المحقق الشيخ جعفر النقدي في كتابه «زينب الكبرى»: ١١٨ الى ذلك قائلاً: ونحن تحت هذا العنوان نذكر من أخبار الطف ما فيه اسم صريح لزينب سلام الله عليها، وان كانت أم كلثوم الواردة في أكثر الموارد المراد بها هذه الطاهرة أيضاً، بقرينة أنّ بعض الرواة يذكر اسم زينب في الخبر الذي يذكره غيره باسم أم كلثوم، ولأنها هي الرئيسة المطلقة للحرم الحسيني والكفيلة الوحيدة لعياله، وأطفاله عليه السلام.

الحمدُ لله والصلاة علىٰ أبي محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الأخيار.

أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتْلِ[١] والغَدْر!!

أتَبكون؟ فلا رَقأت[٢] الدمعة، ولا هدأت الرَنّة[٣].

إنما مَثَلكم كَمَثل التي نَقَضَتْ غَزْلَها من بَعْدِ قوّةٍ أنكاثاً، تتّخِذُون أيْمانَكُم دَخَلاً بينكم[٤].

ألا وهل فيكم إلّا الصّلِف[٥] النَطِف[٦] والصّدرُ الشَّنِف[٧] ومَلَق[٨] الإماء

---

(١) الخَتل: الخدعة. وفي بعض النسخ (الخَتر) وهو شِبْهُ الغَدْر، لكنّه أسوأ أنواع الغدر. راجع لسان العرب، مادة: «ختل» و «ختر».

(٢) رقأت الدمعة: سكنت أو انقطعت بعد جريانها.

(٣) الرَنة: الصوت (الحزين عند البكاء).

(٤) شبّهت العقيلة زينب عليها السلام أهل الكوفة بالمرأة التي نقضت غزلها من بعد نقضه. وهذا التشبيه مستقى من الآية المباركة في سورة النحل: ٩٢، وهو يدلل علىٰ مستوىٰ رفيع في البلاغة والأدب العربي.

«انكاثاً» جمع نكث، وهو الصوف والشعر، يُبرم ويعمل منه الخيوط ثم يُنكث: أي ينقض ويُفل بعد الإبرام. وقد شبّه الله تعالىٰ ناقض العَهْد بتلك المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوّة وإبرام.

الدخل: المكر والخيانة.

(٥) الصَّلَف: مجاوزة الحدّ والادّعاء فوق ذلك تكبّراً والتمدّح بما ليس عنده. ويعبّر عن البخيل بهذه الكلمة، ولعلّ المراد بها هنا الوقح.

(٦) النَطِف: المتلطخ بالعيب، كما في كتاب العين للفراهيدي والصحاح للجوهري.

(٧) الشَنف: المبغض.

(٨) الملَق: التذلّل.

وغَمْزُ[١] الأعداء؟

أو كَمَرْعىً على دِمْنة[٢] أو كفضة على مَلْحُودة[٣].

ألا ساءَ ما قَدّمتْ لكم أنفسُكم أنْ سَخطَ اللهُ عليكم وفي العذاب أنتم خالدون[٤].

---

(١) الغمز: الطعنة.

(٢) المرعى: محلّ العِشْب الذي يَسْرح فيه الحيوان.

الدِمْنة: ما تُدْمِنُهُ الإبل والغنم بأبوابلها وأبعارها فيتلَبّدُ في مرابضها، بحيث تتماسك الأوساخ المتكونة في الروث والبول والتُراب، فينبت فيها ـ أحياناً ـ النبات وقد يُعْشِبُ ويَحْسُنُ منظره.

والغرض من التشبيه بأنّ الدِمنة وان زها منظرها بالنبت ولكن جذورها نابتة في مكان وسخ مجمع القاذورات والجراثيم وبالتالي لا يكون طيباً، وكذا أهل الكوفة وان زها ظاهرهم بالإسلام ولكن واقعهم مظلم وأعمالهم هذه تدلل على ذلك.

(٣) اللَحْد: القَبْر. المَلْحودة: القَبْر.

في رواية اللهوف لابن طاووس ومثير الأحزان لابن نما: (فضة) بالفاء الموحدة والضاد المعجمة، وفي العديد من المصادر الأُخرى (قَصّة) بالقاف المثناة والصاد المهملة، وهي بمعنى الجص. والظاهر هذا هو الأنسب وعلى كلا المعنيين لعلّة المراد بذلك المقارنة بين الأمر الظاهري والباطني، سواء كان مجصصاً بالجص والآجر أو مزيناً بالفضة،يبدو جميلاً من الخارج وفي داخله يتضمن جثماناً لجثة متعفنة. وكذا الناس الذين خطابتهم عقيلة بني هاشم ظاهرهم مزين بالإسلام وباطنهم طبع على الغدر والنفاق.

قال ابن الأثير في النهاية ٤: ٧١ ما دة «قصص»: القَصّة، وهي الجص. ومنه حديث زينب: «ياقصّة على ملحُودة» شبّهت أجسامهم بالقبور المتخذة من الجص، وأنفسهم بجيف الموتى التي تشتمل عليها القبور.

(٤) اشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة الآية: ٨٠ ﴿ترى كثيراً مِنْهم يَتَوَلّون الّذين كفَروالبِئسَ ما قدّمَتْ لَهُم أنفسهُمْ أنْ سَخِطَ اللهُ عليهم وفي العذاب هُمْ خالِدون﴾.

أتبكون وتَنْتَحِبون؟

أي والله، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً[١].

فلقد ذَهبْتُم بِعارها وشنارها[٢]، ولن تَرحَضُوها[٣] بِغَسلٍ بعدها أبداً.

وأنّىٰ تَرْحَضون قَتْلَ سَليل خاتم النبوة؟ ومعدِن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، ومَلاذ خِيرَتكم، ومَفْزع نازلتكم[٤]، ومَنار[٥] حُجّتكم، ومِدرَة[٦] سَنتكم[٧]؟

ألا ساءَ ما تَزِرُون وبُعداً لكم وسُحْقاً[٨]، فَلَقَد خابَ السعيُ، وتَبّت[٩] الأيدي، وخسِرَت الصَفْقَة[١٠]، وبُؤتُم بغضبٍ من الله، وضُربت عليكمُ الذِّلةُ والمسكنة[١١].

---

(١) اشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة التوبة الآية ٨٢: ﴿فليضحكُوا قليلاً ولْيَبْكُوا كثيراً﴾. وهذا تهديد وانذار من عقيلة بني هاشم عليها السلام إلىٰ أهل الكوفة علىٰ ما صدر منهم من أعمال.

(٢) الشنار: العيب والعار.

(٣) رَحَضَ: غَسل. ترحضوها: تَغْسِلوها.

(٤) النازلة: الشديدة من شدائد الدهر.

(٥) المنار: العَلَم يُجْعل للطريق.

(٦) المِدْرَة: زعيم القوم ومرجع رأيهم.

(٧) السَنة: العام القَحط، وقيل السَنَة المُجْدبة، وقيل: غلب اطلاق كلمة «السنة» علىٰ القحط،راجع «العين» للخليل الفراهيدي، ولسان العرب لابن منظور.

(٨) السُحق: البعد.

(٩) تبّت: خَسِرت وهَلَكَت.

(١٠) الصفقة: المعاملة، سواء في البيع أو في أيّة مُعاملة أُخرىٰ.

(١١) هذا الكلام مستقىٰ من قوله تعالىٰ في سورة البقرة الآية ٦١: ﴿وضُربت عليهمُ الذِّلّةُ والمَسْكَنة ﴿ وباؤا بغَضبٍ من الله﴾.

باءَ: رجع. الذِّلة: الهوان. المسكنة: الفقر الشديد والبؤس.

ويلكم أهل الكوفة! أتَدْرون أيّ كبِدٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله فرَيْتُم[١]؟! وأيّ كريمةٍ[٢] له أبرَزْتُم؟! وأيَّ دَمٍ لَهُ سَفكتُم؟! وأيّ حُرْمة[٣] له هَتَكْتُم؟!

لقد جِئتُمْ بها صَلْعاء[٤]، عَنْقاء[٥]، سوداء، فَقْماء[٦].

(في بعض النسخ: خرقاء[٧] شوهاء[٨] كطلاع[٩] الأرض وملأ السماء).

أَفَعَجِبْتُم أن مطرت السّماء دماً[١٠]؟ ولَعذاب الآخرة أخزىٰ وأنتم لا تُنصرون، فلا يستخفّنكم المَهل[١١]، فانّه لا يحفزه[١٢] البدار[١٣]، ولا يخاف الثار، وإنّ ربّكُم لبالمرصاد[١٤]».

---

(١) فَرَيْتُم: قطعتم.

(٢) كريمة الرجل: ابنته. زينب عليها السلام بنت فاطمة الزهراء عليها السلام وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. أي زينب عليها السلام حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله والحفيدة تُعتبر بنتاً للرجل.

(٣) حرمة الرجل: أهله. والحرمة: الشيء الذي لا يحلّ انتهاكه.

(٤) صَلْعاء: تسمّىٰ الداهية صلعاء، أيّ بارزة ظاهرة لا يخفىٰ أمرها. انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٣: ٣٠٤ «صلع».

(٥) العنقاء: الداهية. صحاح اللغة ٤: ١٥٣٤ «عنق».

(٦) الفقماء: أي الأمر العظيم، تفاقم الأمر: اى عظم. صحاح اللغة ٥: ٢٠٠٣ «فقم».

(٧) خرقاء: حمقاء، أو من الخرق ضد الرفق.

(٨) الشوهاء: القبيحة، الشوه: قبح الخِلقة.

(٩) طِلاع الأرض ـ بالكسر ـ: ملؤها. وهنا كناية عن حجم الجريمة التي ارتكبوها.

(١٠) لقد تواترت الأخبار بذلك ولقد نقلها عامة المسلمين.

(١١) المَهل (بالتحريك): التؤدة. وأمهله: انظره، ومهّله تمهيلاً، والاسم المُهلة (بالضم). الصحاح ٥: ١٨٢٢ «مهل».

(١٢) الحفز: الحث والاعجال.

(١٣) البدار: الاسراع في الأمر.

(١٤) المِرْصَاد: المكان يُرقَبُ منه العدو.

ولقد وردت الخطبة ايضاً في بعض المصادر بهذا المضمون مع بعض الاختلافات بالالفاظ وزيادات، كما في كتاب «الاحتجاج»[١] وهي ايضا في غاية الروعة، ومن اراد الاطلاع، عليه بمراجعة المصدر المذكور.

شدّة تأثير الخطبة:

وما أتمت حديثها عقيلة بني هاشم سلام الله عليها حتّىٰ ضجّ الناس بالبكاء والنحيب.

قال الراوي: فرأيت الناس حيارىٰ قد ردّوا أيديهم في أفواههم، فالتفتُ إلىٰ شيخ فى جانبي يبكي وقد اخضلّت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلىٰ السّماء، وهو يقول: بأبي وأُمّي كهولكم خير الكهول، ونساؤكم خير النّساء، وشبابكم خير الشباب، ونسلكم كريم، وفضلكم فضل عظيم[٢]، ثمّ أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم إذا عدَّ نسل لا يبور ولا يخزى[٣]

وقال الراوي الذى سمع خطبة زينب سلام الله عليها ايضاً: فلم أرَ ـ والله ـ خفرة أنطق منها، كأنّما تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

مع الخطبة:

كانت خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة باسلوبها البليغ الثوري، وبما فيها من تقريع، وبما فيها من توبيخ لأهل الكوفة الذين دعوا ابن رسول الله ثمّ خذلوه، بل

---

(١) الاحتجاج ٢: ١٠٩.

(٢) الاحتجاج ٢: ١١٤.

(٣) الاحتجاج ٢: ١١٤، وانظر: أمالي المفيد: ٣٢٤، نثر الدرّ للآبي ٤: ٢٩.

وقفوا ضدّه وحاربوه ثم قتلوه، فأرادت السيدة زينب سلام الله عليها أن تشعرهم بفداحة الجرم الذي اقترفوه، وعظم الذنب الذي ارتكبوه، بحيث أخذت تبيّن للناس الذين اجتمعوا للوقوف موقف المتفرّج أنّهم قد سكتوا عن نصرة الحق ووقفوا مع الباطل، فأخذت تخاطبهم سلام الله عليها ابنة أمير المؤمنين عليه السلام بكلمات كانت ملائمة تمام الملائمة للجو النفسي السائد عندهم، فكانت كلماتها تؤثّر التأثير البالغ في قلوبهم، فحركت وجدانهم، وايقظت ضمائرهم، واحدثت في المجتمع الكوفي هزّة عنيفة، بحيث تركتهم حيارىٰ ماذا يقولون، واضعي أيديهم علىٰ رؤوسهم من شدّة التحيّر والندم.

خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة بيّنت واقع المسلمين في تلك المدينة وتحدثت عن زيف حياتهم، ومدىٰ تخاذلهم وتقاعسهم.

فكانت خطبتها رسالة لهم، ونداء للمجتمع الاسلامي؛ لتجديد النظر في مسيرهم والالتفات إلىٰ واقعهم.

الرأس الشريف في سكك الكوفة:

قال الشيخ المفيد: بعث عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه السلام فدير في سكك الكوفة كلّها وقبائلها: ولمّا فرغ القوم من الطواف به في الكوفة، ردوه إلىٰ باب القصر، ثمّ دفعه ابن زياد إلىٰ زجر (زحر) بن قيس، ثمّ ارسلوه إلىٰ الشام[1].

مجلس ابن زياد في الكوفة:

ولمّا وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد ـ لعنه الله ـ من غدِ يومِ

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٨.

وصوله ومعه بنات الحسين عليه السلام وأهله، جلس ابن زيادٍ للناس في قصر الإمارة وأَذِنَ للناس إذناً عامّاً، وأمر بإحضار الرأسِ فُوضِعَ بين يديه، فجعل ينظرُ إليه ويتبسّمُ وفي يده قضيبٌ يَضربُ به ثناياه..[١].

اعتراض عفيف الأزدي علىٰ ابن زياد:

بعد واقعة الطف الأليمة، ومقتل سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام، صعد ابن زياد المنبر في الكوفة، وقال في بعض كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب ابن الكذاب!! فما زاد اللعين علىٰ هذا الكلام شيئاً ووقف، قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي رحمه الله، وكان من خيار الشيعة وكان أفضلهم، وقد ذهبت عينه اليسرىٰ في يوم الجمل والأُخرىٰ في يوم صفين، وكان لا يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلىٰ الليل، ثم ينصرف إلىٰ منزله؛ فلما سمع مقالة ابن زياد وثب قائماً ثم قال: يابن مرجانة! الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام علىٰ منابر المؤمنين؟!

فغضب ابن زياد لمّا سمع هذا الكلام وكان عليه أشد من وقع السيوف وطعن الرماح... ثم قال: من المتكلّم؟ فقال الأزدي: أنا المتكلّم يا عدو الله! أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك علىٰ دين الاسلام![٢].

فكانت هذه الصرخة من قبل عبدالله بن عفيف الأزدي في غاية الأهمية في

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٤.

(٢) الفتوح ٥: ١٤٤.

مثل ذلك الجو الملتهب بالغدر والنفاق والظلم والتعسف؛ وإن كانت النتيجة شهادته على أيدي جلاوزة ابن زياد، ولكن كان موقفه هذا أحد السهام التي اخترقت العرش الأموي الظالم وهزته؛ وذلك دفاعاً عن مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ونصرة للدين الحنيف...وهذه أحد النتائج التي حققتها النهضة الحسينية حيث كسرت حاجز الخوف عند الأمة.

شجاعة العقيلة زينب عليها السلام:

كانت زينب الكبرى عليها السلام ذات شجاعة عظيمة، وكانت في غاية العقل والوقار، لا تخاف من النطق بالحق في أصعب المواقف وأشدها، وكانت تتحدث بقوة وثبات جَنَان، وقد سجّل لها التاريخ أروع المواقف.

ومن مواقفها الجريئة لمّا دخلت عقيلة بني هاشم عليها السلام وبقيّة آل بيتها الكوفة، أدخلوهم على عبيدالله بن زياد الطاغية، وقد لبست أرذل ثيابها، وتنكّرت وحفّت بها اماؤها.

فقال عدو الله ـ عبيدالله بن زياد ـ مَنْ هذه الجالسة؟ وأشار إلى زينب سلام الله عليها!! فلم تكلمهُ العقيلة ولم تعبأ به، فكرر ذلك وهي لا تكلمه! وعند ذلك قال بعض امائها: هذه زينب بنت فاطمة عليها السلام. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد صلى الله عليه وآله وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول، وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. فقال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم

فتختصمون عنده[١].

وفي روايةٍ قالت عليها السلام: ما رأيتُ إلّا جميلاً هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلىٰ مضاجعهم، وسيجمعُ الله بينك وبينهم فتُحاجُّ وتُخاصم، فانظر لمن الفَلْج (الظفر) يؤمئذٍ ثَكلَتْكَ أمّك يابن مرجانه[٢].

وذكرت المصادر: انّ ابن زياد قد غضب من ذلك، فقال له أحد أعوانه من الجالسين حوله: أصلح الله الأمير إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها؛ فقال ابن زياد: لقد شفىٰ الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة من أهل بيتك[٣]!!

فقالت سلام الله عليها: لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت.

الردّ المُفْحِم:

ذكرت المصادر[٤] أنّ العقيلة زينب سلام الله عليها لم تردّ علىٰ سؤال ابن زياد: (مَنْ هذه الجالسة؟) ولم تكلّمه وقد كرره ثلاثاً، بل ردّت بعض امائها الحافة بها بأنّ هذه «زينب بنت فاطمة»؛ وذلك احتقاراً له واستخفافاً به.

ثمّ تصدّت العقيلة سلام الله عليها للردّ علىٰ كلامه المشحون غروراً وحقداً عتيداً علىٰ آل الرسول صلى الله عليه وآله، وكان في تلك اللحظات يمتلأ زهواً وكبرياءً، وقد أحاط به جلاوزته والمتملقون له، وهو يعيش النصر المزعوم الكاذب!!

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٤: ٨١ ـ ٨٢، جواهر المطالب ٢: ٢٩٢.

(٢) كما في الفتوح لابن الأعثم ٥: ١٤٢، واللهوف لابن طاووس: ٢٠١، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٢.

(٣) راجع المصادر السابقة، وانظر امالى الصدوق: ١٤٠ الحديث ٣ المجلس ٣١.

(٤) راجع: تاريخ الطبري ٤: ٣٤٩، الكامل لابن الأثير ٤: ٨١.

فكانت سؤلاته وكلماته تعبّر عن طيشه وحماقته، وبالتالي فسقه ونفاقه.

ولكن عقيلة بني هاشم عليها السلام وهي ابنة أبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام علماً، وحلماً، وبلاغة، وفصاحة، فأجابته أمام الملأ بالجواب المنطقي الواقعي، وردّت عليه بالردّ المفحم الذي يمثّل قمة الشجاعة والتحدي للحاكم الطاغي، بحيث كسرت غروره، واستهانت بمقامه وسلطانه، فكانت الإجابة عن أول سؤال وجههه إلىٰ حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله جديرة بأن يقطع معها المحاورة، وتكرار الأسئلة، ولا يتجرأ بأكثر من سؤاله الأوّل... ولكن ابن زياد لم يعقل ما يقول ولا يفقه ما يسمع، فأخذ يوجه الأسئلة التي تعبّر عن لؤمه وخسته إلىٰ أن انحصر في زاوية ضيقة لم يكن له بد إلّا أن يغضب ويعربد ويولول، وهذا ديدن المكابر اللجوج.

ثمّ أخذ يجرّ اذياله منكسراً مندحراً، بعد أن لقنته درساً لن ينساه أبداً وأصبح عبرة لجميع الطغاة والمستكبرين.

وبالتالى فأجابته العقيلة عليها السلام بجواب أنفذ من السهم، وأمضىٰ من السيف، إذ قالت له: «هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل.. وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمك يابن مرجانة».

فألقمت العقيلة ابن مرجانة حجراً، جعلت دمه يغلي لا يستطيع مقاومة هذا السيل الجارف من الجرأة والشجاعة.

ولقد اشار المبرّد فى كتابه «الكامل» الى قوة حجّة العقيلة زينب عليها السلام وبلاغتها، حيث قال: ويُروىٰ انّه قال (ابن زياد) في عَقِب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي عليها السلام ـ وكانت أسنَّ مَنْ حُمِلَ إليه منهنّ، وقد كلّمته فأفْصَحَتْ وأَبْلَغَتْ، واخذت من الحجة حاجتها: ان تكوني بلغتِ من الحُجّة

حاجتكِ فقد كان أبوك خطيباً شاعراً، فقالت ما للنساء والشعر؟![1].

خلود موقف العقيلة:

وقفت العقيلة زينب عليها السلام صلبة، قويّة، لم تهن ولم تضعف أمام الكوارث والمحن، ولقد أصرّت على المضي في اكمال مسيرة أخيها سيّد الشهداء وأبي الأحرار عليه السلام وتؤدي رسالته وتدافع عن دين جدّها صلى الله عليه وآله، فكان لها الدور المهم قبل واقعة الطف وبعدها، حيث لا يستطيع أيّ كاتب أن يعبّر عن تلك المواقف الصلبة للعقيلة عليها السلام، فكانت تخفف الآلام عن نفس أخيها سيّد الشهداء عليه السلام بوقوفها إلى جانبه وبتقديمها الدعم لمسيرته في تلك الظروف الحرجة والحساسة من تاريخ المسلمين، فكانت تشد عضده الى آخر لحظة من حياته الشريفة.

ومن مظاهر صلابتها، وقوّة إرادتها كانت تمرّ على أجساد الشهداء من أهل بيتها فتنظر إلى الأعضاء المقطّعة والدماء السائلة، وتستمر في طريقها حتى تقف على جسد أخيها المضرّج بالدماء، فترمق السماء بطرفها وتقول: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان».

هذا، ناهيك عن المواقف البطولية التى وقفتها العقيلة عليها السلام بخطبها وكلماتها بعد واقعة عاشوراء الأليمة.

التضليل الاعلامي:

لقد جهد بنو اُمية غاية الجهد بأن يصوّروا الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بأنّهم خوارج خرجوا عن الدين وعن حكم الطاغية يزيد، وركّزوا على

---

(١) الكامل للمبرد: ٣: ١١٨٥. ط. مؤ سسة الرسالة.

هذا الأمر كثيراً، بحيث ثبت في أغلب أذهان الناس أنّ الحق مع يزيد، واليك بعض النماذج:

في الكوفة:

عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لاصلاح دار الامارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا بالزعقات[١] قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت علىٰ خادم وكان يعمل معنا فقلتُ مالي أرىٰ الكوفة تضج؟ قال الساعة أتوا برأس خارجي خرج علىٰ يزيد بن معاوية، فقلت مَنْ هذا الخارجي؟ قال الحسين بن علي، قال فتركت الخادم حتّىٰ خرجت ولطمت وجهي حتّىٰ خشيت علىٰ عيني أن تذهبا، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلىٰ الكناس[٢]، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذْ قد أقبلت نحو أربعين شقة تُحمل علىٰ أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة وإذا بعلي بن الحسين علىٰ بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقيا لربعكم ... يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا ... يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيّرونا علىٰ الاقتاب عارية ... كأننا لم نشيّد فيكم دينا
بني أمية ما هذا الوقوف علىٰ ... تلك المصائب لا تبلون داعينا
تصفّقون علينا كفكم فرحاً ... وأنتم في فجاج الأرض تسبونا

---

(١) الزعقة: الصيحة.

(٢) الكناس: موضع في الكوفة.

أليس جـدّي رسـول الله ويـلكم أهدىٰ البريّة مـن سُـبل المـضلّينا
يا وقعة الطف قد أورثـتني حـزناً والله يــهتك أســتار المسـيئينا[1]

بعد أن اتضح للناس في الكوفة مَنْ هم هؤلاء الأُسارىٰ الذين عرّفهم النظام الأموي بأنهم خوارج!! ولكن من أيّ الخوارج هم؟ لا يعلم أحد بذلك!!

فكان لابدّ لرسالة الإمام الحسين عليه السلام أن تنتشر، ولصوته الحق أن يـخترق الآفاق، ولابدّ أن ينكشف ذلك الظلام الدامس الذي حلّ بالأمّة الغافلة، فكان دور سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله له الأثر البالغ في كشف الحقائق، وفضح الدجل السياسي الذي قام به بنو أمية، فتبين للجماهير انّ الأُسارىٰ هم ذريـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وانّ الرؤوس الطاهرة التي تصحبهم هي رؤوس شهداء كربلاء، الذين نهضوا للدفاع عن الدين والوقوف أمام الطغاة والمجرمين.

وكان لخطبة زينب سلام الله عليها في الكوفة أمام تلك الحشود المحتشدة، وكذلك موقفها من ابن زياد في مجلسه له كلّ الأثر في تنوير اذهان الأمة وتبديد السحب القاتمة التي كانت تغطي سماء التـجمعات الجـماهيرية التـي حـضرت للمشاركة في حضور مراسيم النصر الكاذب الذي كان يطبّل له بنو أُمية وأشياعهم!! فعرف الناس حجم الجريمة التي ارتكبها النظام الأموي.

التضليل الاعلامي فى طريق الشام:

بعد أن صدرت الأوامر من الطاغية يزيد بحمل سبايا العترة الطاهرة تجاه الشام، فالآن جاءت مرحلة أُخرىٰ من التضليل الاعلامي، فكلّما مرّوا علىٰ حيّ من

---

(١) المنتخب للطريحي: ٤٧٧، المجلس ١٠ من الجزء ٢، بحار الأنوار ٤٥: ١١٤، العوالم للبحراني: ٣٧٢.

الأحياء طلبوا منهم العلوفة، يقولون معنا رأس الخارجي!!! وكانوا يكتبون إلىٰ عمّال بعض المدن بأن يستقبلوهم بالبوقات والأعلام والطبول مع تزيين المدن ودعوة الناس إلىٰ التجمع، كما حدث ذلك في تكريت، والموصل، وبعلبك[١]، فخرج أصحاب هذه البلدة الأخيرة الى استقبال جيش الضلال والكفر علىٰ مسيرة ثلاثة أميال مع النساء والصبيان، متزيّنين ملطّخين رؤوسهم بالزعفران، وهم يغنون ويصفقون[٢]، وكان كل من سألهم عن الأمر يقولون: هذا رأس خارجي!! خرج في العراق علىٰ الأمير يزيد فقتله ابن زياد وانفذ برأسه معنا إلىٰ الشام[٣].

هو الزمان فلا تفنىٰ عجائبه ... عن الكرام ولا تفنىٰ مصائبه
فليت شعري إلىٰ كم ذا تجاذبنا ... فنونه وإلىٰ كم ذا نجاذبه
يسرىٰ بنا فوق أقتاب بلا وطأ ... وسائق العيس يحمي عنه غاربه
كأننا من اسارىٰ الروم بينهم ... أو كلّما قاله المختار كاذبه[٤]

وقال أحد الشعراء عن لسان حال أُسارى آل الرسول صلى الله عليه وآله:

فمن بلدة نسبىٰ إلىٰ شر بلدة ... ومن ظالم نهدىٰ إلىٰ شرّ ظالم[٥]

---

(١) انظر رياض المصائب للتنكابني: ٥١٢ ـ ٥١٣، ثمرات الأعواد للهاشمي ٢: ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر رياض المصائب: ٥٢٤.

(٣) راجع ثمرات الأعواد ٢: ٢٤.

(٤) ثمرات الأعواد ٢: ٢٧، البحار ٤٥: ١٢٦، جلاء العيون ٢: ٣٠٢. والاشعار تنسب إلىٰ الإمام السجاد عليه السلام.

(٥) ثمرات الأعواد ٢: ٢٧..

الفصل الخامس

مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الشام

الركب الحزين يتجه نحو الشام:

روى الشيخ الصدوق في أماليه: انّ ابن زياد بعث البشائر الى النواحي بقتل الحسين عليه السلام، ثمّ أمر - لعنه الله - بالسبايا ورأس الحسين عليه السلام، فحُملوا إلىٰ الشام[1].

لم يطل مقام ركب أهل البيت عليهم السلام الحزين في الكوفة، بعد أن أحدث وجودهم هزّة عنيفة في قلوب الناس، ولا سيّما بعد أن سمعوا خطبة العقيلة زينب سلام الله عليها التي أيقظت فيها الأحاسيس، ونبهتهم فيها من نومهم وسباتهم، فكان وجود أُسارىٰ عائلة الحسين عليه السلام يسبب المزيد من سخط الأمة علىٰ بني أمية.

وقد جاءت الأوامر من يزيد بحمل السبايا إلىٰ الشام...

فسار الركب الهاشمي تجاه الشام وعلىٰ رأسهم العقيلة زينب سلام الله عليها وابن أخيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام مع بقية العائلة، وتحوطهم سيوف الأعداء، وتواكبهم الأغلال بين الأيدي والأعناق، وتصحبهم الرؤوس الطاهرة بين المحامل. وأشباح مأساة الطف ماثلة للعيان، ودموع سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله تجري بدون انقطاع، وكانت سياط العدو تعلوهم في زجر وعنف علىٰ طول الطريق.

وبعد أن قطع هذا الركب تلك المهامة والقفار، بقليل من الزاد، وكثير من العناء، قد اقترب علىٰ أبواب دمشق حيث الناس المغفّلة والأعداء الشامتة تنتظر قدومهم هناك.

---

(١) الأمالي: ١٤٠، ضمن الحديث ٣، المجلس ٣١.

وسيبدأ ـ حينئذٍ ـ فصل جديد من جهاد أهل البيت عليهم السلام وبالأخص عقيلة بني هاشم عليها السلام حيث ستسحق هناك كبرياء الأعداء، وبالذات يزيد واتباعه، وتذهب أحلام الشامتين والمجرمين ادراج الرياح.

سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله على أبواب دمشق:

وحملت ودائع الرسالة وعقائل الوحي إلىٰ الشام، بعد تلك المجزرة الرهيبة، وهنّ في حالة مشجية، وأمر أحد أرجاس عبيدالله بن زياد بأن يغلّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام بغلّ في عنقه، فغلّ.

وسارت القافلة الحزينة بمزيد من المعاناة والألم حتىٰ انتهت إلىٰ قرب عاصمة الشام، فاقيمت هناك؛ حتّىٰ تتزين دمشق بمظهر الفرح والسرور لكي يدخلوا سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ حفيد أبي سفيان في وسط هالة من التهليل والتكبير للنصر المزيف الذي أحرزه!! واعلان الاحتفال بقتلهم سبط الرسول صلى الله عليه وآله!!

ورد في بعض المصادر[1]: انّه لما قرب القوم بالرؤوس والأُسارىٰ من دمشق دنت أُم كلثوم من شمر - لعنه الله - وكان في جملتهم، فقالت: له: إذا دخلت البلد فأدخلنا في درب قليل النظّارة، وتطلب من أصحابك أن يخرجوا الرؤوس من بين المحامل ويتنحّون عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذا الحال، فأمر في جواب طلبها أن يجعلوا الرؤوس علىٰ الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم علىٰ تلك الحال بين النظّارة حتىٰ أتى بهم باب دمشق. ثمّ ادخلوهم المسجد الجامع علىٰ الدرج حيث يقام السبي!!

---

(١) اللهوف: ٢١٠، تسلية المجالس للحائرى الكركى ٢: ٣٨١.

التضليل الاعلامي في الشام:

روي: انّ السبايا لمّا وردوا دمشق؛ أُدخلوا من باب يقال له باب «توما»[١] ثمّ اتي بهم حتّىٰ اقيموا علىٰ درج باب المسجد الجامع، حيث يقام السبي، وإذا شيخ أقبل حتّىٰ إذا دنا منهم قال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم، وأراح العباد من رجالكم، وامكن أمير المؤمنين منكم!! فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم! قال: هل قرأت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] قال الشيخ: قرأتها! قال: فنحن القربىٰ يا شيخ، وهل قرأت هذه الآية؟ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣] قال: نعم! قال: فنحن أهل البيت الذي خصصنا بآية التطهير. فبقي الشيخ ساكتاً ساعة، نادماً علىٰ ما تكلّم به، ثمّ رفع رأسه إلىٰ السماء فقال: اللهم إني أتوب إليك

---

(١) توما: أحد أبواب مدينة دمشق. انظر معجم البلدان ٢: ٥٩.

كانت دمشق في قديم الأيام مسوّرة ولها أبواب عديدة: كباب الصغير وهو باب الشاغور، وفعلاً فيه مقبرة المسلمين، والباب الذي يليه يسمىٰ بباب كيسان والنصارىٰ يسمونه بولص، والباب الشرقي هو من عهد الرومان، وباب توما من شمالي البلد، رممه الأمير تنكر سنة ٧٢٤، وباب الجينيق، وباب السلامة ويقال له الآن بباب السلام رمم سنة ٦٤١، وباب الفراديس وهو باب الحديد الموجود في محلة العمارة، وباب الفرج، وباب الجنان وقد هدم سنة ١٢٨٢ هـ عند اصلاح الطرق.

وباب الجابية وغير ذلك من الأبواب، كباب الساعات، التي دخلت منها سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله في عهد يزيد بن معاوية لعنهما الله. انظر دليل السائحين إلىٰ سوريا ودمشق للسيد عادل العلوي (ضمن رسالات اسلامية الجزء ٨): ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) الشورىٰ: ٢٣.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

من عدوّ محمّد وآل محمّد من الجن والأنس[١].

وفى اللهوف: فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقُتل[٢].

ونموذج آخر: لمّا أدخلوا السبايا في المسجد الأموي[٣] في الشام قال الناس: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء! ثمّ سألوهم مَنْ أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام: «نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله»[٤].

وهذا ما يدلل على شدّة التضليل الإعلامي الذي كان آنذاك، بحيث لم يعلموا إلى تلك اللحظة أنّ هؤلاء هم آل رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين أوجب الله تعالى مودتهم والتي جعلها أجراً لجدّهم محمد صلى الله عليه وآله!

سهل بن سعد يروي:

يروي لنا سهل بن سعد الساعدي أحد النماذج من التضليل الاعلامي فى الشام، قال: خرجت إلى بيت المقدس حتّى أتيتُ دمشق، فرأيتُ أهلها قد علّقوا

---

(١) الفتوح لابن الأعثم ٥: ١٥١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٢،وانظر: امالي الصدوق: ١٤١ الحديث ٣ المجلس ٣١، بحار الأنوار ٤٥: ١٥٥.

(٢) اللهوف: ٢١٣.

(٣) للمسجد الأموي أربعة أبواب: باب الخلفاء وكان يختص بدخول الخلفاء والأمراء، وباب نوفرة ويقال: دخلت السيدة زينب الكبرى عليها السلام مع سبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله من هذا الباب، وباب العمارة ويطل على قبر السيدة رقية عليها السلام، وباب البريد أو المسكنة.
ويقع الجامع الأموي فى الوقت الحاضر في وسط عاصمة سوريا «دمشق»، طوله (٥٤٧ قدم) وعرضه (١٥٠ قدم) ويضم الجامع فعلاً على حرم وصحن ويستوعب ٣٥٠٠٠ ألف نفر للصلاة. انظر دليل السائحين إلى سوريا ودمشق للسيد عادل العلوي: ٦٩ (ضمن رسالات اسلامية الجزء ٨).

(٤) قرب الإسناد للحميري: ٢٦ ح ٨٨، بحار الأنوار ٤٥: ١٦٩ ح ١٥.

الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف، فقلت في نفسي: ألأهل الشام عيد لا نعرفه؟ فرأيتُ قوماً يتحدثون، فقلتُ: يا قوم، ألكم في الشام عيد لا نعرفه؟ قالوا: يا شيخ، نراك غريباً؟

قلتُ: أنا سهل بن سعد، رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وحملتُ حديثه.

قالوا: يا سهل، ما أعجب السماء لا تمطر دماً، والأرض لم تنخسف بأهلها؟

قلتُ ولم ذاك؟

قالوا: هذا رأس الحسين وعترة محمد صلى الله عليه وآله يُهدىٰ من العراق.

فقلتُ: واعجباً! يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون! قلت: من أيّ باب يدخل؟ فأشاروا إلىٰ باب يقال له باب الساعات.

قال سهل: فبينما أنا كذلك إذ أقبلت الرايات يتلو بعضها بعضاً وإذا بفارس بيده رمح منزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا من ورائه نسوة علىٰ جمال بغير وطاء.

ثمّ دنا سهل من احدهنّ والتي هي سكينة بنت الحسين عليها السلام وعرّف نفسه، وطلبت منه أن يتكلّم مع صاحب الرأس أن يقدّم الرأس إلىٰ الأمام حتّىٰ ينشغل الناس بالنظر إليه، ولا ينظروا إلىٰ موكب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، ففعل ذلك سهل بعد أن دفع إليه أربعمائة درهم[1].

زينة الشام:

مجتمع الشام الذي ظلّ مدّة طويلة يعيش التضليل الاعلامي، ترى انه كيف صنع عندما حلّ اسارى آل الرسول صلى الله عليه وآله بالقرب من دمشق؟

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٠، تسلية المجالس للحائري الكركي ٢: ٣٧٩.

مع الأسف الشديد اظهر غالب ذلك المجتمع الذى تربّى مدّة من الزمن على بغض أهل البيت عليهم السلام جميع ألوان الفرح والسرور بقتل العترة الطاهرة وسبي حرائر النبوة!! لقد وصف لنا أحد المؤرخين ذلك، حيث قال:

«ولمّا بلغوا ـ أي أُسارى أهل البيت عليهم السلام ـ ما دون دمشق بأربعة فراسخ استقبلهم أهل الشام وهم ينثرون النثار فرحاً وسروراً حتّى بلغوا بهم قرب البلد، فاوقفوهم عن الدخول ثلاثة أيام، وحبسوهم هناك، حتّى تتوفر زينة الشام وتزويقها بالحلي والحلل والحرير والديباج، والفضة والذهب، وأنواع الجواهر، على صفة لم يرَ الراؤون مثلها لا قبل ذلك اليوم، ولا بعده، ثمّ خرجت الرجال والنساء والأصاغر والأكابر، والوزراء والأمراء واليهود والمجوس والنصارى، وسائر الملل إلى التفرّج، ومعهم الطبول والدفوف والبوقات، والمزامير، وسائر آلات اللهو والطرب وخضبوا الأيدي ولبسوا أفخر الملابس، وتزيّنوا أحسن الزينة، ولم يرَ الراؤون أشدّ احتفالاً، ولا أكثر اجتماعاً منه، حتّى كأنّ الناس كلّهم حشروا جميعاً في صعيد دمشق»[1].

نعم، لقد رأت العقيلة زينب عليها السلام هذا اللون من البشر، وجابه سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله أشدّ المعاناة من هذا المجتمع الجاهل الغافل.

تزيين دار يزيد:

ولمّا أدخلوا الرؤوس والسبايا مدينة دمشق بالشام أمر يزيد فزينت داره بأنواع الزينة، ونصب ليزيد سرير مرصع ونصب أطراف سريره كراس من الذهب والفضّة، وجلس يزيد على سريره وفوق رأسه تاج مكلّل بالدرّ والياقوت وحوله

---

(١) انظر السيّدة زينب عليها السلام للقرشي: ٢٧٨. حكاه عن حجة السعادة في حجة الشهادة.

أربعة مائة نفر من الأمراء والأعيان والسفراء وسفراء الملوك من النصارى وغيرهم، وحوله كثير من مشايخ قريش وأوصلوا الرؤوس والنساء وقت الزوال الى باب يزيد بن معاوية وهم في تعب شديد من كثرة الازدحام فأُوقفوا ثلاث ساعات ليأذن يزيد بالدخول، فصاح صائح: هؤلاء سبايا أهل البيت الخارجي!! ورفع محضر بن ثعلبة الأنصاري صوته فقال: هذا محضر بن ثعلبة أتى أميرالمؤمنين يزيد ـ لعنه الله ـ باللئام!! فأجابه الامام السجاد عليه السلام ما ولدت أم محضر أشرّ وألأم، فخرج حجّاب يزيد وأدخلوا الذين معهم الرؤوس، فلمّا دخلوا على يزيد قالوا بعزّة الأمير قتلنا أهل بيت أبي تراب استأصلناهم!! ثمّ شرحوا الأحوال ووقائع التاريخ ورأس الحسين عليه السلام بيد الشمر..[1]!!

مجلس يزيد:

قال الطبري: ولمّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله. ثمّ دعا بعلي بن الحسين عليه السلام وصبيان الحسين عليه السلام ونساءه فادخلوا عليه والناس ينظرون[2].

قال ابن اعثم: ثم أتى بهم (السبايا) حتّى أُدخلوا على يزيد وعنده يومئذٍ وجوه أهل الشام[3].

---

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين (للسيد إبراهيم الزنجاني): ٣٨٣ ط. الثانية ـ ١٤٠٢ هـ. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢، لواعج الأشجان: ٢٢٤.

(٣) الفتوح ٥: ١٥٢.

وصف الامام الرضا عليه السلام لمجلس يزيد:

روى الصدوق في العيون بإسناده عن الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لمّا حمل رأس الحسين عليه السلام إلى الشام أمر يزيد ـ لعنه الله ـ فوُضع في طست تحت سريره، وبسط عليه رُقعة الشطرنج، وجلس يزيد يلعب بالشطرنج، ويذكر الحسين وأباه وجدّه: ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمر صاحبه[١] تناول الفقّاع، فشربه ثلاث مرّات ثمّ صبّ ممّا يلي الطست من الأرض.

فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شُرب الفقّاع، واللعب بالشطرنج ومن نظر الى الفقّاع والى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليَلْعَن يزيد وآل زياد ـ لعنهم الله ـ يمحو الله بذلك ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم»[٢].

خطبة العقيلة زينب عليها السلام في الشام:

لقد ذكرت العديد من المصادر[٣] خطبة زينب الكبرىٰ عليها السلام في مجلس يزيد، مع وجود بعض الفوارق والزيادات، ولكنّا نذكر النص الآتي عن كتاب

---

(١) أي غلبه في لعب القمار.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥، ح ٥٠ ط. الأعلمي بيروت، عنه المجلسي في البحار ٤٥: ١٧٦.

(٣) وردت الخطبة (حسب الترتيب الزمني) في: بلاغات النساء لابن أبي طيفور: ٣٨، التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٦: ٢٦٢ رقم ٦٣١، نثر الدر للآبي ٤: ٢٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٤، اللهوف لابن طاووس: ٢١٥، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١٠١، الحدائق الوردية ١: ١٢٥، تسلية المجالس للحائري الكركي ٢: ٣٨٨، بحار الأنوار للمجلسي ٤٥: ١٣٤، تظلّم الزهراء عليها السلام للقزويني: ٢٦٧، جلاء العيون للسيد عبدالله شبر ٢: ٣١٣، أعيان الشيعة للعاملي ٧: ١٣٩، مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٢٤، وغيرها من المصادر.

«مقتل الحسين عليه السلام» للخوارزمي و«اللهوف» لابن طاووس الحلّي:

قال الراوي: ثمّ أُدخل ثقل الحسين عليه السلام ونساؤه ومَنْ تخلّف من أهله على يزيد وهم مقرنون في الحبال:

فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له علي بن الحسين عليه السلام: «أنشدك الله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الصفة».

فأمر يزيد بالحبال فقطّعت[1].

ثمّ وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، وأجلس النساء خلفه لئلّا ينظرن إليه...

فجعل يزيد يضرب ثنايا رأس الحسين عليه السلام بمخصرةٍ كانت في يده ويقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاءَ ولا وحي نزل

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل[2]

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ولقالوا يا يزيد لا تُشل

فجزيناهم ببدرٍ مثلاً ... واقمنا مثل بدرٍ فاعتدل

لستُ من خندف إنْ لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل[3]

فلما سمعت زينب سلام الله عليها من يزيد كلماتٍ تعبّر عن كفره وزندقته، ورأت المشاهد والقضايا التي تكشف عن اهانته واستخفافه بالمقدّسات الدينية، وجسارته على الرأس المقدّس حيث وضعه أمامه وبدأ بضربه بالعصا على شفتيه الذي طالما قبّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله بمرأىٰ جميع المسلمين!!؟

---

(١) اللهوف: ٢١٣.

(٢) الأسل في الأصل: الرّماح الطوال. انظر النهاية لابن الاثير ١: ٤٩.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٢٢، وانظر اللهوف لابن طاووس: ٢١٤.

فنهضت ـ حينئذٍ ـ حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله يدفعها الواجب الشرعي، وهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام للدفاع عن الحق وسحق الباطل، ودعتها الضرورة أن تقف في ذلك المجلس المشؤوم لكي توقظ الضمائر، وتُعيد إلىٰ تلك النفوس وعيها وكرامتها.

قال الراوي: فقامت زينب بنت علي عليهما السلام، وقالت:

الحمدُ لله ربِّ العالَمينَ، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد صلى الله عليه وآله وآله أجمعين، صَدَقَ اللهُ إذْ يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]، أظَنَنْتَ يا يَزيدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الأَرضِ وآفَاقَ السّماءِ فأصبحنا نُساقُ كما تُساقُ الإماء أنّ بنا علىٰ اللهِ هَوَاناً، وبكَ عليه كرامةً!! وأنّ ذلك لِعَظيم خَطَرِك[2] عنده!! فَشَمَخْتَ[3] بأنْفِكَ ونَظَرْتَ في عِطْفِكَ[4]، جَذِلاً[5] مسروراً، حين رأيتَ الدُّنيا لك مُسْتَوسِقَة[6]، والأُمُور مُتَّسِقَة[7]، وحين صَفَا لكَ مُلْكُنا وسُلْطانُنا! فَمَهْلاً مَهْلاً! أنسِيتَ قولَ اللهِ عزّوجلّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[8].

---

(١) سورة الروم: ١٠.

(٢) أي لعلوّ منزلتك.

(٣) شمخ بانفه: أيْ رفع انفَه تكبّراً.

(٤) العِطف ـ بكسر العين ـ جانب البدن. وهنا كناية عن العجب بالنفس.

(٥) الجَذل: الفرح.

(٦) مُسْتوسقة: مجتمعة.

(٧) مُتّسقة: منتظمة.

(٨) سورة آل عمران: ١٧٨.

أمِنَ العَدْلِ يا ابْنَ الطُّلَقاءِ[١]؟! تَخْدِيرُك[٢] إماءَك وحرائرَكَ وسَوْقُكَ بناتِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سَبَايا؟! قد هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ، وأبْدَيتَ وُجُوهَهُنَّ، تحدوا[٣] بهنَّ الأعداءُ من بلدٍ إلىٰ بلدٍ، ويَسْتَشْرفُهُنَّ أَهلُ المنازلِ[٤] والمناهلِ[٥] وَيَتَصَفحُ وجوههنَّ القريبُ والبعيدُ، والدنيُّ والشَّريفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ من رِجَالِهِنَّ وليٌّ، ولا من حُماتِهِنَّ حَمِيٌّ.

وكيفَ تُرْتَجىٰ مُراقَبَةُ ابن مَنْ لَفِظَ فُوهُ أَكبادَ الأزكياء، ونبت لَحْمُهُ بدماءِ الشُّهداء[٦]؟!

وكيف يَسْتَبطئ في بُغْضنا أهلَ البيت مَنْ نظر إلينا بالشَّنَف[٧] والشَّنآن[٨]

---

(١) لقد استعملت العقيلة سلام الله عليها كلمة ذات مدلول عميق، وهي قد خاطبته «يابن الطَّلقاء». والطليق هو الأسير الذي أُطلق إساره، وخُلّي سبيله. وهذه الكلمة اشارة إلىٰ ما حدث يوم فتح مكّة المكرمة، عندما ملك جدّها الرسول صلى الله عليه وآله رقاب الكفرة من آل أبي سفيان وغيرهم، وأصبحوا تحت سلطته فكان بإمكانه أن يقتلهم، لكنّه صلى الله عليه وآله أبىٰ وتعالىٰ عن ذلك، فمنّ عليهم باطلاق أنفسهم ووهبهم الحياة. وكان فيهم معاوية وأبوسفيان. ويزيد هو ابن معاوية، وحفيد أبي سفيان. لقد لفتت العقيلة سلام الله عليها انظار الحضّار في المجلس بأنّ هذا الأمير والحاكم، هو من سلالة اولئك الطلقاء الذين وقفوا أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وقاوموه.

(٢) يُقال خدّر البنت: الزمها الخِدْرِ، أي: أقامها وراء الستر. والحرائر: جمع حرّة نقيض الأمة.

(٣) حَدَا: حثّ علىٰ السير.

(٤) المنازل: أي مواضع الاستراحة في الطريق.

(٥) المناهل: مواضع شرب الماء في الطريق.

(٦) اشارة إلىٰ قضية هند المعروفة التي شقت بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله بعد شهادته واستخرجت كبده وقطعت منه قطعة ووضعتها في فَمِها وجعلت تَلُوكُها بأسنانها.. راجع تاريخ الطبري وغيره. وانظر سيرة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله (هاشم معروف): ٤١٥ ـ ٤١٧.

(٧) الشنف: البغض.

(٨) الشنآن: العداوة.

والإحَن[١] والأضغان[٢]؟!

ثمّ تقولُ غير مُتأثّم ولا مُسْتَعظِم:

لأَهَلّوا واسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثمّ قالوا: يا يَزِيدُ لا تُشَل

مُنْحَنِياً على ثَنَايا أَبي عبدالله عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة تَنْكُتُها بِمخْصَرتِك[٣].

وكيف لا تقولُ ذَلِكَ؟ وقد نَكَأْتَ القرْحَة[٤]، واسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ[٥]، بإراقَتِكَ دِماءَ ذُرِيّةِ محمد صلى الله عليه وآله ونُجوم الأرضِ من آلِ عبدالمطلب؟!

وتهتِفُ بأشياخِكَ، زَعَمْتَ أنَّكَ تُنادِيهم، فَلَتَرِدَنَّ وشِيكاً مَوْرِدَهُم، ولَتَوَدَّنَّ أنَّكَ شَلَلْتَ وَبَكمْتَ ولم تكُنْ قُلْتَ ما قلْتَ، وفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ.

اللّهُمّ خُذْ بِحَقّنا، وانتَقِم مِمّن ظَلمَنَا، واحْلُلْ غَضَبَكَ بمن سَفَكَ دِماءَنا، وقَتَلَ حُماتَنا.

فواللهِ ما فَرَيْتَ[٦] إلّا جِلْدَك، ولا حَزَزْتَ إلّا لَحمكَ، ولَتَرِدَنَّ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلْتَ من سَفك دِماء ذُريته، وانتَهَكْتَ من حُرمَته في عِتْرته ولُحْمَته يجمعُ اللهُ شَمْلَهم، وَيلُمُّ شَعثَهم، ويأخذُ بحقّهِم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى

---

(١) الإحِن: أيضاً بمعنى الحقد والبغض.

(٢) الأضغان: الأحقاد.

(٣) النكت: الضرب. المخصرة: كالسوط والعصا.

أي من تشبعت روحه وعقيدته ببغض أهل البيت كيف لا يُسرع في اعلام بغضه وحقده عليهم.

(٤) نكأ القرحة: قشرها بعدما كادت تبرأ. أي ضرب الرأس الشريف قد هيج الأحزان.

(٥) الشأفة: قُرحة تخرج في أسفل القدم.

(٦) فريت: قطعت.

سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتاً بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١].

وسيعلمُ مَنْ سَوَّلَ[٢] لكَ ومَكَّنَكَ من رِقَابِ المسلمينَ، بئسَ للظالمين بدلاً، وأيُّكُم شرٌّ مكاناً واضعفُ جُنْداً.

ولئن جَرَّتْ عليَّ الدَواهي مُخاطبَتَكَ، فإنّي لأسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، واسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وأستَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ، لكنَّ العُيونَ عَبْرىٰ، والصُدورَ حَرّىٰ.

ألا فالعَجَبُ كلّ العَجَب! لقتل حِزْب الله النُجباءِ، بحزبِ الشّيطانِ الطُّلقاءِ، فهذه الأَيدي تنضح[٣] من دمائنا، والأفواه تَتَحَلّبُ[٤] من لُحومِنا، وتلك الجُثَثُ الطَّواهِرُ الزَّواكي تنتابها[٥] العواسل[٦] وتعفوها أُمّهات الفَراعِل[٧].

ولئن اتّخَذْتَنَا مَغْنَماً لَتَجِدُنا وَشِيكاً مَغْرَماً، حينَ لا تَجِدُ إلّا ما قَدَّمَتْ بيداكَ، وما ربّك بظلاّمٍ للعبيدِ، فإلىٰ اللهِ المُشْتكىٰ، وعليه المعوّلُ.

فَكِدْ كَيْدَكَ، واسْعَ سَعْيَكَ، وناصِبْ جُهْدَكَ، فواللهِ لا تَمْحُونَّ ذِكْرنا، ولا

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) سوّل: زيّن العمل.

(٣) في بعض النسخ تنطف، أيّ تقطر.

(٤) تحلّب: سال. وهنا اشارة إلىٰ ما فعلت «هند» جدّة يزيد في معركة أحد بانها لفظت كبد حمزة اسد الله وعم الرسول صلى الله عليه وآله وأيضاً ما صنع أبو سفيان وأعوانه به، حقداً منهم علىٰ آل الرسول صلى الله عليه وآله أو اشارة إلىٰ الطغاة الجفاة الذين جاءوا لحرب الإمام الحسين عليه السلام بأنّهم قد امتصوا بأفواههم من لحوم ودماء آل المصطفىٰ صلى الله عليه وآله كناية عن المبالغة في القتل وعن شدة الحقد.

(٥) انتاب: أتاه مرة بعد أُخرىٰ.

(٦) العواسل: الذئاب.

(٧) الفراعل: أولاد الضباع.

تُميتُ وَحْيَنَا، ولا تُدْرِكُ أَمَدَنا، ولا تَرْحَضُ[١] عنكَ عَارَها.

وهل رأيُكَ إلّا فَنَد، وأيامُك إلّا عَدَد، وجمعُكَ إلّا بَدَد؟ يوم ينادي المنادي ألا لعنةُ اللهِ علىٰ الظالمين.

فالحمدُ للهِ الذي خَتَمَ لأَوّلنا بالسعادةِ والمعرفةِ، ولآخِرنا بالشهادةِ والرحمة، ونسألُ اللهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويُحْسِنَ علينا الخلافة، إنّه رحيمٌ ودَودٌ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل».

مع الخطبة:

لقد كانت خطبة العقيلة عليها السلام آية من آيات البلاغة والفصاحة، ومعجزة من معجزات البيان، جزلة الألفاظ مشرقة العبارات، واضحة الهدف، فيها قوّة الاحتجاج، وحجّة المعارضة، والدفاع عن العقيدة والدين.

فكانت هذه الخطبة احدى الضربات المهلكة التي أدت الى تزلزل العرش الأموي.

ومن مميزات خطابها عليها السلام: الصراحة والنقد الجرئ، والاسلوب البليغ الرائع، وأيضاً الانتزاعات القرآنية والاستلهام من الآيات القرآنية، بالإضافة إلىٰ الشجاعة الأدبية.

ولا عجب من ذلك، فانّ زينب سلام الله عليها هي فرع الشجرة النبوية، والثمرة العلوية، وبنت الدرّة الفاطمية، وأخت اللؤلؤة الحسنية والجوهرة الحسينية.

لم انسَ خطبتَها التي قَلَمُ القَضا ... في اللَوح مِثْلَ بيانها لم يُرقمِ

نَزلتْ بها كالنار شَبّ ضَرامُها ... في السامِعين، مِن الفؤاد المُضْرَمِ

---

(١) أي لا تغسل.

جـــاءَتْ بـــها عَـــلَويَةً وَقَـعَتْ ... علىٰ قلب ابن مَيسونٍ كوقْعِ المِخْذَمِ
أودائجُـــه انـــتَفَختْ بـــها فكأنّـــما ... فيها السيوف اصبنَه فـي الغـلصم[1]
اشـــقيقةَ السِـــبطين دونك مـــدحةً ... قِسٌّ الفـــصاحةِ مِـــثْلَها لم يَـــنْظِمِ
تـــمتازُ بـــالحقّ الصـــريح لو أنّـــها ... قِـيست بشِعْر البُحْتري ومسلم[2]

ولقد أجاد الشاعر الجليل السيد مهدي بن السيد داوود الحلّي ـ عم الشاعر المعروف السيد حيدر ـ في وصف فصاحتها وبلاغتها في قصيدة:

قـد أسّـروا مـن خصها بآيـة ... التطهير ربّ العرش فـي كتابه
إن ألبست فـــي الأســـر ثـوب ... ذلة تـجملت للعزّ فـي أثوابـه
مـــا خـطبت إلّا رأوا لسـانها ... أمضىٰ من الصمصام في خطابه
والفـــصحاء شـــاهدوا كـــلامها ... مقال خير الرسل في صوابـه[3]

ومن النقاط المشرقة في خطاب العقيلة زينب عليها السلام انّها ركّزت على فضح السلطة الامويّة. لقد صيّرت العقيلة الطاهرة يزيد وأعوانه أحقر شيء في الوجود وأقذر ما في الكون، وبيّنت للملأ وعلىٰ رؤوس الأشهاد واقع الحزب الأموي الحاقد، وفضحت حكّامه الظلمة الطواغيت.

فقلبت بكلماتها الحكيمة الموازين، ودكّت بحجتها الدامغة قلاع الطغيان والجور.

وكانت العقيلة زينب سلام الله عليها ـ دائماً ـ سيّدة موقفٍ وبطلة مبدأ، فهى الأميرة والسيّدة العظيمة.

---

(١) الغَلْصمَ: رأس الحُلقوم. انظر الصحاح ولسان العرب مادة «غلصم».

(٢) وردت هذه الابيات في كتاب «زينب الكبرىٰ من المهد الى اللحد» (للقزويني): ٦٣٧،وانظر أدب الطف (للسيد جواد شبر) ١٠: ١٣.

(٣) وفاة السيدة زينب عليها السلام (لفرج آل عمران): ٤٦٠.

الموقف الجرئ:

من وقف على الأجواء الرهيبة التي كانت تحيط بالمجلس المشؤوم ليزيد، عرف شجاعة العقيلة في مثل تلك الظروف الصعبة، وأمام ذلك الحاكم الظالم الطاغي، فكان موقفها الجرئ لا يقل صعوبة عن الوقوف في ميدان الحرب وبين الصفوف ومُشْتَبَكِ الرماح والسيوف.

نعم، ربّ كلمة أنفذُ من السهام، وأشدّ من وقع الحسام.

خشي يزيد على نفسه:

من خلال هذه الكلمات التي نطقت بها العقيلة زينب عليها السلام ندرك مدى فصاحتها وبلاغتها وحديثها المؤثر في القلوب والأسماع، فلقد خشي يزيد على نفسه من قولها، وهي امرأة وقعت في الأسر ويحيط بها الأعداء من كلّ جانب.

لقد أحدثت خطبتها هذه في مجلس الطاغية يزيد صدىً كبيراً حتّى خشي على نفسه النقمة والهلكة، فأنزلها هي وباقي العائلة منزلاً آخر، أقاموا فيه ينوحون ويبكون على الامام الحسين عليه السلام ومن قُتل معه حتّى أمر بترحيلهم الى المدينة.

نصرٌ زائف وحلمٌ كاذب:

كانت العقيلة الطاهرة بنت أمير المؤمنين عليه السلام وحفيدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله تتعالى وترتفع عن مخاطبة أمثال يزيد، وحتّى على صعيد التقريع والتوبيخ، ولكن الضرورة اقتضت أن تجعله طرفاً في خطابها، والدهر ألجأها إلى أن تردعه عن فعله وقوله.

فبيّنت العقيلة في خطابها، أنّ هذا النصر الذي حصل عليه هو النصر الزائف، والحلم الذي يراه هو حلم كاذب، سرعان ما ينقلب كلّ ذلك إلى حزن

عميق وهزيمة نكراء تعقبها حسرة دائمة، ووزر متصل.

ولقد صرّحت في خطابها بنت فاطمة الزهراء عليها السلام عدم شرعية تسلط يزيد على رقاب المسلمين، واعلنت للملأ أنّه غير لائق لمثل هذا المنصب وأهانته في مجلسه مع حضور العامة والخاصة من الناس، وكلّمته بلهجة تهديد وإنذار.

لقد وضعت العقيلة عليها السلام النقاط على الحروف وبيّنت للأمة بكلّ شجاعة واقع الحاكم الجائر المتربع على رقاب الناس، والذي يلعب بعقول الناس وأفكارهم.

العقيلة عليها السلام لا تصبر على الضيم:

كانت العقيلة عليها السلام لا تصبر على الضيم، ولا تستسلم لأهل الباطل، ولقد عرفنا ردّها على ابن زياد وعلى يزيد وهما في موقف الغالب وهي في موقف المغلوب في تلك الأجواء الرهيبة التي يعلوها الظلم والطغيان، حيث انّها لم تقبل على نفسها أن يتشفّى أيّ واحد منهما بما حلّ بها وبأهل بيتها، فقد ألقمت كليهما حجراً، وأسمعتهما من قوارص الكلم وزواجر القول، فجعلتهما في موقف الخائف الذليل الذي لا يدري ماذا يقول وماذا يفعل.

وهنا تظهر حكمة الامام الحسين عليه السلام في اسداء الوصية الى اخته العقيلة زينب عليها السلام حيث ائتمنها على أسرار الامامة، كما في الخبر الذي رواه الشيخ الصدوق في كتابه إكمال الدين[1] وقد أوصاها قبل شهادته بوصايا لا ينهض بها إلّا من كان على درجة عالية من الايمان والصبر.

---

(١) إكمال الدين: ٥٠١.

موقف العقيلة عليها السلام عند رؤيتها رأس الحسين عليه السلام:

لمّا رأت العقيلة سلام الله عليها رأس أخيها الحسين عليه السلام في مجلس يزيد، نادت بصوت حزين يقرح القلوب: يا حسيناه! يا حبيب جدّه الرسول! ويا ثمرة فؤاد الزهراء البتول! يا ابن بنت المصطفىٰ! يا ابن مكة ومنىٰ! يا ابن علي المرتضىٰ! فضج المجلس بالبكاء[١] وأبكت كلّ من كان فيه[٢].

موقف العقيلة عليها السلام من الشامي:

روي في بعض المصادر: انّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام كانت جالسة بين النساء، فقام رجل من أهل الشام، فقال ليزيد: هب لي هذه الجارية! يعني: فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فأخذت بثياب عمتها زينب سلام الله عليها لما سمعت بذلك.

ولكن العقيلة زينب عليها السلام ردّت علىٰ الشامي:

«كذبت ولؤمت والله ما ذاك لك ولا له».

فغضب يزيد ثمّ قال: إنّ ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

فأجابته العقيلة الجواب الصارم، ووجهت إليه السهام القاتلة، قائلة له:

«فلا، والله ما جعل ذلك لك إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا».

فقال يزيد: انما خرج من الدين أبوك، وأخوك.

قالت زينب عليها السلام: بدين الله، ودين أبي، ودين أخي اهتديت أنت إن كنت مسلماً».

ثمّ استشاط يزيد غضباً، ثم سكت.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما: ١٠٠.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٢٣.

فقال الشامي: مرّة أُخرىٰ ليزيد: هبْ لي هذه الجارية فقال يزيد له: اعزب وهب اللهُ لك حتفاً قاضياً[١].

فالسبب في تكرار الشامي ليزيد هذا الكلام، وهو أنّ أكبر الظن كان كلام الشامي فاتحة انتقاد ليزيد، وبداية لتسرّب الوعي عند الشاميين، وآية ذلك أنه لم يكن الشامي بليداً إلىٰ هذا الحدّ فقد يكفيه ردّ العقيلة زينب عليها السلام على يزيد، ومقابلتها له بالعنف الذي أخرجته عن دين الإسلام إن استجاب لطلب الشامي، وهذا مما يشعر انّ طلبه كان مقصوداً لأجل فضح يزيد[٢].

العقيلة زينب عليها السلام تنظر للمستقبل:

لقد رفعت العقيلة زينب عليها السلام راية الجهاد بعد شهادة أخيها الحسين عليه السلام، وأخذت تطلق الصرخة تلو الصرخة بوجه يزيد واتباعه دفاعاً عن الحق ومواجهة للباطل، حيث خاطبت الطاغية في مجلسه الذي تحفه فيه خدمه وحشمه قائلة له: «فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا» فكانت هذه الكلمات استقراء للمستقبل ونظرة لما هو سيأتي.

إنها فعلاً من المعجزات الإلهية التي أخبرت بها العقيلة زينب عليها السلام سليلة أشرف نسب، حيث أخبرت بما سيحصل في المستقبل وكأنها كانت تنظر إليه وهي واثقة من ارتداد الضمائر، وعودت الوعي إلىٰ النفوس.

إنّ هذه النهضة كلما تعرضت علىٰ مرّ العصور الى مغالطات وتشويه، ما

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٥٣، امالي الصدوق ١٤١ ضمن الحديث ٣ المجلس ٣١، الاحتجاج ٢: ١٣١، مثير الأحزان (لابن نما): ١٠٠ - ١٠١، جواهر المطالب ٢: ٢٩٥، بحار الأنوار ٤٥: ١٥٦.

(٢) انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ٣: ٣٩٨.

ازدادت إلّا سطوعاً وعلواً، وهذا ما تنبأت به العقيلة سلام الله عليها فيما قالته لابن أخيها الإمام السّجاد عليه السلام قبل أن يترك أرض الطف في الحادي عشر من المحرم: «إن قبر أبيك سيكون علماً لا يُدرس اثره، ولا يُمحىٰ رسمه..».

فإنا ندلل علىٰ ما أخبرت به العقيلة سلام الله عليها بما نراه اليوم، فانظر إلىٰ مرقد الإمام الحسين عليه السلام وانظر إلىٰ مرقد يزيد، الأول أصبح قبلة للناس.. والآخر أمسىٰ مزبلة من مزابل التاريخ.

نعم، لقد أضحت قبور أهل البيت عليهم السلام منارة هدي للبشر وحبل نجاة للأُمة، وظلّت مراقدهم محجة لكلّ الناس يقصدونها للتبرك والمغفرة. بينما اندرست آثار أولئك الظلمة وانمحىٰ ذكرهم إلّا لأجل لعنهم والدعاء عليهم بما ارتكبوه من ظلم وتعسف.

ومن نتائج الخطبة ايضاً الاعتراضات:

ان من نتائج خطبة العقيلة زينب عليها السلام وخطبة الامام السجاد عليه السلام هو ايقاظ الضمائر وتنبيه حضّار مجلس يزيد إلىٰ منزلة السبايا وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولفت انظارهم إلىٰ الجرم الذي ارتكبه بنو أمية بحق العترة الطاهرة.

فظهرت بعض الاعتراضات علىٰ اعمال يزيد واعوانه، وهذه منها:

اعتراض رسول ملك الروم على يزيد:

جاء في «تذكرة الخواص» عن عبيد بن عمير: كان رسولُ قَيصَر (ملك الروم) عند يزيد، فقال ليزيد: هذا رأس مَنْ؟ فقال: ابنُ فاطمة، قال: ومَنْ فاطمة؟ قال: بنتُ محمّدٍ، قال: نبيّكم؟ قال: نعم، قال: ومَن أبوه؟ قال: عليّ بن أبي طالب، قال: ومن عليّ بن أبي طالب؟ قال: ابنُ عمّ نبيّنا.

فقال: تبّاً لكم ولدينكُم، ما أنتم وحقّ المسيح على شيء إنّ عندنا في بعض الجزائر دَيراً فيه حافِر حمارٍ ركبهُ عيسىٰ السيّد المسيح، ونحنُ نحُجُّ إليه في كلّ عامٍ من الأقطار، وننذِرُ لهُ ونعظّمهُ كما تعظّمون كعبتكُم، فأشهدُ أنّكم علىٰ باطل، ثمّ قام ولم يَعُد إليه[١].

اعتراض أحد أحبار اليهود على يزيد:

إلتفت حبرٌ من أحبار اليهود وكان حاضراً في مجلس يزيد، فقال: مَنْ هذا الغلام - يعني الإمام السجاد- يا أميرالمؤمنين؟!

فقال: هو صاحبُ الرأس أبوه، قال: ومَن هو صاحبُ الرأس يا أميرالمؤمنين؟! قال: الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: فَمَن أُمُّهُ؟ قال: فاطمةُ بنت محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال الحبرُ: يا سبحان الله! هذا ابنُ بنت نبيّكم قتلتموه في هذه السرعة! بئس ما خلفتموه في ذُريّته، والله لو خَلَف فينا موسى بن عمران سبطاً من صُلبه لكُنّا نعبُده من دون الله! وأنتم إنّما فارقكم نبيّكم بالأمس، فوثبتم على ابن نبيّكم فقتلتموه! سوءةً لكم من أمّة.

فأمر يزيد بكَرٍّ[٢] في حلقه فقام الحبر وهو يقول: ان شئتُم فاضربوني أو فاقتلوني أو فذروني، فإنّي أجدُ في التوراة أنّه من قتل ذريّة نبيّ لا يزال مغلوباً أبداً ما بقي، فاذا مات يُصليه الله نار جهنّم[٣].

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٦؛ وذكر الخوارزمي نحوه مفصّلاً في مقتله: ٢: ٧٢، وراجع اللهوف: ٢٢١؛ مثير الأحزان: ١٠٣؛ البحار ٤٥: ١٤١.

(٢) الكرّ: الحبل الغليظ. راجع لسان العرب «كرر».

(٣) الفتوح ٥: ١٥٤؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧١؛ الحدائق الوردية ١: ١٢٧؛ بحار الأنوار ٤٥ ح: ١٣٩.

اعتراض زوجة يزيد:

ورد في بعض المصادر: انّ زوجة يزيد هند ابنة عبدالله بن عامر بن كريز، سمعت بما في دار مجلس يزيد فخرجت من خدرها ودخلت المجلس، وقالت يا أمير المؤمنين أرأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم .. فاعولى عليه وحُدّى!![1].

اعتراض ابن عبّاس علىٰ أعمال يزيد:

لقد سخطت كلّ الضمائر أشدّ السخط علىٰ يزيد وأفعاله، من أصحاب وغيرهم، وأنكروا عليه ما ارتكبه بحق أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك انتقاماً من رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلىٰ هذا قد أشار ابن عبّاس ضمن رسالته إلىٰ يزيد، حيث جاء فيها:

«يا يزيد وإنّ من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأطفاله وحرمه من العراق إلىٰ الشام أسارىٰ مجلوبين مسلوبين، تُري الناس قدرتك علينا وأنّك قد قهرتنا واستوليت علىٰ آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي ظنّك أنّك أخذت بثأر أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه والأضغان الذي تكمن في قلبك كمون النار في الزّناد، جعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلة إلىٰ اظهارها. فالويل لك، من ديّان يوم الدين، والله لئن أصبحت آمناً من جراحة يدي فما أنت آمن من جراحة لساني»[2].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٤ جواهر المطالب ٢: ٢٩٣، الكامل في التاريخ ٤: ٨٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٤٨.

شاطرت العقيلة عليها السلام مع أخيها عليه السلام الجهاد:

كانت زينب الكبرىٰ سلام الله عليها شريكة الإمام الحسين عليه السلام في مقارعة الظلم والطغيان والألم والأحزان:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة حتم القضاء عليهما أن يندبا
هذا بمشتبك النصول وهذه في حيث معترك المكاره في السبا[1]

لقد عانت عائلة آل الرسول صلى الله عليه وآله خلال مسار سبيها إلىٰ الشام مصائب يعجز عن وصفها اللسان، وأرزاء لا يحتملها الإنسان، فكان لها الوقع المؤلم في نفوسهم.. فكيف عاشت العقيلة زينب سلام الله عليها تلك الأيام..؟ وكيف تحملت كل هذه الآلام..؟ فهي المسؤولة عن الركب الحزين.. وهي التي تحمل راية أخيها سيد الشهداء عليه السلام.

لقد كانت العقيلة زينب سلام الله عليها تُقتل قتلاً معنوياً في كلّ لحظة من لحظاتها بعد شهادة أخيها الامام الحسين عليه السلام.

المألوف ـ هنا ـ في مثل هذه الأحوال أن تضعف النفوس وتقلّ العزائم، ولكن نرىٰ علىٰ العكس من ذلك كانت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله مرفوعة الرأس عالية الهمة في مواصلة مسيرتها وجهادها، حيث ألقت تلك الخطبة الغرّاء في مجلس الطاغية يزيد، بيّنت فيها للأمة زيف الخلافة الأموية التي تحكم باسم الإسلام.

ففتحت كلمات العقيلة سلام الله عليها عيون الأمة علىٰ زيف الحياة الروحية التي كانت تحتويهم، وبدأ الإطار الديني المغلّف للحكم الأموي يتزعزع ويتشقق تمهيداً لانهيار قريب، وتنبّه الناس إلىٰ انّ الجاهلية العمياء قد تغلغلت إلىٰ أركان الحكم، وبدأ الاستياء والشعور بالتقصير يتفاعل في نفوس الناس.

---

(١) العباس عليه السلام للسيد عبدالرزاق المقرّم: ١١٣.

ركب السبي يبعث اليقظة:

لقد أثّر ركب السبي في بعث اليقظة الروحية في الأمة الإسلامية، وساعد في ذلك ما ظهر من وحشية الأمويين في حربهم ضد الإمام الحسين عليه السلام، وقتله مع نخبة من أهل بيته وصحبه، وما رافق ذلك من حمل الرؤوس الطاهرة من الكوفة ثمّ إلىٰ الشام والتي تعبّر عن الهمجية والبربرية التي كانت تتصف بها جنود بني أمية، وهذه نقطة مهمة قد أججت نار المشاعر ضد الذين قاموا بمجزرة الطف الرهيبة.

وعلىٰ الرغم من التعتيم الإعلامى الذي قام به النظام الأموي في تغيير الواقع والتأثير علىٰ الأذهان، لكن اسلوبه المشين والمخزي في كيفية التعامل مع أهل بيت النبوة وحمل نساء عقائل الوحي في ذلك الوضع المؤلم كان له الأثر السلبي في فضح النظام الظالم، بالاضافة إلىٰ ما أطرق مسامع الأمة من كلمات الحق التي سمعوها من سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله، كلّ ذلك ساهم مساهمة جادة في نشر أهداف النهضة الحسينية وفضح السلطة الأموية.

وانّ دماء شهداء النهضة الحسينية، وما تلاها من تبيين الحقائق في حوادث السبي، قد حوّل الأمة من خمول بلا عقيدة إلىٰ أمة تتحسس بالمسؤولية تجاه الدين والمبدأ...

إقامة العزاء فى الشام:

لقد استطاعت العقيلة زينب عليها السلام بما تملك من قوّة الشخصية والجَنان علىٰ أن تقيم العزاء مع بقية عائلة آل الرسول صلى الله عليه وآله، وتنصب مأتماً علىٰ سيد الشهداء عليه السلام في عاصمة يزيد الظالم وبالقرب من قصره وداره، لكي تعلن للأمة مظلومية شهداء النهضة الحسينية، وتتحدىٰ بذلك جميع الأجلاف العتاة من أعوان الدولة

الأموية الحاقدة على آل الرسول صلى الله عليه وآله.

ولقد استمرت هذه المراسم ثلاثة أيام[١].

وبالتالي تغيّرت الأُمور وعجّل الطاغية يزيد بترحيل سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله إلى المدينة وذلك خوفاً من سخط الناس عليه، وحدوث الاضطرابات على ملكه وسلطانه.

بل، العزاء والنوح على سيد شباب أهل الجنة عليه السلام استمر طيلة مقامهم في بلاد الشام.

قال ابن الأعثم: «وأقاموا أيّاماً يبكون وينوحون على الحسين رضي الله عنه»[٢].

وقال السيد ابن طاووس: «ثمّ أمر بهم (يزيد) إلى منزل لا يكنّهم من حرٍّ ولا بردٍ، فأقاموا فيه حتّى تقشّرت وجوههم، وكانوا مدة مقامهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين عليه السلام»[٣].

نعم، لقد ندبن بنات الرسالة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة بأقسى ما تكون الندبة، وهنّ ينحن عليه بشجو وأنّة، وكانت دموع السيدة زينب عليها السلام وبقية النسوة رسالة دم الحسين عليه السلام الطاهر، الذي هزّ عرش يزيد وعجّل في زوال ملكه وطغيانه.

المغادرة وترك الشام:

لقد كان موقف سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله في الشام من المواقف العظيمة التي

---

(١) انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٤، ومقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٢٦.

(٢) الفتوح ٥: ١٥٥.

(٣) اللهوف: ٢١٩.

سجّلها التاريخ، حيث بينوا فيها الحقائق وفضحوا الدولة الأموية الحاقدة على الإسلام، وزلزلوا عرش يزيد، فكانت رسالتهم العظيمة في الشام ومن قبلها في الكوفة قد خيبت آمال النظام الأموي من الوصول إلى الهدف المنشود من سوق سبايا أهل البيت عليهم السلام كأُسارى من بلد إلى آخر، فعاد عملهم وبالاً عليهم، لذا خاف يزيد - اللعين - على نفسه وعلى سقوط عرشه، فطلب منهم المغادرة وترك الشام؛ لئلا يتضح أمره أكثر من ذلك أمام الجماهير الغافلة، فخرج - حينئذٍ - سبايا موكب أهل البيت عليهم السلام من الشام وهم مصحوبين بالنصر والغلبة على أعداء الدين، ولقنوا يزيد وأعوانه دروساً لن ينساه التاريخ إلى الأبد.

ولقد حققت عقيلة بني هاشم سلام الله عليها نصراً حاسماً على الطاغي يزيد، وهو في ذروة النصر الكاذب المزعوم، وعلى رأس السلطة والقدرة، في حين كانت هي في أسر الأعداء، وانّها امرأة عزلاء، يحيط بها لفيف من الأرامل والأيتام.

الفصل السادس

مواقف العقيلة زينب عليها السلام في المدينة المنورة

شماتة العدو:

بعد انتهاء مجزرة كربلاء الرهيبة، أرسل ابن زياد عبدالملك بن الحارث السلمي إلى المدينة؛ ليبشّر واليها عمرو بن سعيد الأشدق بقتل ريحانة رسول الله ﷺ، وأمره أن يجدّ السير ولا يسبقه الخبر من غيره.

فسار مجدّاً حتى اذ وصل المدينة لقيه رجل من قريش فقال له: ما الخبر؟ فقال: الخبر عند الأمير.

فقال القرشي: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتل الحسين، ولمّا علم ابن سعيد بمقتل الحسين عليه السلام فرح بذلك.

ثمّ أمر باذاعة الخبر بين الناس، فهرعوا ببكاء نحو الجامع النبوي، فلم يسمع ذلك اليوم واعية[1] مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنّ على سيّد شباب أهل الجنة، فضحك ـ حينئذٍ ـ عمرو بن سعيد وتمثّل بقول عمرو بن معدي كرب:

عجّتْ نساءُ بني زيادٍ عجّة كعجيج نِسْوَتنا غَدَاةَ الأرنبِ

ثمّ قال عمرو: واعية كواعية عثمان[2].

---

(١) الواعية: التي تصرخ على الميت.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٧؛ تاريخ ابن الأثير ٤: ٨٨ - ٨٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢:٧٦.

والأرنب: وقعة كانت لبني زُبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب. كما ذكره الطبرى في تاريخه.

وبعدها صعد المنبر وأظهر شماتته وسروره بذلك[١].

ومن جملة ما قال: «أيها الناس إنها لدمة بلدمة وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة...»[٢].

وفي الارشاد وكشف الغمة: دعا ليزيد بن معاوية ونزل[٣].

وقد قطع عليه عبدالله بن السائب خطابه معترضاً عليه، قائلاً له:

لو كانت فاطمة حيّة، ورأت الحسين عليه السلام لبكت عليه[٤].

وهذا الاعتراض هو استنكار علني ونقد لاذع يجابه به حاكم المدينة على كلامه وشماتته.

حال المدينة:

كانت آفاق الحياة السياسية مضطربة، والحالة الاجتماعية غير مستقرة؛ بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك في جميع الممالك الاسلامية، والمدينة المنورة هي موطن أهل بيت النبوة والوحي كان لها النصيب الأوفر من هذا الاضطراب وعدم الاستقرار، ولا نشك في أنّ شعلة الثورة كانت متأججة فيها أيضاً ـ كبقية العالم الإسلامي ـ ولمّا عادت سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة واطلع الناس على تفصيل الجريمة النكراء التي ارتكبها النظام الأموي بحق أهل البيت عليهم السلام في واقعة كربلاء، فأخذت العقيلة زينب سلام الله عليها توقظ جماهير المدينة وتؤلبهم على حكم يزيد وتفضحه كما فضحته في الكوفة

---

(١) انظر: الارشاد ٢: ١٢٣؛ البحار ٤٥: ١٢٢؛ جلاء العيون ٢: ٢٩٨.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢: ٧٦؛ جلاء العيون ٢: ٢٩٩؛ البحار ٤٥: ١٢٢.

(٣) الارشاد ٢: ١٢٣، كشف الغمة ٢: ٦٨.

(٤) مقتل الخوارزمي ٢: ٧٦ ـ ٧٧؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٢٢.

والشام، وتبيّن للأمة زيف النظام الأموي ومدىٰ ظلمه واجرامه.

فكتب عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة إلىٰ يزيد عن نشاطها كتاباً يعلن فيه خوفه من العقيلة عليها السلام في تأجيج نار الثورة علىٰ حكم بني أمية، فأتاه كتاب الطاغية في جوابه بأن يفرّق بينها وبين الناس[١].

فكان دور العقيلة عليها السلام الدور المهم في اشعال نار الثورة علىٰ الحكم الأموي، والتي هيأت الأجواء الملائمة التي اعقبها الثورة الكبرىٰ علىٰ ذلك النظام الجائر، وطرد الثائرون عامل يزيد والأمويين على المدينة، والذي اضطر بعدها بنو أمية إلىٰ ارسال قوة كبيرة من الشام لقمع ثورة أهل المدينة بقيادة المجرم مسلم بن عقبة المري، والذي اسرف في القتل والدمار وأخذ البيعة بالقوة والاجبار ليزيد[٢].

ومن دون ريب انّ هذه الأحداث المؤلمة والثورات المتتالية هي التي عجّلت في اضمحلال دولة الجور والظلم بعد أن قام الإمام الحسين عليه السلام بنهضته المباركة التي كسرت حاجز الخوف عند الأمة وبددت السكوت وايقظت الجماهير... واعطت الثقة والرجاء للجماهير في زعزعة عروش الطواغيت والظلمة.

المأتم الكبير في المدينة:

عندما دنا ركب أهل البيت عليهم السلام الحزين من مشارف المدينة طلب الإمام علي بن الحسين عليه السلام من بشر بن حذلم أن يدخل المدينة وينعىٰ الحسين عليه السلام،

---

(١) انظر أخبار الزينبيات للنسابة العبيدلي: ١١٦.

(٢) انظر حول جرائم جيش يزيد واتباعه على اهل المدينة المنورة ما ذكرته المصادر التاريخية، كتاريخ الطبري ٤: ٣٦٦ وغيره فى احداث سنة ٦٢و٦٣.

ويخبر أهلها عن وصول أهل البيت عليهم السلام.

فركب فرسه ودخل المدينة قبلهم وأخذ ينشد الشعر لهذا المصاب العظيم، ثمّ قال لأهل المدينة:

«هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه».

فاجتمع الناس من كل حدب وصوب، وقلوبهم دامية، وعيونهم تذري الدمع على سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، يصوّر لنا بشر بن حذلم الوضع آنذاك قائلاً:

«فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجبة إلّا برزن من خدورهنّ وهنّ يدعين بالويل والثبور ولم يبقَ في المدينة أحد إلّا وخرج وهم يضجّون بالبكاء. فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وهكذا تحوّلت المدينة كلّها، بعد رجوع أهل البيت عليهم السلام من كربلاء إلى مأتم كبير.

المدينة بعد دخول حرم الحسين عليه السلام:

قال الخوارزمي: «قالوا: ولمّا دخل حرم الحسين عليه السلام إلى المدينة عجّت نساء بني هاشم، وصارت المدينة صيحة واحدة»[2].

وروى الشيخ المفيد عن مبعوث ابن زياد إلى المدينة (عبد الملك

---

(١) انظر واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ٢٣١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٦.

السَلَمي) انّه قال: «فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله»[١].

وورد في «أخبار الزينبيات» للنسابة العبيدلي أنّه بعد أن ورد أهل المدينة الخبر بوصول الإمام السجاد عليه السلام وأخواته وعماته قال:

«فبرزت الرجال والنساء والصبيان صارخين باكين وخرجت نساء بني هاشم حاسرات تنادي: واحسيناه واحسيناه»[٢].

ولقد أصبح محبي أهل البيت عليهم السلام في المدينة بعد رجوع سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله يعيشون مأساة آل البيت عليهم السلام حتى أصبح أحدهم مثل الثواكل في كربلاء يحسّ باحساسهن يندب وينوح بعبرات تحيي الثرى، وزفرات تدع الرياض همودا...

ويصف الشيخ ابن نما الحلّي حالة أهل البيت عليهم السلام حين دخولهم المدينة حيث قال: ثمّ دخل الإمام زين العابدين عليه السلام وجماعته دار الرسول صلى الله عليه وآله فرآها مقفرة الطلول، خالية من سكّانها، خالية بأحزانها، قد غشيها القدر النازل، ومساورها الخطب الهائل، وأطلّت عليها عذابات المنايا، واظلّتها جحافل الرزايا، وهي موحشة العرصات، لفقد السادات... ثمّ رثا ابن نما دار النبي صلى الله عليه وآله بهذه الأبيات:

وقفتُ على دار النبيِ صلى الله عليه وآله محمّد ... فألفيتها قد أقفرت عرصاتها

وأمست خلاءً من تلاوة قارئٍ ... وعطّل منها صومها وصلاتها

وكانت ملاذاً للعلوم وجنّة ... من الخطب يغشي المعتقين صلاتها

---

(١) الارشاد ٢: ١٢٣. وانظر روضة الواعظين ١:١٩٢.

(٢) اخبار الزينبيات: ١١٤.

فأقوت من السادات من آل هاشم ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها
فعيني لقتل السبط عبرىٰ ولوعتي علىٰ فقده ما تنقضي زفراتها
فيا كبدي كم تصبرين علىٰ الأذىٰ أما آن أن يغني إذن حسراتها[1]

لبس السواد وإقامة المأتم:

روىٰ البرقي باسناده عن عمر بن علي بن الحسين، قال: «لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل الطعام لهنّ للمأتم»[2].

حداد المدينة بمصرع الحسين عليه السلام:

لبست المدينة الحداد لمقتل الحسين عليه السلام حزناً علىٰ سيد الشهداء وأبي الأحرار عليه السلام، وأُقيمت النياحة في المرّة الأُولىٰ لمّا وصل نبأ مقتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله، والمرّة الثانية بعد وصول أهل البيت عليهم السلام إلىٰ المدينة، لقد نصب الناس العزاء وأخذوا ينوحون علىٰ شهداء واقعة الطف الأليمة.

نياحة أهل البيت عليهم السلام في المدينة:

واقمن نساء أهل البيت عليهم السلام علىٰ الحسين عليه السلام النياحة، والإمام السّجاد عليه السلام يتعهدهنّ بالطعام، وهنّ ملتاعات، ناعيات إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله سيد شباب أهل الجنة، وشاكيات إليه ما أصابهنّ من ظلم وسفك دماء أهل بيتهنّ..

---

(١) مثير الأحزان: ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) المحاسن: ٤٢٠ ح ١٩٥، باب ٢٥.

وكانت العقيلة زينب سلام الله عليها لا تجف لها عبرة، ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلّما نظرت إلىٰ ابن أخيها الإمام السّجاد عليه السلام تجدد حزنها وزاد وجدها واستمرت لوعة أهل البيت عليهم السلام مدة من الزمن علىٰ تلك الفاجعة المؤلمة، وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«وما اختضبت هاشمية ولا ادهنت ولا أُجيل مرود في عين هاشمية خمس حجج (سنوات) حتىٰ بعث المختار برأس عبيدالله بن زياد»[١].

العقيلة تعزّي جدّها الرسول صلى الله عليه وآله:

لمّا رجع الإمام علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته إلىٰ المدينة، وقد أحاطت بهم الناس، وعلت أصواتهم بالبكاء والصراخ، فقصدوا المسجد النبوي، ولما انتهوا إليه أخذت العقيلة زينب سلام الله عليها بعضادتي باب المسجد، وأخذت تعزّي جدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بمقتل سبطه وريحانته قائلة:

«يا جدّاه إني ناعية إليك أخي الحسين».

ثم انشأت تقول:

مدينة جدّنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين طراً ... رجعنا لا رجال ولا بنينا[٢]

الحرب الاعلامية:

انّ الحرب الاعلامية الباردة التي خاضها سبايا آل الرسول صلى الله عليه وآله من بلد إلىٰ

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣٨٦.

(٢) انظر مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ٤٤٥.

بلد بقيادة الحوراء زينب سلام الله عليها لم تكن بأقل من تأثير الحرب الدموية الساخنة التي خاضها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، حيث كانت أحد المعركتين تكمّل الأُخرىٰ، وبالتالي ركّز أُسارىٰ أهل البيت عليهم السلام في تلك الظروف الصعبة على أهداف نهضة سيد الشهداء عليه السلام، ونشروا رسالة الدماء الطاهرة التي أُريقت على أرض الطف من أجل الدفاع عن الدين والعقيدة.

واجبات تنتظر العقيلة عليها السلام:

بعد أن رجعت العقيلة زينب عليها السلام إلىٰ المدينة المنورة موطن جدّها وأبيها، وهي في غاية الحزن والألم علىٰ ما شاهدته في رحلتها الصعبة إلىٰ كربلاء ثم الكوفة فالشام، وفقدها لأهلها وأعزّتها، فكانت هناك واجبات تنتظرها، منها ادارة عائلة بني هاشم بعد أخيها الحسين عليه السلام لأنها قطب رحىٰ هذه العائلة، فاصبحوا تحت رعايتها وادارتها. بالاضافة إلىٰ مسؤوليتها الكبرىٰ في مواصلة الكفاح والجهاد ضد النظام الأموي الذي جرّ المصائب والويلات إلىٰ المجتمع الاسلامي.

وأيضاً كانت تقوم بالتوجيه الديني والارشاد الإسلامي وبالاخص في تلك الفترة العصيبة التي كمت فيها الأفواه وزاد فيها البطش والارهاب.

العقيلة عليها السلام مستمرة بأداء دورها:

وعن عبيدالله بن أبي رافع أنّه قال:

«سمعتُ محمّد أبا القاسم بن علي يقول: لمّا قدمت زينب بنت علي عليها السلام من الشام إلىٰ المدينة مع النساء والصبيان ثارت فتنة بينها وبين عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة من قِبَل يزيد، فكتب إلىٰ يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب له بذلك، فجهّزها هي ومن أراد السّفر معها من نساء بني هاشم إلىٰ مصر،

فَقَدِمتها لأيّام بقيت من رجب»[١].

وهذا ما يدلل علىٰ أنّ العقيلة زينب عليها السلام لم تترك أداء رسالتها حتّىٰ بعد رجوعها إلىٰ المدينة، بل كانت مستمرة بأداء دورها تجاه الطغاة والظلمة، فكانت تقوم بزرع الوعي في نفوس الأمة من أجل نصرة الدين والقضاء علىٰ المنحرفين.

وروىٰ النسابة العبيدلي في كتابه «أخبار الزينبيات» بسنده عن مصعب بن عبدالله قال: كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس علىٰ القيام بأخذ ثأر الحسين عليه السلام... فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم علىٰ القيام للأخذ بالثار، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد فكتب إلىٰ يزيد يعلمه بالخبر فكتب إليه أن فرّق بينها وبينهم، فأمر أن ينادي عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء.

فقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيّرنا وانسقنا كما تُساق الأنعام وحملنا علىٰ الاقتاب...[٢] ثمّ اصرّت على المقاومة وعدم الخروج.

انتفاضة أهل المدينة:

ولمّا شمل الناس جور يزيد وعماله، وعمّهم ظلمه، وما ظهر من فسقه، من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وانصاره، وما أظهر من شرب الخمور وسيرته سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته، أخرج أهل المدينة عامله عليهم ـ وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ـ ومروان بن الحكم، وسائر بني أمية... وذلك في سنة ثلاث وستين[٣].

---

(١) أخبار الزينبيات للعبيدلي: ١١٨.

(٢) أخبار الزينبيات: ١١٥ - ١١٦.

(٣) انظر مروج الذهب (للمسعودى) ٣: ٦٨.

وقد اعقب تلك الثورة الجماهيرية وقعة الحرّة الأليمة التي سحق فيها جيش الطاغية يزيد الثوار، وقتل ما قتل، وأباح المدينة ثلاثة أيام.

وجاء في مطالب الجواهر للباعوني الشافعي:

«ولم تقم لبني حرب بعدهم قائمة حتّىٰ سلبهم الله ملكهم، وقطع دابرهم، وأورثهم اللعنة والخزي والعار إلىٰ آخر الأبد، وكتب عبدالملك بن مروان إلىٰ الحجّاج بن يوسف: جنّبني دماء أهل البيت، فانّي رأيتُ بني حرب سُلبوا ملكهم لمّا قتلوا الحسين»[١].

نجاح النهضة:

لقد نجحت نهضة الإمام الحسين عليه السلام منذ اللحظات الأُولىٰ التي خرج بها علىٰ الظلم والطغيان، حيث كانت النتيجة لصالحه لتفوّق روحه الإيمانية ولعزيمته الحقة المدفوعة بقوة المبدأ وصلابة الروح وسمو الهدف؛ وإن عزّ عليه النصر العاجل في معركة غير متكافئة العدد والعدة.

قال الكاتب المسيحي «انطون بارا»: الإمام الحسين عليه السلام لم يكن رجل حرب أو مجرد بطل مواقف وميدان فحسب.. بل نتج عن نهضته الرائدة مسيرة عبادية جهادية سياسية تظللت بظل مبادئ مقدسة مستوحاة من روح نصوص الشريعة الإليهة[٢].

نعم، النهضة الحسينية بلغت اهدافها السامية بجهاد أهل بيت سيد الشهداء عليه السلام ايضا، وصبرهم ومقاومتهم بعد واقعة كربلاء، وبالأخص العقيلة زينب عليها السلام.

---

(١) جواهر المطالب ٢: ٢٧٨.

(٢) الحسين في الفكر المسيحي: ٤٠٢.

حقاً أن يقال: إنّ النهضة الحسينية بدؤها حسيني واستمرارها زينبي.

أبيات للسيد رضا الهندي:

هذه بعض الأبيات للسيد رضا الهندي[١] من قصيدة رائعة، يصف فيها حال العقيلة زينب سلام الله عليها:

حَـرَّ قـلبي لزيـنبٍ إذْ رأتْـهُ ... تَـرِبَ الجسـم مُثْخناً بـالجُراحِ
اخْـرَسَ الخَـطْبُ نُـطْقَها فـدعَتْه ... بـدُموعٍ بـما تُكـنُّ فِـصاحِ
يـا مَـنارَ الضُـلالِ والليـل داج ... وظِلالَ الرَميض واليوم ضاحي[٢]
كُـنتَ لي يـومَ كُـنت كـهفاً مـنيعاً ... سَـجْسَجَ الظِـلّ خـافق الأرواحِ[٣]
اتـرىٰ القـومَ إذ عـليكَ مَـرَرْنا ... مَـنَعُونا مـن البُكـا والنـياحِ
ومسـيري أسـيرةً للأعـادي ... وركـوبي عـلىٰ النياق الطِـلاحِ[٤]
فَـبرَغمي أنّـي أراك مُـقيماً ... بين سُـمْرِ القَـنا وبـيضِ الصِـفاحِ
لكَ جسـمٌ عـلىٰ الرمـال، ورأس ... رَفَـعوهُ عـلىٰ رؤوسِ الرمـاحِ[٥]

---

(١) السيد رضا الهندي: هو ابن السيد محمد بن السيد هاشم الموسوي الهندي ولد قدس سره سنة ١٢٩٠ هـ وهاجر إلىٰ سامراء مع أبيه سنة ١٢٩٨، ثمّ عاد إلىٰ النجف وواصل دراسته فيها حتىٰ نال المراتب العالية، وكان فاضلاً، فقيهاً، شاعراً، بارعاً، له الإلمام بجملة من العلوم، رقيق الشعر بديعه، وهو شيخ الأدب في العراق والعالم الجليل والبحاثة الشهير، توفي سنة ١٣٦٢ هـ وله قصائد رائعة جداً في رثاء أهل البيت عليهم السلام راجع ترجمته في أدب الطف للسيد جواد شبر ٩: ٢٤١.

(٢) الرميض: اليوم شديد الحر، اليوم الضاحي: أيّ عديم السحاب.

(٣) سَجْسَج الظل: لا حرّ فيه ولا بَرْد.

(٤) الطِلاح: الإبل الهزيلة المُتْعَبة.

(٥) ديوان السيد رضا الهندي: ٥٤.

خلود صوت العقيلة:

لقد خُلّد صوت العقيلة زينب عليها السلام على مرّ التاريخ الذي يمثّل الحق، وانطفأ صوت الأمويّين الذي يُمثّل الباطل...

وقد بقيت كلمات العقيلة على مرّ العصور الذي يعرّف بتلك النهضة وأصحابها، وهو ما أراده الامام الحسين عليه السلام.

الفصل السابع

العقيلة زينب عليها السلام الى مثواها الأخير

كانت العقيلة زينب عليها السلام بعد واقعة الطف ومأساة يوم عاشوراء الرهيبة، تذري دماء القلب من جفونها القريحة، حزينة الفؤاد، كسيرة الخاطر، قد فارقت أعز الناس عليها، وأحبّهم إليها، فتركت أرض الطفوف، تحف بها الأرامل والأيتام، وتحيط بها الأعداء اللئام ولكن العقيلة سلام الله عليها هي القدوة في الصبر والشجاعة، وأُسوة في عمل الصالحات، تحملت كلّ ذلك في سبيل اكمال نهضة أخيها سيد الشهداء عليه السلام، ولأجل نشر رسالته، والدفاع عن حريم الدين.

رحلة العقيلة عليها السلام الى ربّها:

المشهور انّ العقيلة زينب سلام الله عليها انتقلت إلىٰ جوار ربّها عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ٦٢ هـ[1].

وقد صعدت روحها الطاهرة إلىٰ السماء كأسمىٰ روح صعدت إلىٰ الله تعالىٰ تحفها ملائكة الرحمن، بعد جهاد طويل، وعناء مرير، لتبث شكواها إلىٰ الباري تعالىٰ فيما لاقته من المحن والخطوب.

سلامٌ الله عليها يوم ولدت ويوم لحقت بربّها ويوم تبعث في ذلك اليوم الذي يأخذ بحقها العدل القهّار.

---

(١) اخبار الزينبيات للعبدلي: ١٢٢، وانظر زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ١٤٢.

مرقد العقيلة عليها السلام:

هناك ثلاثة احتمالات لمكان المرقد الطاهر للعقيلة زينب سلام الله عليها، في الشام ومصر والمدينة. ولكل واحد من هذه الاحتمالات أدلة للقائلين به.

لقد ذكر بعض المؤرخين وأهل السير الذين كتبوا حول أهل البيت عليهم السلام انّ مرقد العقيلة سلام الله عليها الطاهر في الشام، وذكروا الأدلة علىٰ ذلك. وقد أفرد بعضهم كتباً ورسائل لتحقيق هذا الموضوع، ومن أبرزهم الشيخ فرج العمران القطيفي رحمه الله (ت ١٣٩٨ هـ). الذي ألف رسالة تحت عنوان (المرقد الزينبي) وانتهىٰ به البحث إلىٰ ترجيح القبر الشريف في الشام. والبحث الآخر الأعمق هو للشيخ محمد حسنين السابقي من علماء باكستان حيث ألف كتاباً يقع في ٢٤٠ صفحة وطبع في بيروت عام ١٩٧٩ م، حيث رجّح أنّ القبر الطاهر في الشام أيضاً وذكر أدلة مفصّلة علىٰ ذلك.

وهناك من ذهب إلىٰ أن المرقد الشريف في مصر: لقد ذكر ذلك عدّة من الأعلام أصحاب المؤلفات المعروفة كالعلّامة الشعراني المصري في لواقح الأنوار (الطبقات الكبرىٰ) (ت ٩٧٣ هـ)، وكذلك المناوي (ت ١٠٣١ هـ) في الكواكب الدرّية والشبراوي (ت ١١٧١ هـ) في الإتحاف بحب الأشراف، وغيرهم. ولقد رجح العلّامة الخبير السيد شهاب الدين المرعشي رحمه الله هذا القول بعد الظفر بكتاب «أخبار الزينبيات» للعبيدلي (ت ٢٧٧ هـ)، حيث ذكر فيها سفر العقيلة زينب سلام الله عليها إلىٰ مصر.

وهناك قول ثالث يرجّح بأنّ قبر العقيلة في المدينة المنورة، وأبرز من دافع عن هذا الرأي هو السيد محسن الأمين العاملي، ولقد ذكر في «أعيان الشيعة» بعض الأدلة التي استبعد فيها كون قبر العقيلة سلام الله عليها في الشام، ونفىٰ أيضاً أن تكون قد دفنت في مصر، وأنّ القبر الموجود في الشام لزينب الصغرىٰ ابنة أمير

المؤمنين الإمام علي عليه السلام المكناة بأُم كلثوم، وانّ القبر الموجود في مصر لزينب بنت يحيىٰ المتوج بن الحسن الأنور بن زيد الابلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وأشار إلىٰ أن سبب التوهم ـ في كلا الموضعين ـ في نسبة القبر إلىٰ العقيلة زينب سلام الله عليها هو كلّ من سمع باسم «زينب» ينسبق ذهنه إلىٰ زينب الكبرىٰ سلام الله عليها لتبادر الذهن إلىٰ الفرد الأكمل.

وقد تمسّك السيد في مدعاه أيضاً بالاستصحاب؛ وذلك باعتبار انّ المدينة موطنها وقد عادت إليه بعد واقعة الطف قطعاً، لذا استصحاباً قد حكم بانّ دفنها وقبرها في المدينة المنورة ما لم يثبت العكس في خروجها منها.

وناقش هذا القول الشيخ محمد حسنين السابقي، وأيضاً الشيخ محمد جواد مغنية، قال الأخير فى كتابه «مع بطلة كربلاء»: إنّ الأخذ بالاستصحاب هنا لا يعتمد علىٰ أساس، لأن موضوع الاستصحاب أن نعلم بوجود الشيء ثمّ نشك في ارتفاعه بحيث يكون المعلوم هو المشكوك بالذات كما فرض علمنا بدفن الجثمان الشريف في المدينة قطعاً ثم شككنا هل نقل إلىٰ بلدٍ آخر أو بقي حيث كان؟ فنستصحب ويبقى ما كان علىٰ ما كان لاتحاد الموضوع، وأمّا إذا علمنا بدخولها المدينة ثم شككنا في محل قبرها، فلا يمكن الاستصحاب بحال، لأنّ الدخول الى المدينة شيء ودفن الجسد الطاهر شيء آخر»[2].

وقال المحقق الشيخ محمد مهدي شمس الدين: قد خشيت الادارة الأموية في الحجاز من عواقب النشاط التي كانت تبذله السيدة زينب سلام الله عليها في

---

(١) أعيان الشيعة ٧: ١٤٠، ١٤١، ١٤٢.

(٢) انظر «مع بطلة كربلاء»: ٩٠.

المدينة بعد عودتها من كربلاء، حيث إنّها من خلال المآتم العائلية كانت تؤجّج في الحجاز روح الثورة في المجتمع. ثمّ اشار إلىٰ ما كتبه عمرو بن سعيد حاكم المدينة إلىٰ يزيد يخبره بذلك. إلىٰ أن قال: ويبدو أن أمراً قد صدر بسفر السيدة زينب سلام الله عليها إلىٰ خارج الحجاز. وهذه النقطة في تاريخ السيدة غامضة. فكيف صدر الأمر بالسفر؟ ولماذا اختارت مصر ـ كما هو الراجح ـ دون غيرها من البلاد؟ هذا ما لا تسعفنا المصادر ببيان حقيقة الحال فيه، الذي نعرفه من المصادر أنّ العقيلة سلام الله عليها قد وصلت إلىٰ مصر في شعبان سنة ٦١ هـ أي بعد واقعة كربلاء بثمانية أشهر وانّ مسلمة بن مخلد الأنصاري عامل مصر استقبلها مع أعيان المسلمين بالبكاء والعزاء... إلىٰ إن توفيت في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة ٦٢ هـ[1].

علىٰ أيّ حال، ففي ضاحية دمشق بالشام يوجد مَشْهد مُشيّد، يقصده الناس من شتىٰ أقطار العالم، يُنسب إلىٰ السيدة زينب سلام الله عليها.

وفي القاهرة ـ أيضاً ـ هناك مَشْهد عظيم، يقصده أهل مصر وغيرهم، وهو يُنسب إلىٰ السيدة زينب سلام الله عليها ايضاً.

واننا نشير إلىٰ هذه المعلومات ونضعها أمام القارئ وذلك اتماماً للدراسة الموضوعية.

وإن التحقيق في القضايا التاريخية يحتاج الى قرائن يطمئن الباحث لها، قد تكون في بعض الأحيان غير كافية.

فالتوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالعقيلة زينب عليها السلام لقضاء الحوائج الدنيوية والأُخروية، له دورٌ كبير، سواء كان عند القبر المنسوب إليها في القاهرة أو في

---

(١) واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

دمشق يكون مورد عناية الباري تعالىٰ، وبالأخص اذا كنا نعتقد انّ هذه البقاع المقدّسة هي وسيلة لا غاية.

وعلىٰ كل حال، تتنافس البقاع علىٰ ضم مرقد العقيلة الطاهرة. فالمهم أنّ التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بالسيدة زينب سلام الله عليها وطلب الشفاعة منها بقضاء الحوائج الدنيوية والأُخروية بما لها من مكانة سامية عند الله تعالىٰ له دوره الكبير وأثره المجدي، سواء كان عند القبر الموجود في سوريا أو مصر أو في مكان آخر، وبالأخص عندما نعتقد انّ هذه مورد عناية الباري تعالى.

وبالتالي يتشرف ويسمو كلّ مكان أُقيم للعقيلة سلام الله عليها مرقد أو مقام.

المقامان الشامخان:

هناك مقامان شامخان ينسبان إلىٰ مرقد العقيلة زينب الكبرىٰ سلام الله عليها ابنة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أحدهما في الشام والآخر في مصر، ويؤمهما المسلمون للزيارة والتبرك (وسنتعرض إلىٰ اوصافهما بشيء من التفصيل):

ولابدّ لنا من وقفة قصيرة بما يتعلّق بمرقد العقيلة عليها السلام في كلا الموضعين: الشام ومصر، ونتعرض الى الكلام حول مرقدها الطاهر ربما يحكي ذلك الوقائع والحقائق، وتجعل المطالع والمشاهد يعيش تلك الأجواء الطيبة والمعالم المقدسة، ويستلهم منها الدروس والعبر، ويخاطب يزيد وأعوانه، بأنّ العقيلة زينب سلام الله عليها الذي دخلت تلك القصور الشامخة في الكوفة والشام بعنوان أسيرة، واليوم تتنافس البلدان والبقاع علىٰ ضم مرقدها الطاهر، وشيدوا علىٰ أثر ذلك تلك المراقد المقدسة والأضرحة الطاهرة، وذلك لمواقفها الصلبة،

وايمانها الثابت، والناس يتوافدون على تلك البقاع الشريفة. وعلىٰ العكس من ذلك لا نرىٰ لأصحاب تلك القصور الشامخة، والبيوت العالية، أيّ عين ولا أثر، ولعلّ الطالب لهم عليه بمراجعة مزابل التاريخ عسىٰ ولعلّه يجد ضالته المنشودة!!

حقاً، التاريخ فيه الدروس القيّمة والعِبر الثمينة، يحتاجه كلّ جيل وفي كلّ عصر ومصر.

مقام الشام:

يقع المشهد الزينبي في ضاحية دمشق فى الشام، حيث تقوم الروضة الزينبيّة في أرض منبسطة فيحاء في خراج قرية «راوية» جنوب شرق المدينة دمشق، وهي تُعرف اليوم بقرية «قبر الست» وتبعد نحو سبعة كيلومترات عن مدخل دمشق.

انّ المشهد كائن في الجهة الغربية من القرية، وهو مؤلف من صحن واسع وحرم وللصحن مدخلان غربي وشمالي فالغربي أمام سوق القرية وإليه تصل السيارات. والمدخلان يوصلان إلى الصحن ومنه إلى الحرم الذي يحتوي على الضريح، وأبعاد البناء الخارجية ٩٠ × ٩٠ متر وعلى يمين المدخل الغربي ويساره غرف للإدارة، وبعد اجتياز المدخل الى الصحن الذي عرضه ١٨ متر في طرفه الغربي والشمالي غرف لمبيت الزائرين، وهذه الغرف مبنية بتبرعات المحسنين، ويتقدّم الغرف من الداخل رواق عرضه ٤/٥ متر مسقوف بالاسمنت المسلح المرتكز على أعمدة من الحجر البازلتي الأسود. وفي وسط الصحن الحرم وله باب ذو رتاج مصفح بالنحاس الأصفر المنقوش، وأمام الباب مصطبة بطول الجدار الغربي يعلوها رواق محمول على دعائم من الحجر البازلتي أيضاً، وفي طرف الحرم من الناحية الغربية مأذنة متوسطة العلو مدورة ذات حجارة جميلة حديثة التجديد.

أما الحرم فمبني بالحجر والاسمنت المسلح والأرض مفروشة بالرخام الجيد وفوقه قبة راكبة على ثمان دعائم ضخمة. ويحوي أيضاً ٢٦ نافذة وله أربعة أبواب من جميع الجهات وزيّن داخل الحرم بثريات ذات الأنوار الساطعة.

والضريح تحت القبة يحيط به قفص أبعاده ٣/٥ ـ ٤/٥ متراً، وهو من طراز الدرابزون ذي الحلقات الصغيرة مصنوع من الفضة الخالصة بمنتهى الإتقان، أهدته اسرة حبيب الباكستانية سنة ١٩٥٤، وفي الداخل الصندوق الخشبي الموضوع كغطاء فوق قبر السيّدة زينب عليها السلام وهو من خشب الابنوس المقطع كالفسيفساء والمطعم بالعاج وأسلاك الذهب، وهو من أروع التحف الفنية وأجملها، صنعه أكبر فنان في طهران وأهداه بعض وجهاء إيران، وقد جلب ووضع في مكانه سنة ١٩٥٥ باحتفال كبير وقد أحيط بقفص من ألواح البلور[1].

ومن الجدير بالذكر ان السيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله كان لنشاطه وجهوده القيّمة الأثر الكبير في توسيع المرقد الطاهر فى دمشق.

وعلى أيّ حال، فانّ المشهور في الأوساط الاسلامية انّ قبر حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله زينب الكبرى في الشام، حيث هو قائم الآن، ويقصده المسلمون من كلّ مكان متوسلين إلى الله تعالىٰ في نيل حوائجهم، وقد أُحيط المرقد الطاهر بهالة من التقديس.

هذا ضريحك يا ابنة «الزهراء» أم روضة قدسية الأشذاء
جئنا له متبركين بلثمه وبه حططنا اليوم كلّ رجاء
حرم عليه من النبوة هيبة تحنىٰ لديها أرؤس العظماء
مهما سعينا حوله فكأننا نسعىٰ حيال «الكعبة» الغرّاء

---

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية الشيعية / حسن الأمين ٢٠: ٤٦٤ ـ ٤٦٦.

ولقد نجا المتمسكون ببابه ... من كلّ شر طارق وبلاء
غمرت جوانبه القداسة فاعتلىٰ ... شرفاً تجاوز موطن الجوزاء
نور الرسالة والإمامة ساطع ... منه سطوع الكوكب الوضاء
طفنا به فأعاد ذكرىٰ كربلا ... مخصوبة منكم بخير دماء
لله يوم الطف قلبك بعدما ... شاهدت مصرع سيد الشهداء
وبجنبه أبناؤه وصحابه ... كالبدر حاطته نجوم سماء
وحملت بعد إلىٰ دمشق أسيرة ... وأجل من انجبن من حواء
ولقيتِ صابرة أمضىٰ فجيعة ... بالإخوة الأطهار والأبناء
خلق من الهادي الأمين ورثته ... ومن الوصي وآلك الأمناء
فتركتِ يا فخر العقائل في الملا ... أسمىٰ فخار خالد وعلاء
ترعاه عين الله فهو علىٰ المدىٰ ... باقٍ بروعته بقاء ذكاء
وعليك منه صلاته وسلامه ... في كل صبح مشرق ومساء[1]

وللشاعر الاديب الحاج محمّد باقر الايرواني قصيدة رائعة وهي:

يا زائراً قبر العقيلة قف وقلْ ... منّي السلام على عقيلة هاشمِ
هذا ضَريحُكِ في دمشق الشام قد ... عكفَتْ عليه قلوبُ أهل العالمِ
هذا هو الحقُّ الذي يَعلو، ولا ... يُعلىٰ عليه، برغم كلّ مُخاصمِ
سلْ عن يزيد وأين أصبح قبرُه ... وعليه هَلْ من نائحٍ أو لاطمِ
اخزاه سلطان الهوى وأذلّه ... ومشىٰ عليه الدهرُ مِشْيَة راغمِ

---

(١) هذه القصيدة للأُستاذ الشاعر السيد محمود الحبوبي نظمها أثناء طوافه حول ضريح السيدة زينب عقيلة بني هاشم عليها السلام، وذلك عام ١٩٥٠ م.راجع كتاب «السيدة زينب عقيلة بني هاشم عليها السلام» لعلي بن الحسين الهاشمي: ٤٦ ط. مؤسسة المفيد ـ بيروت.

أين الطغاة الظالمون وحُكمُهم؟ لم يُذكروا إلّا بلعنٍ دائمِ
أين الجُناة الحاقدون ليعلموا هُدمَتْ معالمهم بمِعْولِ هادمِ
ومصيرهُم أمسىٰ مصيراً أسوداً بئس المصيرُ إلى العقاب الصارمِ
يا ويحَهُم خانوا النبي وآله كم من جناياتٍ لهُم وجرائمِ
عمدوا لهدم الدين بُغضاً منهمُ للمصطفى ولحيدرٍ ولفاطمِ
كم من دمٍ سفكوا وكم من حُرمةٍ هتكوا كذي حَنَقٍ ونقمةِ ناقمِ
وبناتُ وحي الله تُسبىٰ بينهم من ظالمٍ تُهدى لألعن ظالمِ
والهفتاه لزينبٍ مسبيّةً بين العدى تبكي بدمعٍ ساجمِ
وترىٰ اليتامىٰ والمُتون تَسَوّدَت بسياطهم ألماً ولا من راحمِ
فاذا بكت ضُربت،وتُشْتَمُإن شكَت من ضاربٍ تشكوالهوان وشاتمِ[1]

مقام القاهرة:

وقد كان هذا القول ـ ولا يزال ـ إحدىٰ الاحتمالات بانّ مرقد العقيلة الطاهر سلام الله عليها فى مدينة القاهرة، وله أدلته والافراد القائلون به.

فالضريح المقدس المنسوب إلىٰ العقيلة زينب سلام الله عليها في القاهرة معظّماً مقصوداً بالزيارة، وموضع تبجيل واحترام الخاصة والعامة من الناس بما فيهم من العلماء والملوك، الذين كانوا يتعاهدونه بالتعمير والإصلاح وبناء كلّ ما يتصدع من بناءه، وكان هذا المقام الكريم من جملة المشاهد المعدودة التي يتناوب خدمتها أناس انقطعوا لهذا العمل الجليل.

---

(١) زينب الكبرىٰ عليها السلام من المهد الى اللحد: ٦٧٦.

الحرم الزينبي:

هذا وقد أصبح الحرم الزينبي الآن في القاهرة محجّة الزائرين والقاصدين، وقد اعتنت به الحكومات المصرية في عصورها المتعاقبة اعتناءً كبيراً، وجددته ووسعته وزخرفته، وأنفقت في ذلك أموالاً طائلة؛ وما ذلك إلّا بقصد الاعتزاز بهذه العقيلة الطاهرة، وليكون مثواها جديراً بمكانتها العظيمة ومنزلتها الكريمة رضي الله عنها وأرضاها[١].

وجاء فى كتاب آل بيت النبي صلى الله عليه وآله فى مصر:

وفي المشهد الزينبي تشهد العشرات والمئات من الرجال والسيدات والشبان يدخلون الى مقام السيدة زينب عليها السلام كلّ له حاجة، أو جاء ليوفي بنذر من النذور هذا المنظر عادة يتكرر منذ شرفت مصر بنت فاطمة الزهراء عليها السلام وعلي بن أبي طالب عليه السلام رضي الله عنهم جميعاً.

يقول فضيلة الشيخ جلهوم، وهو من العلماء الثقاة وأحد الذين تولوا مشيخة أو إمامة المسجد الزينبي عن الزيارة الشرعية لأهل البيت ومنهم السيدة زينب صاحبة المقام: من مجربات الصالحين انّهم كانوا اذا أتوا إلى ضريح السيّدة زينب ومقامها الطاهر قالوا: «لا إله إلّا الله» إحدى عشرة مرّة... وبعد هذا الذكر يقولون:

«السلام عليكِ يا حفيدة رسول الله. نشهد بأنك أقمت الصلوة وأتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده حتّى أتاك اليقين. اللّهمّ إنّا نستشفع بأهل نبيك، أن تقضي لنا الحاجات وتفرّج عنّا الكربات وتمحو عنّا السيّئات».

---

(١) راجع الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ٣٣: ٤٥، نقلاً عن كتاب «أهل البيت في مصر»: ٥٢، ٥٦، ٥٨.

ثمّ يسألون الله من خيري الدنيا والآخرة، ثمّ يصلّون ويسلّمون على الرسول صلى الله عليه وآله ويقرؤون ما تيسر من آي الذكر الحكيم. وكلّ ذلك في صوت خفيض واستحضار لجلال الآخرة. ثمّ ينصرفون وقد امتلأت نفوسهم رجاءً من الله بأن يتقبّل منهم ويعفو عنهم[١].

المسجد الزينبي:

يقع المسجد الزينبي الذي يضم المرقد الطاهر في ميدان السيدة زينب، وكان هذا الحي يُعرف سابقاً باسم «قنطرة السباع» نسبة إلىٰ نقش السباع علىٰ قنطرة كانت موجودة وقتئذٍ علىٰ الخليج الذي كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهي عند السويس، وكانت السباع شارة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذي أقام القنطرة.

وفي عام ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٨ م تمّ ردم الجزء الأوسط من الخليج، وبردمه اختفت القناطر ومع الردم تمّ توسيع الميدان، وعند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب سلام الله عليها، الذي كان الوالي العثماني علي باشا جدده سنة ٩٥١ هـ ـ ١٥٤٧ م، ومنذ اكتشاف واجهة الجامع أصبح يطلق علىٰ الميدان، بل والحي كلّه اسم «السيدة زينب»[٢].

الضريح الطاهر:

يقع الضريح الطاهر بالجهة البحرية الغربية من المسجد، وتحيط به

---

(١) راجع الموسوعة الذهبية للعلوم الاسلامية ٣٣: ٤٥ ـ ٤٦ نقلاً عن كتاب آل بيت النبي صلى الله عليه وآله ٥٣، ٥٥.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية الشيعية لحسن الأمين ٢٠: ٤٦٧.

مقصورة من النحاس الأصفر، وتعلو المقصورة قبة من الخشب زينت كذلك من الداخل بالنقوش العربية الملونة وبإطارات تضم آيات من القرآن الكريم ونبذة عن تاريخ صاحبة المقام الطاهر. ويحيط برقبة هذه القبة نوافذ من الخشب الخرط المعروف باسم الخرط الميموني الدقيق الصنع. ويعلو الضريح قبة مرتفعة ترتكز في منطقة الانتقال من المربع إلى الاستدارة على أربعة جدران من المقرنص المتعدد الحطات، ويحيط برقبتها نوافذ جصية مفرغة بزجاج ملون. ونقشت جدران هذه القبة بالنقوش العربية الملونة، وكتب عليها في خطين متوازيين احدهما يعلو الآخر، آيات من القرآن الكريم.

عمارة المرقد المقدّس:

وأجرت على المرقد الطاهر في مصر عدّة عمارات واصلاحات من قبل الملوك والمحسنين وغيرهم، كان منها:

١ ـ العمارة التي أُجريت في زمن أحمد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٩٣ هـ)، حيث أجرىٰ علىٰ المشهد الطاهر، كما أجرىٰ علىٰ المشاهد الأُخرىٰ من عمارة وترميم.

٢ ـ العمارة في زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) كان أول من بنىٰ عمارة جليلة علىٰ هذا المشهد المقدس من خلفاء الفاطميين، أبو تميم معد نزار بن المعز وذلك في سنة ٣٦٩ هـ

٣ ـ عمارة أمير مصر، ونقيب الأشراف الزينبيين في السادس الهجري، الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري، أمير القاهرة، وظلت تلك العمارة قائمة علىٰ هذا المشهد المبارك إلىٰ أن كان القرن العاشر الهجري.

٤ ـ عمارة الأمير علي باشا الوزير والي مصر من قبل السلطان سليمان خان بن السلطان سليم، حيث قام بتعمير المشهد وأضاف إليه مسجداً يتصل به وذلك سنة ٩٥٦ هـ

٥ ـ أعاد الأمير عبدالرحمن كتخدا بناء المسجد وتشييد أركانه، وأنشأ به ساقية وحوضاً للطهارة والوضوء، وذلك في سنة ١١٧٢ هـ

٦ ـ وحدث في سنة ١٢١٢ هـ تصدع في بعض جدران المسجد، فندبت حكومة عثمان المرادي لتجديده وإنشائه، فابتدأ في هدمه وشرع في بنائه وارتفع في جدرانه وأقام أعمدته، إلّا انّ العمل توقف لدخول الفرنسيين فى مصر، وأكمله بعد ذلك الوزير يوسف باشا وذلك سنة ١٢١٦ هـ

وأرّخ ذلك بأبيات من الشعر خطت علىٰ لوح من الرخام وهي:

نور بنت النبيّ زينب يعلو ... مسجداً فيه قبرها والمزار

قد بناه الوزير صدر المعالي ... يوسف وهو العلي مختار

زاد إجلاله كما قلت وأرخ ... مسجد مشرق به أنوار

٧ ـ قام الخديوي محمد سعيد باشا في سنة ١٢٧٦ هـ بتجديد الوجهة الغربية والبحرية من الضريح، وبعد تمام العمارة كتب علىٰ باب المقام هذا البيت:

يا زائريها قفوا بالباب وابتهلوا ... بنت الرسول لهذا القطر مصباح

٨ ـ عمارة الخديوي محمد توفيق باشا، جدد الباب المقابل لباب القبة وذلك في سنة ١٢٩٤ هـ وأمر بتجديد القبة والمنارة، وكتب علىٰ الواجه للميدان:

قف توسل بباب بنت علي ... بخضوع وسل إله السماء

تحظ بالعز والقبول وأرخ ... باب اخت الحسين باب العلاء

وكتب علىٰ أعلىٰ الباب المطل علىٰ المسجد ما يأتي:

رفعوا لزينب بنت طه قبة ... علياء محكمة البناء مشيدة

نور القبول يقول في تاريخها ... باب الرضىٰ والعدل باب السيدة[1]

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية لحسن الأمين ٢٠: ٤٦٨.

وظل المسجد على تلك الحال حتّى أدخلت عليه اضافات من جهة القبلة، مساحتها حوالي ١٥٠٠ متر مربع وقد تم ذلك سنة ١٩٤٢ هـ

ثم حصلت توسعة أُخرى سنة (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م) كما هو مثبت في اللوحة التذكارية الرخامية في مسجد السيدة زينب سلام الله عليها.

وقد توجت جدران المسجد من الخارج من النواحي الشرقية والقبلية والبحرية بآيات شريفة من القرآن الكريم نقشت فوق الحجر داخل اطارات منقوشة كذلك وكتبت بالخط الثلث الجميل الذي يدل على دقة الصنع وحسن الذوق.

مضاعفة مساحة مسجد السيدة زينب عليها السلام:

اكتملت عملية ترميم شاملة لمسجد السيدة زينب سلام الله عليها في القاهرة، اقترنت بمضاعفة مساحته الأصلية وذلك سنة ٢٠٠٠ ميلادي.

وقبل تنفيذ مشروع التوسعة كانت مساحة المسجد الزينبي تبلغ ٤٥٠٠ متر مربع، وبعد اكتماله صارت ٧٨٠٠ متر مربع، منها دار للمناسبات ومصلى للنساء ومكتبة إسلامية.

علماً انّ هذا المسجد يتسع الآن لنحو ١٥ ألف مصلّي، وهو من أكثر المساجد التي يقصدها المصلّون. ويحتفل المصريون بذكرى مولد السيدة زينب سلام الله عليها التي يلقبونها بـ«أُم هاشم» و «طبيبة الجراح» طوال النصف الأول من شهر رجب كلّ عام[1].

---

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية الشيعية لحسن الأمين ٢٠: ٤٦٦ ـ ٤٧٦.

قبر العقيلة عليها السلام رمز للحق:

انّ في الواقع أيّ مكان يُنسب اليه قبر العقيلة زينب عليها السلام فانّ روحها الطاهرة ترفرف على ذلك المكان تستقبل فيه محبيها ونادبيها، فهي كأخيها الحسين عليه السلام قد سكنت في القلوب، يقول أحد الشعراء:

لا تطلبوا قبر الحسين بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرّجوا نحوي فمشهده قلبي

وهذا المعنى نستشفه أيضاً من الحديث القدسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

على أيّ حال، وتبقى مراقد آل الرسول صلى الله عليه وآله، ساكنة في قلوب المسلمين، قبل أن تكون على بقاع الأرض. فمرقد العقيلة الشجاعة عليها السلام سواء كان في مصر أو الشام او فى المدينة فهي تقول للظلمة: هنا الحق، الذي يعلو ولا يُعلى عليه، سلامٌ عليها يوم ولدت ويوم لحقت بربّها ويوم تبعث في ذلك اليوم.

مقام تل الزينبية فى كربلاء:

هناك مقام في كربلاء المقدّسة يقع في الجهة الغربية من الروضة الحسينية، بالقرب من باب الزينبية، على مرتفع يُعرف بـ«تل الزينبية»، ذلك التل الذي كان يشرف على مصارع الشهداء في واقعة الطف الأليمة، حيث وقفت العقيلة زينب سلام الله عليها في عصر عاشوراء، على ذلك التل تتفقد حال أخيها الإمام الحسين عليه السلام وتيمناً بها سُمي الموضع باسمها. حيث وقفت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله في تلك الساعات الحرجة موقف الأبطال الشجعان تسطر لجميع الأجيال مآثر

---

(١) عوالى اللئالي ٤: ٧ رقم ٧.

البطولة والإيثار، فهذه البقعة التي وقفت عليها العقيلة سلام الله عليها تروي لنا ملحمة العزّ والصبر والمقاومة أمام أعداء الدين والإنسانية.

فالعقيلة عليها السلام هي التى رفعت هذا التل التى وقفت عليه، والذي اصبح رمزاً للبطولات والتضحيات.

وصف مبنىٰ المقام حالياً:

المبنىٰ يرتفع عن الشارع العام ١/٢٥ متر ويتم الصعود إليه بواسطة سلالم (درجات) مخطط المبنىٰ مستطيل الشكل طوله ـ وهو الواجهة الأمامية للمبنىٰ ـ يبلغ ٦/٥٠ متر وعرضه ٤ أمتار وارتفاعه حوالي ٤ أمتار.

ويتألف مبنىٰ مقام تل الزينبية من قسمين: القسم الأمامي يوجد فيه موقع وقوف السيدة زينب سلام الله عليها. أما القسم الخلفي فيستعمل كمصلىٰ. وتعلو البناء قبة قطرها ٤ أمتار وترتفع عن مستوىٰ سطح البناء حوالي ٤ أمتار أيضاً. وقد كسيت من الخارج بالبلاط المزجج (القاشاني). غطيت جدران البناء من الداخل إلىٰ ارتفاع ١/٥٠ متر بالمرمر. أما القسم العلوي منها فقد كُسي بالجص تتخلله زخارف من قطع المرايا الصغيرة الرائعة.

أما من الخارج فقد غطيت الجدران، وخاصة الواجهة الأمامية إلىٰ إرتفاع ١/٥٠ متر عن مستوىٰ الأرضية بالمرمر، والقسم العلوي كُسي بالبلاط القاشاني الجميل. ويتم الدخول إلىٰ البناء بواسطة بوابة خشبية عرضها متران وارتفاعها متران أيضاً وتقع في مقدمة البناء[1].

---

(١) راجع عمارة كربلاء للدكتور المهندس رؤوف محمد علي الأنصاري: ١٦١.

قصيدة للشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله:

وَلّيْتُ وَجْهي شَطْرَ قِبْلَةِ الوَرىٰ ... ومَنْ بها تشرّفَتْ أُمُّ القُرىٰ
قُطْبُ مُحيطِ عالَمِ الوُجُودِ ... في قَوْسَي النُّزولِ والصُعُودِ
ففي النُّزولِ كَعْبَةُ الرّزايا ... وفي الصُّعُودِ قِبْلَةُ البَرايا
بل هي بابُ حِطَّةِ الخَطَايا ... ومَوْئِلُ[1] الهِباتِ والعَطايا
أمُّ الكِتابِ في جوامعِ العُلا ... أمُّ المُصابِ في مَجامِعِ البَلا
رَضِيعَةُ الوَحْي شَقِيقَةُ الهُدىٰ ... رَبِيبَةُ الفَضْلِ حَلِيفَةُ النَّدى
ربّةُ خِدْرِ القُدْسِ والطّهارةِ ... في الصَّوْنِ والعِفافِ والخَفَارةِ[2]
فإنّها تمثّلُ الكَنْزَ الخَفِيَّ ... بالسّتْرِ والحَياءِ والتَّعفُّفِ
تُمثّلُ الغَيْبَ المَصُونَ ذاتُها ... تُعْرِبُ عن صِفاتِهِ صِفاتُها
مَليكَةُ الدنيا عَقِيلَةُ النّسا ... عدِيلَةُ الخامِسِ من أهلِ الكِسا
شَرِيكَةُ الشَّهِيدِ في مَصائِبِه ... كَفِيلَةُ السَّجّادِ في نَوائِبِهِ

في العلم:

بل هي نامُوسُ رِواقِ العَظَمَةِ ... سَيِّدَةُ العَقائِلِ المُعَظَّمَةِ
ما وَرَثَتْهُ من نبيّ الرَّحْمةِ ... جَوامِعُ العِلْمِ أُصُولُ الحِكْمةِ

في الصبر:

سِرُّ أبيها في عُلُوِّ الهِمّةِ ... والصّبرِ في الشدائِدِ المُلّمة
ثباتُها يُنبئُ عن ثَباتِهِ ... كأنّ فيها كلّ مَكْرُماتِهِ
لها من الصّبرِ على المَصائِبِ ... ما جَلَّ أن يُعَدَّ في العجائِبِ
بل كادَ أنْ يُلْحَقَ بالمعاجِزِ ... لا أنّه حِرفَةُ كُلِّ عاجِزِ[3]

---

(١) الموئل: الملجأ.

(٢) الخفارة: شدّة الحياء.

(٣) الأنوار القدسية: ١٣٣.

من كرامات العقيلة عليها السلام:

قال الشبلنجي، قال الشيخ عبدالرحمن الأجهوري المُقري في كتابه مشارق الأنوار: قد حصل لي في سنة سبعين ومئة بعد الألف كربٌ شديد من كُروب الزمان، فتوجهت الى مقام السيّدة زينب وأنشدتُها هذه القصيدة، فانجلى عنّي الكرب ببركتها، وهذه بعض أبياتها:

آل طه لكُم علينا الوَلاء ... لا سواكُم بما لكُم آلاءُ
مدحكُم في الكتاب جاء مُبيناً ... أنبأت عنهُ مِلّة سمحاءُ
حُبّكم واجب على كلّ شخص ... حدَّثتنا بضمنه الأنباءُ
إنني لستُ أستطيع امتداحاً ... لعُلاكم وأنتم البُلغاءُ
كيف مدحي يَفي بعلياء مَنْ قد ... عجزت عن بُلوغه الفُصحاءُ
مدحُكم إنّما يُريد بَليغ ... وقف عند حدّه الشّعراءُ
شَرفت مصْرنا بكُم آل طه ... فهنيئاً لنا وحقّ الهناءُ
مِنكُم بِضعَة الامام عليّ ... سيف دين لمن به الاهتداءُ
خيرةُ الله أفضل الرّسل طُرّاً ... من لهُ في يوم المعاد اللواءُ
زيبنب فضلها علينا عَمِيم ... وحماها من السّقام شفاءُ
كعبة القاصدين كنز أمان ... وهي فينا اليَتِيمَة العصماءُ
وهي بدرٌ بلا خُسوف وشمس ... دون كسف والبُضعة الزّهراءُ
وهي ذُخري وملجئي وأماني ... ورجائي ونعم ذاك الرجاءُ
قد انخت الخطوب عند حماها ... فعسىٰ تنجلي بها الضرّاءُ
من كرامتها الشّموس أضاءت ... أين منها السّها وأين السّماءُ
من أتاها وصَدْرُه ضاق ذرعاً ... من عسيرٍ أو ضاق عنه الفضاءُ
حَلّت الخطب مُسرعاً وجلته ... فانجلى عنه عسرهُ والعناءُ

لا يُضاهي آل النبي وَصيف ... لا يُوفّي كمالهُم أُدباءُ

إلىٰ أن قال:

بيتكُم مهبط لجبريل وحيّاً ... فيه تغدو الملائكة الكُرماءُ

من أتى حيّكم وكان أسيراً ... لدواعيه زال عنه الشقاءُ

يا كرام الورى اغيثُوا نزيلاً ... اجحفتهُ الخطوب والأدباءُ

قسماً إنّ وصفكم في الثُّريا ... أيدتكُم نجومها والسماءُ

فتوسّل بهم لكلّ صَعِيب ... حيثُ جاء ابتغُوا فهُم شفعاءُ[1]

كرامة أُخرى:

ذكر العلّامة النوري صاحب مستدرك الوسائل في كتابه «دار السلام» حكاية فيها كرامة للعقيلة زينب سلام الله عليها.

قال: حدثني السيد السند والحبر المعتمد العالم العامل السيد محمّد باقر السلطان آبادي، قال: عرض لي في أيام اشتغالي بالعلم ببروجرد مرض شديد، فانتقلت إلىٰ وطني فساعدت الحركة علىٰ شدّة المرض؛ فزاد وانصبت المواد إلىٰ عيني اليسرىٰ فصار بها رمد شديد وبياض، واشتد بها الوجع، فمنعني الرقاد، فجمع والدي ما كان في بلدتنا من الأطباء، فقال بعضهم: لابدّ من شرب الدواء مقدار ستة أشهر؛ لعلّ عينه تعود صحيحة. وقال بعضهم يكفي أربعين يوماً، فضاق خلقي، وكثر همّي من سماع كلماتهم لكثرة ما شربتُ من الدواء في تلك المدة، وكان لي أخ صالح تقي أراد السفر إلىٰ المشاهد المقدّسة، وزيارة سادات البرية، فهاج شوقي، وقلتُ: أُصاحبك في الطريق لعلي امسح عيني بعتبة مَنْ بتربته شفاء من كلّ داء، وفرج من كلّ ضيق، فقال: وأنت في هذا المرض والوجع لا يمكنك

---

(١) نور الأبصار (للشبلنجي): ٢٠٤، ط. دار الفكر. بيروت.

الحركة، وسمع بذلك الأطباء، فقال بعضهم: يصير أعمىٰ في المنزل الثاني، وقال بعضهم يعمىٰ ولمّا يبلغ أول منزل من منازل الطريق، فمنعوني، فقصدتُ مشايعة أخي في الظاهر، فسافرتُ معه إلىٰ المنزل الأول، وكان هناك رجل من الصلحاء الأخيار، فلمّا سمع حكايتي حرّضني علىٰ المسير، وقال: لا شفاء إلّا عند خلفاء الله، فاني كنتُ مبتلىٰ بوجع القلب في مدة تسع سنين فزرتُ الإمام الحسين عليه السلام فشفيتُ بحمد الله، فلا تصغ إلىٰ ما قيل لك وزر متوكلاً علىٰ الله، فسمعتُ حكاية الرجل وعزمت علىٰ المسير فلمّا بلغنا المنزل الثاني وجنّ الليل اشتد الوجع، فطالت ألسنة أهل الملامة، وقالوا جميعاً إما أن ترجع أو نترك السفر علىٰ كل حال؟

فقلتُ: عند الصباح تنكشف الأحوال، فلمّا كان وقت السحر، وسكن الوجع قليلاً، رقدتُ فرأيتُ الصديقة الصغرىٰ زينب الكبرىٰ سلام الله عليها بنت إمام المتقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد دخلت عليّ ومسحت بطرف مقنعتها علىٰ عيني، فانتبهتُ فلم أرَ في عيني وجعاً.

فلمّا أصبحنا قلتُ لأصحابي: لا أجدُ وجعاً فلا تمنعوني من المسير، فحملوا كلامي علىٰ غير الصحة، فسرنا فلمّا مشينا بعض النهار عمدتُ إلىٰ عيني فكشفتُ عنها الخرقة التي كانت مشدودة عليها مذ خرجتُ من البلد، ونظرت إلىٰ التلال والجبال، فلم أرَ فرقاً بينها وبين الأُخرىٰ، فقلتُ لبعض أصحابي: ادن مني وانظر إلىٰ عيني فنظر وقال: سبحان الله ليس فيها رمد ولا بياض ولا أثر من المرض، ولا تفاوت بين العينين، فوقفتُ وناديت جميع الزوار وأخبرتهم بالرؤيا وكرامة العقيلة زينب سلام الله عليها، ففرحوا واستبشروا، وبعثوا بالخبر إلىٰ الأهل في البلد[1].

---

(١) دار السلام ٢: ١٥٦، ١٥٧.

مكاشفة عجيبة:

لقد نقل العلّامة السيد أحمد المستنبط رحمه الله مكاشفة غريبة وحكاية بديعة تعرب عن عظمة مصائب العقيلة زينب سلام الله عليها، التي شاركت أخاها الحسين عليه السلام في نهضته المقدّسة في الذب عن شريعة جدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، حيث قال في كتابه «الزيارة والبشارة»:

حدثنا العلّامة الشيخ مرتضى الطالقاني رحمه الله على أثر رجوعنا من كربلاء في الزيارة الأربعينية وذلك بعد أن سألته عن سبب وقوفه في طرف الرأس في الحائر الحسيني مستقبلاً الضريح المقدس ناظراً إليه حائراً باكياً في الليلة التي تشرفنا فيها بزيارة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فقال: رأيت مكاشفة وأنا لست بنائم، حيث رأيت القوافل تتزاحم أمام عيني، وهي تلج الحرم الشريف من باب حبيب بن مظاهر الأسدي، ومن هنا رأيت مولاي الحسين عليه السلام قد خرج من الضريح وأخذ يتفقد تلك القوافل قافلة قافلة، حتّى انتهى به المطاف إلى القافلة الأخيرة وهنا أطرق الإمام عليه السلام برأسه الشريف إلى الأرض ولم يتفقد منها، وقد توجهتُ إليه سائلاً عن السبب الذي لم يتفقد القافلة الأخيرة؟ فأجابني عليه السلام: بأنّ تلك القوافل كانت لا تضم أهلي وأطفالي، وأنا كنتُ أسأل عنهم، وأمّا القافلة الأخيرة فكانت تضمهم (عند رجوعهم من الشام) ولما رأيتُ أختي زينب سلام الله عليها قد هالني عظم مصابها عند رؤيتي إياها، فلم اطق مشاهدتها؛ حتّى اطرقتُ برأسي إلى الأرض خجلاً منها[1].

فهذه الحكاية تصوّر لنا عظم المصائب التي لاقتها العقيلة زينب سلام الله عليها في سفرها من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام.

---

(١) الزيارة والبشارة: ٣٨٦ ط. الغري في النجف الأشرف.

هي قلبُ الحسين صبراً وبأساً ... عند دَفْع الخُطوب والأرزاء
وهي أختُ الحسين عَيناً وقلباً ... ويَداً في تحمُّلِ الأعباء
شاركَتْهُ بنهضة الحقّ بدْءاً ... وختاماً وفي عظيم البلاء
وجِهادُ الحسينِ أصبحَ حَيّاً ... بجهادِ الحَوراء للأعداء
وعظيمُ الإيمانِ منها تَجلّىٰ ... حينَ قالتْ والسبطُ رَهْنَ العَراء
رَبّ هذا قُربانُنا لك يُهدىٰ ... فَتَقَبّلْ مِنّا عظيمَ الفِداء
وعِباداتُها وناهيك فيها ... وهي أسمىٰ عِبادةٍ ودُعاء
حِينَ تأتي بوِرْدها من جُلوس ... وهي نضوٌ من شِدّة الإعياءِ[1]

العاقبة:

وهكذا انقضت هذه الجولة المهمة، فنال كلّ فريق ما يستحقه، نال الإمام الحسين عليه السلام ومن تبعه شرف الشهادة والخلود الأبدي، بينما نال بنو أمية ومن والاهم وشايعهم اللعنة الدائمة والخزي والعار.

---

(١) هذه بعض الأبيات حول السيدة زينب عليها السلام من قصيدة للشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي (ت ١٤٠٤ هـ). راجع ملحمة أهل البيت عليهم السلام للشيخ الفرطوسي ٣: ٣٧٣.

الخاتمة

لقد نجحت النهضة الحسينية، وإلىٰ الأبد ستبقىٰ وحليفها النجاح، وهذا مما لا شك فيه ولا ريب.

وبقي الإمام الحسين عليه السلام خالداً، والدنيا تلهج بذكره، والأمة تسير علىٰ دربه ونهجه، والمسلمون يقيمون ذكراه، ويجددون العهد معاه، منذ استشهاده وحتّىٰ يومنا هذا. وكان جميع الذين اشتركوا في قتله عليه السلام، ووقفوا ضد نهضته، قد نالهم الذل والهوان والخزي والعار. وهذا ما وعهدهم به الإمام الحسين عليه السلام إذ قال لهم -كما جاء ذلك في بعض المصادر -:

«إنّي لأرجو الله أن يُكرِمَني بهوانكم، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله لو قتلتموني لألقىٰ الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثمّ لا يرضىٰ لكم»[1].

الحث علىٰ حبّ أهل البيت عليهم السلام:

روىٰ الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام السجاد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن، أهوالهنّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النُشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند

---

(١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٤٦، الكامل فى التاريخ ٤: ٧٨، أعيان الشيعة ١: ٦٠٩.

الميزان، وعند الصراط»[١].

أهمية حب عليّ عليه السلام والتحذير من بغضه:

لقد جاءت روايات صحيحة ومتواترة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في التأكيد علىٰ حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام، ونشير الى بعض الروايات التي رواها الحاكم النيسابوري في مستدرك الصحيحين من الأحاديث الصحيحة في هذا المجال:

قال رجل لسلمان: ما اشدّ حبك لعلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني».

ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

وعن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا عليّ طوبىٰ لمن أحبك، وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٣].

وعن أبي عبدالله الجدلي، قال: دخلت علىٰ أم سلمة رضي الله عنها فقالت: أيسُب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فقلت معاذا الله... فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سبّ عليّاً فقد سبني.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[٤]. ووافقه الذهبى فى تلخيص

---

(١) أمالي الصدوق: ١٨ ح ٣ المجلس ٣، ورواه الصدوق أيضاً في الخصال: ٣٦٠ ح ٤٩، والمجلسي في البحار ٢٧: ١٥٨ ح ٣، وروىٰ نحوه السخاوي فى استجلاب ارتقاء الغُرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف: ١٨٠.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٢٠.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٣٥.

(٤) مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي ٣: ١٢١.

المستدرك ايضاً.

وورد عن النبي ﷺ: «من آذىٰ عليّاً فقد آذاني»[١].

قال الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: إنّ الحديث روي عن جمع من الصحابة. ثم ذكر مصادر الحديث وطرقه. وقال بعد ذلك: الحديث صحيح بمجموع هذه الأطراف[٢].

انّ النبى ﷺ اوصى المسلمين بحب أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب عليه السلام وحذّرهم من بغضه واذيته، ولكن بعض من يدعى الاسلام كانوا يخاطبون ولده الامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قائلين له: انّما نقاتلك بغضا لأبيك[٣]!!

نوح الجن:

وحتّىٰ الجن قد ساهموا في الحزن علىٰ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، كما شارك الانس وعالم الطبيعة بذلك، لقد جاء في الأخبار، نوح الجن على الحسين عليه السلام.

وهناك روايات أُخرىٰ عن أُم سلمة وغيرها أنّهم سمعوا نوح الجن علىٰ الحسين عليه السلام[٤] وهم يقولون:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

كلّ أهل السماء يدعو عليكم ... ونبيّ مُرْسَل وقَبِيل

---

(١) مسند أحمد ٣: ٤٨٣، المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبى ٣: ١٢٢ (صحح الحديث الحاكم ووافقه الذهبى)، مجمع الزوائد ٩: ١٢٩.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٣٧٣ ـ ٣٧٤ رقم ٢٢٩٥.

(٣) انظر ينابيع المودة للقندوزي ٣: ٨٠.

(٤) راجع: تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٦.

قد لُعِنْتُم علىٰ لسانِ ابـن داود ... وموسىٰ وصاحبِ الأنـجيل[١]

وورد ايضاً:

مَسَـــحَ الرّسـولُ جـبينَهُ ... فـلهُ بَـرِيقٌ فـي الخُـدود

أبـواهُ مـن عُـلْيَا قُـريش ... وجَـدُّهُ خَـيرُ الجُـدود[٢]

الحداد على الحسين عليه السلام:

عن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام: «انّ السماء بكت علىٰ الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عـليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربـعين صـباحاً، ومـا اختضبت امرأة منا ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت شعرها حتّىٰ اتـانا رأس عبيدالله بن زياد وما زلنا في عَبرة من بعده»[٣].

تراب القبر الشريف:

لقد حارب الطغاة فكر الإمام الحسين عليه السلام ونهضته، لأنه يشكّل الخطر الكبير علىٰ عروشهم، فحاولوا أن يُبعّدوا الأنظار عن أهدافه وثورته، بل حتّىٰ عن قبره، فحاربوا زائريه، ثمّ هدموا مرقده الطاهر، وأجروا الماء عليه حتىٰ خفيت معالمه،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٨، تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٨، تاريخ دمشق ١٤: ٢٤٠، البحار ٤٥: ٢٣٦، لواعج الاشجان: ٢١٦.

(٢) معجم الطبراني ٣: ١٢١ ح ٢٨٦٥، كامل الزيارات ١٠١ ح ٣ الباب ٤٩، تهذيب الكمال ٦: ٤٤١، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٦ ـ ٣١٧، تاريخ دمشق ١٤: ٢٤١، تـاريخ السـيوطي: ١٦٦، تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٧.

(٣) كامل الزيارات ٨٣ ـ ٨٤ ح ٦ الباب ٢٦، البحار ٤٥: ٢٠٦ ح ١٣.

والتاريخ يحدثنا: جاء أعرابي يزحف إلىٰ القبر، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمّها حتىٰ وقع علىٰ قبر الحسين عليه السلام وبكىٰ، فقال: بأبي وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ميتاً، ثمّ بكىٰ وأنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن وليّه فطيب تراب القبر دلّ علىٰ القبر[1]

الزيارة ومنع الزوار:

لقد التزم اتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بالحفاظ علىٰ زيارة الإمام الحسين عليه السلام في جميع الظروف والأحوال، حتّىٰ في الظروف الصعبة والشاقة، وقد كلّفهم ذلك تضحيات غالية.

ففي عصر المتوكل العباسي ـ مثلاً ـ فرضت ضريبة مالية لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام. ولمّا رأت السلطة العباسية أنّ هذه الضريبة الباهضة لم تمنع الناس من الزيارة أضافوا إليها ضريبة دموية كانوا يقتلون من كلّ عشرة زائرين واحداً، يعيّن من بينهم بطريق القرعة[2].

وجاء في مقتل الخوارزمي: «لما كان أيام المتوكّل وكان سيء الاعتقاد في آل أبي طالب شديد الوطأة عليهم، قبيح المعاملة معهم؛ ووافقه علىٰ جميع ذلك وزيره عبيدالله بن يحيىٰ، بلغ بسوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد من الخلفاء من بني العباس؛ فأمر بتخريب قبر الحسين وقبور أصحابه؛ وكرب مواضعها واجراء الماء عليها؛ ومنع الزوار من زيارتها؛ وأقام الرصد وشدد في ذلك حتّىٰ كان يقتل من يوجد زائراً؛ وولىٰ ذلك كلّه يهودياً؛ وسلّط اليهودي قوماً من اليهود فتولوا ذلك

---

(١) تهذيب الكمال ٦: ٤٤٤، سير اعلام النبلاء ٣: ٣٠٧، البداية والنهاية ٨: ٢١١.

(٢) مأساة الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب (للشيخ عبدالوهاب الكاشي): ١٤٤.

إلىٰ أن قُتل المتوكّل لعنة الله عليه»[١].

نعم، ان موضوع زيارة الإمام الحسين عليه السلام من المواضيع المهمة التي حرص عليها شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهي ليست من الظواهر الجديدة عندهم وإنما هي سنة حسنة مستمرة بينهم منذ تاريخ شهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة إحدىٰ وستين هجرية ولحد الآن، وقد حافظوا عليها بكل امكانياتهم، وقدّموا لأجل ذلك التضحيات، وجابهوا من أجلها كلّ التحديات.

ومن اللازم بالذكر: انّ الزيارة وان كانت مجرّد الحضور عند المزور والسلام عليه بأيّ لفظ كان مناسباً، ولكن الزيارات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ينبغي الاحتفاظ بألفاظها الواردة عنهم عليهم السلام؛ لأنّها تشتمل علىٰ ما يناسب مقام المزور من الخواص.

الدعاء عند قبر الحسين عليه السلام:

لقد جاء في بعض الروايات أهمية الدعاء عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وأثره في الاستجابة، حيث يضم قبره الشريف ذلك الجسد الطاهر الذي ضحّىٰ به لأجل الدين الحنيف، وكيف لا يستجاب الدعاء تحت قبته، وإلىٰ جواره؟ لقد روي أن الله تعالىٰ عوّض الحسين عليه السلام من قتله بأربع خصال: جعل الشفاء في تربته، واجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من ذريته، وان لا يعد أيام زائريه من أعمارهم[٢].

روي انّ الإمام الصادق عليه السلام مرض فأمر أن يستأجروا له أجيراً يدعو له عند قبر الحسين عليه السلام، فوجدوا رجلاً فقالوا له ذلك، فقال: أنا أمضي ولكن الحسين عليه السلام

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٨.

(٢) عدّة الداعي: ٤٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٢١.

إمام مفترض الطاعة، وهو إمام مفترض الطاعة أيضاً، فرجعوا إلى الإمام الصادق عليه السلام وأخبروه بذلك، فقال عليه السلام:

«هو كما قال، ولكن: أما عرف أنّ لله تعالى بقاعاً يستجاب فيها الدعاء؟ فتلكم البقعة من تلك البقاع»[١].

وروي نحوه عن الإمام الهادي عليه السلام عندما مرض[٢].

وورد عن شعيب العقرقوفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماله من الأجر والثواب؟ قال: يا شعيب! ما صلّى عنده أحد ودعا دعوة إلّا أُستجيب عاجله وآجله.

قلت: زدني؟

قال: أيسر ما يقال لزائر الحسين عليه السلام: قد غفر لك يا عبدالله فاستأنف اليوم عملاً جديداً»[٣].

زوّار الامام الحسين عليه السلام:

عن داوود بن كثير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: إنّ فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله تَحضرُ لزوّار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم ذنوبَهم[٤].

عن محمد بن مسلم: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: إنّ الحسين بن علي عليهما السلام عند ربّه عزّوجلّ ينظر إلى موضع مُعسكره ومَن حلَّهُ من الشهداء معه، وينظرُ إلى زوّاره، وهو أعرف بحالهم وبأسمائهم وأسماء آباءهم،

---

(١) عدّة الداعي: ٤٨.

(٢) كامل الزيارات: ٢٨٧، ح ٣ الباب ٩٠.

(٣) كامل الزيارات: ٢٦٥ ح ٤، الباب ٨٣.

(٤) كامل الزيارات: ١٢٧ - ١٢٨ ح ٤ الباب ٤٠، بحار الأنوار ١٠١: ٥٥ ح ١٤.

وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عزّوجلّ من أحدِكمُ بولده، وانّه ليرىٰ من يبكيه، فيستغفر له، ويسأل آباءَهُ عليهم السلام أن يستغفروا له، ويقول:

لو يعلمُ زائري ما أعدَّ اللهُ له لكان فرحهُ أكثر من جزعهِ، وإنّ زائرهُ لينقَلِبُ وما عليه من ذنب[1].

شفاعة أهل البيت عليهم السلام:

ومن شعر دعبل الخراعي (ت ٢٤٦ هـ) في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام:

شفيعي في القيامةِ عند ربّي ... محمّدُ والوصيُّ مع البتولِ
وسِبْطا أَحمدٍ وبَنُو بنيهِ ... أولئك سادتي آلُ الرّسولِ[2]

مصرع الحسين عليه السلام:

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة من علماء الشافعية (ت ٦٥٢ هـ) في كتابه مطالب السؤول في الفصل الثاني عشر: في مقتل الحسين عليه السلام ومصرعه: مصرع الحسين عليه السلام يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان، ويلهب النيران الموجدة في أكباد ذوي الإيمان بما أجرته الأقدار للفجرة من الإجتراء، وفتكها واعتدائها علىٰ الذرية النبوية بسفح دمائها وسفكها، واستبائها مصونات نسائها.

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٤ - ٥٥ ح ٧٤ المجلس الثانى، كامل الزيارات: ٢٠٦ ح ٢٩٢، بحار الأنوار ١٠١: ٦٤ ح ٤٩.

(٢) ديوان دعبل الخزاعى: ٢٦٢.

وكم من نفس معصومة ازهقوها واخترموها، وكم من كبد حرىٰ منعوها ورود الماء المباح وحرموها، ثمّ احتزوا رأس سبط رسول الله ﷺ[١].

الشعر وواقعة كربلاء:

لقد أثّرت واقعة كربلاء علىٰ احساس الشعراء وعواطفهم علىٰ مرّ التاريخ، فخلّفت هذه الواقعة الأليمة ايحاآت فكرية وروحية منذ يوم العاشر من المحرم لعام ٦١ هـ وحتىٰ يومنا هذا، وصار الشعر الحسيني الهادف يعمّق مفاهيم واقعة الطف في نفوس الناس.

قصيدة للشاعر الكبير السيّد رضا الهندي:

إنْ كان عندكَ عَبْرة تُجريها ... فانزِل بأرض الطفّ كي نسقيها
فعسىٰ نبُلّ بها مضاجع صفوةٍ ... ما بُلّت الأكباد من جاريها
ولقد مررتُ على منازل عِصْمةٍ ... ثِقْلُ النبوّة كان أُلقي فيها
فبكيتُ حتّى خِلْتُها ستجيبني ... ببكائها حُزناً على أهليها
وذكرتُ اذ وقفتْ عقيلةُ حيدرٍ ... مَذْهولة تُصغي لصوتِ أخيها
بأبي التي وَرِثَتْ مصائب اُمّها ... فَغَدتْ تُقابلها بصبر أبيها
لم تَلْهُ عن جَمْع العيال وحِفْظهم ... بفراق إخوتها وفَقْدِ بنيها
لم أنسَ إذ هتكوا حماها فانثنت ... تشكو لَواعِجَها إلى حاميها
تدعو فتحرقُ القلوب كأنّها ... يَرمي حشاها جمرةُ من فيها
هذي نساؤك مَنْ يَكونُ اذا سَرَتْ ... في الأسرِ سائقها ومن حاديها

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ: ٢٦١.

أيسوقها زجرٌ بضرب متونها ... والشمر يَحْدُوها بسبّ أبيها
عجباً لها بالأمس أنت تَصونُها ... واليوم آل أُميّة تُبديها
وسروا برأسِك في القنا وقلوبها ... تَسْمو إليه وَوجْدُها يُضْنيها
إن اخَروه شجاه رؤية حالها ... أو قدّموه فحاله يُشجيها[1]

أبيات شعرية للشيخ جعفر النقدي:

هذه بعض الأبيات الشعرية للشيخ جعفر النقدي حول بعض مصائب العقيلة زينب سلام الله عليها:

فزينب في رزايا الطّف كانت ... تذوق الموت حالاً بعد حالِ
رأتْ أنصارَها وبني أبيها ... محلّئة من الماء الحلالِ
رأتْ أطفال إخوتها عطاشىٰ ... كؤس الحتف تسقى بالنبالِ
رأتْ إخوتها الأبرار صرعىٰ ... مجزّرة علىٰ وجه الرمالِ
رأتْ تلك الوجوه معفّرات ... مغيّرة المحاسن والجمالِ
رأتْ خيل العداة ترضّ صدراً ... لكافلها بميدان القتالِ
رأتْ أبيات آل الله نهباً ... وفيها النار تلهب باشتعالِ
رأتْ خفرات أحمد حائرات ... حواسر قد برزن من الحجالِ
رأتْ تلك الأيامىٰ واليتامىٰ ... تسير إلىٰ الشام علىٰ الجمالِ
رأتْ تلك الرؤوس بيد الأعادي ... تطوف بها علىٰ الأسل الطوالِ
رأتْ زين العباد يئنّ شجواً ... من الأغلال والداء العضالِ
رأتْ بيد العدىٰ تلك الأُسارىٰ ... وهنّ مربقات بالحبالِ

---

(١) ديوان السيد رضا الهندي: ٤٧ ط. بيروت عام ١٤٠٩ هـ.

وراحت للشـــام ولا كـــفيل ... ســـواهـــا للـــيتامىٰ والعـيالِ
بكـــوفان رأتْ والشـــام مـــا لا ... يـمرّ مـن المـصاب عـلىٰ خـيالِ
ولم تـــعهد له الأيـــام شـــبهاً ... ولم يـــخطر لذي نـظر بـبالِ[1]

ابن قَتَّة يرثي الإمام عليه السلام:

ونقل الزبير لسُليمان بن قتَّة يرثي الإمام الحسين عليه السلام:

وإنّ قَـتيلَ الطّـفِّ مـن آلِ هـاشم ... أذلّ رِقـاباً مـن قُـريش فـذلّت
فإنْ يُتبِعُوهُ عائِذَ البيتِ يُـصْبِحُواً ... كَعَاد تَعمّتْ عن هُداها فـضلّت
مـررتُ عـلىٰ أبـيات آلِ مـحمدٍ ... فألفـيتُها أمـثالها حـين حـلّت
وكـانوا لنـا غُـنْماً فـعادُوا رزِيّـةً ... لقد عَظُمت تلك الرّزايـا وجَـلّت
فـلا يُـبْعدِ اللهُ الدّيـارَ وأهـلها ... وإن أصبحتْ منهم بِرَغْمي تَخَلّت
ألم ترَ أنّ الأرض أضْحت مريضةً ... لفقدِ حُسينٍ والبـلادُ اقْشَـعرّت[2]

من قصيدة للحاج هاشم الكعبي:

لشاعر أهل البيت عليهم السلام الحاج هاشم الكعبي (ت ١٢٣١ هـ) قصيدة رائعة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من ١٣٦ بيتاً، وفيها يصف حال حفيدات رسول الله صلى الله عليه وآله بعد شهادة الإمام عليه السلام، وبالأخص السيدة الحوراء زينب سلام الله عليها فيقول في بعض الأبيات:

وثَواكِلٌ فى النَوْحِ تسْعِدُ مِثْلَها ... أرأيتَ ذا ثَكْلٍ يكـونُ سـعيدا

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام للشيخ جعفر النقدي: ١٧٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٨.

ناحت فلم تَرَ مِثْلَهنّ نَوائحاً ... إذْ ليسَ مِثْلُ فقيدهِنّ فَقيدا

إلىٰ أن قال:

عَبَراتُها تُحِي الثَرىٰ لو لم تكُن ... زَفَراتُها تَدَعُ الرياضَ هُمُودا

وغدت أسيرةُ خِدْرِها ابنةُ فاطمٍ ... لم تَلْق غيرَ أسيرها مصفُودا

تَدعو بلَهْفَةِ ثاكلٍ لَعِبَ الأسىٰ ... بفؤاده حتّىٰ انطَوىٰ مَفؤدا

تُخفي الشّجا جَلَداً فإنْ غَلَب الأسىٰ ... ضَعُفتْ فأبدَتْ شَجوَها المكمُودا

نادَتْ فقَطّعتِ القلوبَ بصَوتها ... لكنّما انتظم البيانُ فريدا

إنسانَ عيني يا حسين أُخَيّ يا ... أمَلي وعِقْدَ جُمانيَ المَنْضُودا

مالي دعَوتُ فلا تُجيبُ ولم تكُنْ ... عَوَّدتَني مِنْ قبْلِ ذاك صُدودا

أَلِمِحْنَةٍ شَغَلَتْكَ عنّي أم قِلىً ... حاشاك إنّك ما بَرِحْتَ وَدودا[1]

من قصيدة للشيخ محمّد نصّار:

قصيدة في رثاء العقيلة زينب عليها السلام لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ محمّد نصّار:

هاج وجدي لزينب إذ عراها ... فادح في الطفوف هدّ قواها

يوم أضحت رجالها غرضاً للنبل ... والسمر فيه هاج وغاها

ونعت بين نسوة ثاكلات ... تصدع الهضب في حنين بكاها

آه والهفتاه ماذا تقاسي ... من خطوب تربو علىٰ ما سواها

ولمن تسكب المدامع من عين ... جفا جفنها لذيذ كراها

أَلِنهب الخيام أم لعليل ... ناحل الجسم أم علىٰ قتلاها

---

(١) رياض المدح والرثاء: ٤٨١، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلىٰ اللحد: ٦٥٦، أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٨.

أم لأجسامهم على كثب الغبر ... أم مخضوبة بفيض دماها
أم لرفع الرؤوس فوق عوالي السمر ... أم رضّ صدر حامي حماها
أم لأطفالها تقاسي سياق الموت ... أم عظم سيرها وسراها
أم لسير النساء بين الأعادي ... ثاكلات يندبن يا آل طاها
وهي ما بينهنّ تندب مَنْ قد ... ندبته الأفلاك فوق سماها[1]

أبياتٌ تُنسب إلىٰ السيد رضا الهندي:

سلامٌ علىٰ الحَوراء ما بَقيَ الدَهرُ ... وما سطعَتْ شمسٌ وما أشرق البدرُ
سلامٌ علىٰ القلب الكبير وصَبْره ... بيومٍ جَرتْ حُزناً له الأدمع الحُمْرُ
جَحافِلُ جاءتْ كربلاء بأثْرها ... جَحافلُ لا يَقوىٰ علىٰ عَدّها حَصْرُ
جرىٰ ما جَرىٰ في كربلاء وعَينُها ... ترىٰ ما جَرىٰ مما يذوبُ له الصَخرُ
لقد أبصَرتْ جِسمَ الحسين مُبضّعاً ... فجاءَتْ بصَبرٍ دون مَفْهومِهِ الصَبرُ[2]

من كرامات سيد الشهداء عليه السلام:

انّ الكرامات المنقولة عن سيّد الشهداء عليه السلام كثيرة ننقل منها هذه الكرامة تيمناً وتبركاً:

روى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال بن عمرو الأسدي قال: والله رأيت رأس الحسين رضي الله عنه حين حُمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام للنقدي: ١٥٨، وفاة السيّدة زينب عليها السلام (لفرج آل عمران): ٤٧٩ (المطبوع مع وفيات الأئمّة عليهم السلام).

(٢) زينب الكبرىٰ عليها السلام للقزويني: ٦٥٢.

الكهف حتّى بلغ: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾[١] فنطق الرأس بلسانٍ عربيّ فصيح، وقال جهاراً: «أعجبُ من أصحاب الكهف قتلي وحملي»[٢].

الانتقام من قتلة الإمام عليه السلام:

خرّج الحاكم في «المستدرك» عن ابن عبّاس رضي الله عنه أوحى الله إلى محمّد صلى الله عليه وآله: «انّي قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وانّي قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[٣].

صحّحه الحاكم، وقال الذهبي في «التلخيص»[٤]: على شرط مسلم.

وقفة مع بعض الكتّاب:

انّ المرء كثيراً ما يصادف في مطالعاته بعض الكتّاب قديماً وحديثاً من لم يعرف حقيقة الدولة الأموية التي حاربت مبادئ الإسلام باسم الخلافة، والبيعة، وعدم شق عصا المسلمين، وأمثال ذلك من العبارات.

ومن المؤسف ـ حقاً ـ نجد هناك من لم يعرف حقيقة الأمر، إما على سذاجة في الإدراك، أو على نفاق وتهافت، أو انّه عن مغالطة وتضليل.

مع كلّ النصوص التاريخية التي نقلها جماعات مختلفة من المسلمين من

---

(١) سورة الكهف: ٩.

(٢) الكواكب الدريّة (الطبقات الكبرى للمناوي) ١: ١٤٨.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٧٨.

(٤) تلخيص المستدرك، المطبوع على هامش مستدرك الحاكم ٣: ١٧٨ وانظر الطبقات الكبرى للمناوى ١: ١٤٨.

مؤرخين وعلماء وفقهاء وغيرهم، كلّها تدين معاوية ويزيد ومن سار على نهجهما من بني أُمية، نرىٰ هناك من يتغنىٰ بمجدهم ويحن إلىٰ عهدهم!!

فانّ بعض الكتّاب والمحققين الذين تشتمل كتاباتهم علىٰ لمحات راقية ومضامين تثير الاعجاب، ولكنه يتضاءل ويسفل في كتاباته أحياناً أُخرىٰ، ويخلط ويتخبط، إلىٰ الحد أنك تشعر انه لم يمارس علماً، ولم يطّلع علىٰ شيء من المعارف، مع الأسف الشديد اما يكون عن تعصب أو جهل.

نعم، هناك نمط من التفكير عند بعض الكتّاب الذين ليسوا كتّاباً عاديين وانما هم معروفون ومشهورون في الأوساط الإسلامية، فبعضهم من أعلام الكتّاب والمؤرخين، لكن الهوىٰ عندما يتحكّم بقلم الكاتب ويأخذه التعصب تصبح كتاباته فى بعض الاحيان بعيدة عن الحق والانصاف، وإلّا ليس من المعقول أن يذكر مثل هذا الشخص النصوص المتعددة ويسطّرها في كتابه وكلّها تدين يزيد والنظام الأموي وهو من العلم والاحاطة بمادة التاريخ في درجة لا يخفىٰ عليه تشخيص الحقائق عن غيرها من الأمور...ولكن مع ذلك يذكر بعض الكلمات المخالفه للواقع والتحقيق العلمى؛ عسى ان تردّ اعتبار الظلمة واعداء الدين، فكان تاريخ واقعة كربلاء والكتابة حولها هو المحك والاختبار لبعض الكتّاب والمؤرخين.

فعلىٰ العالم أو الباحث المتصل بالبحث العلمي أن ينسىٰ نفسه حين يكتب العلم، ويعلم انّه يبحث ويقرر بعقله لا بعواطفه. فمن الظلم أن تكون النتائج مثل هذه، بعد كلّ النصوص التي اثبتها التاريخ، وهذا مما يؤسف له حقاً.

وكان علىٰ أهل العلم والتحقيق التأكد من بعض الأمور قبل تسجيلها وتدوينها، وعلى الاخص فى مثل هذه القضية العالمية (واقعة كربلاء). فهذا أيسر ما يجب علىٰ العلماء والباحثين.

خاتمة المطاف:

لقد عرف الإمام الحسين عليه السلام من حرائر النبوة، الايمان الراسخ، والصبر على المكاره، وعدم التزلزل في المصائب والخطوب، فلا يفوتهنّ القيام بواجبهن في الدفاع عن الدين ونشر رسالة سيد الشهداء عليه السلام واكمال نهضته والحفاظ على أهدافه، وبالأخص فيهنّ ابنة أمير المؤمنين زينب الكبرىٰ سلام الله عليها التي لم يرعبها الأسر وفقد الأعزّة وشماتة العدو، ولا يثني عزمها صراخ الأطفال وبكاء الأرامل... فكانت سلام الله عليها تلقي كلماتها بكل شجاعة وغير متلعثمة ولا خائفة من سطوة ظالم ولا من سيف غاشم، ولا كان يتسرب إليها الرعب أو الخوف عندما كانت ترىٰ أمامها رؤوس أهل بيتها ورؤوس أصحاب أخيها وقد تركت أجسادهم الطاهرة مقطعة في البيداء تصهرها الشمس المحرقة..

كلّ ذلك لم يثنِ عزمها من أداء رسالتها وفضح النظام الأموي الخبيث وتعريفه للملأ الغافل... فادهشت الناس وحيّرت العقول في خطبها وكلماتها والقوم حيارىٰ يبكون لا يدرون ما يصنعون..

وسجّل التاريخ لعقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها مواقفاً مع أهل الكوفة جعلتهم مطأطئي رؤوسهم يبكون حزناً علىٰ ما أصاب أهل البيت عليهم السلام من القتل والسبي فقالت لهم: «أما بعد! يا أهل الكوفة! أتبكون؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم... ألا ساء ما تزرون.. أي والله! فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً...»[1].

---

(١) امالى المفيد: ٣٢٢، امالى الطوسى: ١٤٢، بحار الانوار ٤٥: ١٠٥.

وكانت زينب سلام الله عليها ممن لا يستخفّ حلمها غضب، ولا يستفزُّها نزق، قوية الجنان، تتصف بأروع صور الشجاعة والإباء والترفُّع.. وحسبك في ذلك موقفها من الطاغية ابن زياد إذ أُدخلت عليه مع السبايا وقد حفّ بها إماؤها، فاستخفت به واحتقرته أشدّ احتقار ولقنته درساً لن ينساه أبداً، وحسبك أيضاً من موقفها الرائع عندما أراد اللعين ابن مرجانه أن يقتل الإمام السّجاد عليه السلام في مجلسه فحالت زينب عليها السلام دون ذلك حيث تعجّب الجلاد قائلاً لجلاوزته، عجباً للرحم!!.

ولعقيلة بني هاشم سلام الله عليها مواقف بطولية في الشام مع عدوّ الله ورسوله صلى الله عليه وآله يزيد، حيث سجّلت أروع آيات الشجاعة والعزّة في ذلك المجلس الغاص بأهله.. حيث تكلمت بكلمات اهتزّت بها قلوب السامعين واستعلت علىٰ الطاغية يزيد تكفّره وتخزيه، بقولها:

«... أظننت ـ يابن الطلقاء ـ حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق إليك كما تساق الأسرىٰ..

إلىٰ أن قالت: ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك.. إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك.. لكن، العيون عبرىٰ والصدور حرّى ..»[1].

لقد كانت مواقف العقيلة زينب سلام الله عليها لا ينساها التاريخ علىٰ الاطلاق، قد شاركت سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته في كلّ الرزايا والمصائب، ولها في السبي مقام كريم لا يسامىٰ، قد اكملت رسالة أخيها، ونصرت دين جدّها،

---

(١) راجع خطبتها مفصّلاً في الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٤ ـ ٣٨ ومثله في أمالي الشيخ الصدوق ٣١، عنه في بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ ـ ١٥٦ ح ٣، وانظر: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٢ ـ ٦٦، اللهوف: ١٠٧، الاتحاف بحب الاشراف: ٢٣، تاريخ ابن كثير ٨: ٢٠٤، وغيرها.

ونالت بذلك من الله كلّ الزلفىٰ، حرست يتامىٰ آل محمد صلى الله عليه وآله، رابطة الجأش، صلبة العود، لم تؤثّر عليها تلك النوائب والمحن.

وبهذا القدر من الكتابة اكتفي حامداً لله علىٰ الإنعام، شاكراً له علىٰ التوفيق للاتمام، مبتهلاً إليه بنبيه صلى الله عليه وآله وحججه عليهم السلام أن يختم لنا بمغفرته فهي أحسن ختام، والحمد لله وحده وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر

القرآن الكريم

أخبار الزينبيات: للعبيدلي يحيىٰ بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله الأعرج ابن الحسين الأصغر بن الإمام السجاد عليه السلام، نشره وقدّم له السيد محمد جواد الحسيني المرعشي النجفي.

الاحتجاج: للطبرسي، أحمد بن علي، من علماء القرن السادس، تحقيق إبراهيم البهادري، ومحمد هادي به، انتشارات أُسوة.

الإرشاد إلىٰ حجج الله علىٰ العباد : للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، (ت ٤١٣ هـ) ،تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم.

إقبال الأعمال: للسيد علي بن موسىٰ بن طاووس، (ت ٦٦٤ هـ)، طبعة الأعلمي ـ بيروت، وطبعة قم.

أخبار الدّول وآثار الأُول في التاريخ: للقرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩ هـ)، تحقيق الدكتور فهمي سعد والدكتور أحمد حطيط، عالم الكتب ـ بيروت.

إحقاق الحق وازهاق الباطل: للسيد الشهيد القاضي نور الله الحسيني التستري، (ت ١٠١٩ هـ)، نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

أدب الطف: للسيد جواد شبّر، طبعة دار المرتضىٰ ـ بيروت ـ.

استجلابُ ارتقاء الغُرف بحبّ أقرباء الرّسول وذوي الشرف: للحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي الشافعي، (ت ٩٠٢ هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية.

أضواء على السّنة المحمدية: محمود أبو رَيَّة، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي، طبعة بيروت.

إكمال الدين وإتمام النعمة: للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ) نشر جماعة المدرسين - قم.

اسعاف الراغبين في سيرة المصطفىٰ صلى الله عليه وآله: للشيخ محمد بن علي الصّبان، (مطبوع بهامش نور الأبصار للشبلنجي)، دار الفكر بيروت.

أكسير العبادات فى أسرار الشهادات: للشيخ آغا بن عابد الشيروانى المعروف بالفاضل الدربندى، (ت ١٢٨٥ هـ) ط. الحجريه وط. المحققة لشركة المصطفى.

أنساب الأشراف: للبلاذري، أحمد بن يحيىٰ، من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

الإمامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم، (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف الرضي - قم، وطبعة بيروت أيضاً.

الإمامة وأهل البيت عليهم السلام: للدكتور محمد بيومي مهران، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية - قم.

أمالي الصدوق: للشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، (ت ٣٨١ هـ) طبعة مؤسسة البعثة - قم، وطبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت.

أمالي الطوسي: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق ونشر قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

الإيقاد: للسيد محمد علي العظيمي، (ت ١٣٣٤ هـ)، تحقيق محمد جواد الكشميري، منشورات الفيروزآبادي.

الاتحاف بحب الأشراف: للشبراوي، عبدالله بن محمد الشافعي، (ت ١١٧١ هـ)، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

البداية والنهاية: لابن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، طبعة دار الكتب العلمية وطبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

بغية الطلب في تاريخ حلب: لابن عديم، عمر بن أحمد، (ت ٦٦٠ هـ)، نشر مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

بلاغات النساء: لابن أبي طيفور،ت ٢٨٠هـ منشورات الشريف الرضي، و ط.المطبعة العصرية ـ بيروت.

بطل العلقمي: للشيخ عبدالواحد المظفر، نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

تجارب الأمم، لأبي علي مسكويه الرازي، أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي، نشر دار سروش ـ طهران.

تفسير الآلوسي: للآلوسي، ١٢٧٠هـ

تاريخ الطبرى: الطبرى، محمد جرير، ٣٦٠هـ ط. الاعلمى، بيروت.

تاريخ اليعقوبي: لأحمد بن أبي يعقوب اسحاق (ت ٢٨٤ هـ) ط. بيروت.

تاريخ ابن خلدون: لعبدالرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، (ت ٨٠٨ هـ)، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

تاريخ الخلفاء: للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

تاريخ دمشق: لابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١ هـ) ط. دار الفكر.

تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ط. دار الكتاب العربى ـ بيروت.

تاريخ الخميس: للشيخ حسين بن محمد الديار بكري، (ت ٩٦٦ هـ)، مؤسسة شعبان ـ بيروت.

تأملات في زيارة وارث (خلفيات ثورة الإمام الحسين عليه السلام): للشيخ محمد مهدي الآصفي، معاصر، نشر مركز دراسات نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

تاريخ إمام حسين (موسوعة الإمام الحسين عليه السلام): مكتب الكتب المساعدة التعلمية، نشر دار أسوة.

تاريخ ابن الوردي: عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، (ت ٧٤٩ هـ)، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

التاج في أخلاق الملوك: للحافظ، (ت ٢٥٥ هـ)، طبعة دار الكتب المصرية.

تنقيح المقال في علم الرجال: للشيخ عبدالله المامقاني، (ت ١٣٥١ هـ)، الطبعة الحجرية.

تذكرة الخواص: لسبط الجوزي، يوسف بن علي البغدادي، (ت ٦٥٤ هـ).

التذكرة الحمدونيّة: لابن حمدون محمد بن الحسن بن علي، تحقيق احسان عبّاس وبكر عبّاس، (ت ٣٠٩ هـ)، دار صادر ـ بيروت.

تقوية الايمان: لمحمّد بن عقيل العلوي، (ت ١٣٥٠ هـ)، المطبوع مع النصائح الكافية لمن يتولى معاوية.

التنبيه والإشراف: للمسعودي علي بن الحسين، (ت ٣٤٥ هـ)، دار مصعب ـ بيروت، وطبعة القاهرة ايضاً.

الجوهر الثّمين في سير الملوك والسلاطين: لابن دُقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر، ت ٨٠٩ هـ، تحقيق محمّد كمال الدين عزّالدين، طبعة عالم الكتاب ـ بيروت.

الحدائق الوردية: لحسام الدين حميد بن أحمد المحلّي (ت ٦٥٢ هـ)، ط. الحجريه

الحسين عليه السلام سماته وسيرته: للسيد محمد رضا الجلالي، معاصر، دار المعروف ـ قم.

الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي: انطون بارا، معاصر، ط. الكويت وط. لبنان الرابعة.

حياة الإمام الحسين عليه السلام: للشيخ باقر شريف القرشي، معاصر.

الخصائص الزينبية: للسيد نور الدين الجزائري، نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

الخطط المقريزية: لأحمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥ هـ)، منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت.

الدرّ النظيم في مناقب الأئمة عليهم السلام: لجمال الدين يوسف الشامي، من أعلام القرن السابع، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور: زينب بنت يوسف فواز، (ت ١٣٣٢ هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة ـ بيروت.

دليل السائحين إلىٰ سوريا ودمشق: للسيد عادل العلوي، نشر المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد ـ قم ١٤١٢ هـ.

ديوان السيد حيدر الحلي: (ت ١٣٠٤ هـ)، تحقيق علي الخاقاني،مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

ديوان الشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ) المعروف بالسيد المرتضى ط. مؤسسة الهدى بيروت.

ديوان الشريف الرضى: محمّد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ) ط. وزارة الأرشاد الإسلامى ـ طهران.

ديوان دعبل الخزاعي: لدعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٥هـ) ط. دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ومستدركاتها: حسن الأمين، دار التعارف ـ بيروت.

الدولة العربية وسقوطها: فلهاوزن، دار صادر بيروت.

ذريعة النجاة (التاريخ الكامل لواقعة كربلاء): محمد رفيع التبريزي، (ت ١٣٨٠ هـ)، تحقيق محمد حسين رحيميان، طبعة دار الكتب الإسلامية.

الرثاء والأسىٰ: للسيد أحمد المستنبط، (ت ١٤٠٠ هـ)، طبعة الغري في النجف الأشرف.

الردّ علىٰ المتعصّب العَنيد المانع من ذمّ يزيد: لابن الجوزي عبدالرحمن بن علي ابن محمد، (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق الدكتور هيثم عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

زينب عليها السلام والظالمون: محسن المعلّم، دار الهادي ـ بيروت الطبعة الأُولىٰ ١٤١٨ هـ

زينب الكبرىٰ عليها السلام: جعفر النقدي، (ت ١٣٧٠ هـ)، نشر مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام ـ قم المقدسة ١٤١١ هـ

زينب سلام‌الله عليها من المهد إلىٰ اللحد: السيد محمد كاظم القزويني (ت ١٤١٥ هـ). تحقيق السيد مصطفىٰ القزويني، نشر دار الغدير ـ قم ١٤٢٣ هـ

سفينة البحار: للشيخ عباس القمى (ت ١٣٥٩هـ) تحقيق مجمع البحوث الاسلامية مشهد المقدس.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الألباني، معاصر، نشر مكتبة المعارف ـ الرياض.

سنن الترمذي: لمحمّد بن محمّد بن عيسى (ت ٢٧٩) ط. بيروت.

سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ

سنن النسائي: للنسائى أحمد بن شعيب ٣٠٣ هـ ط. بيروت.

سنن ابن ماجة: لمحمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر ـ بيروت.

السيدة زينب عليها السلام: باقر شريف القرشي، معاصر، دار التعارف ـ بيروت ـ الطبعة الأُولىٰ ١٤١٩ هـ

السيدة زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم: علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، مؤسسة المفيد ـ بيروت.

سير أعلام النبلاء: للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨ هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

الشجرة المباركة في أنساب الطالبية: للفخر الرازي، محمد بن عمر الشافعي، (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

شجرة طُوبىٰ: للشيخ محمد مهدي الحائري، (ت ١٣٨٤ هـ). الطبعة الخامسة، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف.

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: للقاضي النعمان بن محمد المغربي، (ت ٣٦٣ هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

الشعر والشعراء (طبقات الشعراء): لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

شيخ المضيرة أبو هريرة: محمود أبو ريَّة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

الشيعة والحاكمون: لمحمد جواد مغنية، ط. مكتبة الشريف الرضى ـ قم.

صلح الحسن عليه السلام: للشيخ راضي آل ياسين، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، (ت ١٠٨٩ هـ)، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت .

شرح العقائد النسفية: لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (ت ٧٩٢ هـ)، تحقيق محمد عدنان درويش، بيروت.

الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام: للدكتور نوري جعفر، الطبعة الثانية ١٩٧٨ م، مطبوعات ـ النجاح ـ القاهرة.

صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦ هـ)، طبعة عالم الكتب وطبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ولد ٢٦١ هـ) طبعة دار الفكر ودار الخير.

صحيح مسلم بشرح النووي: للنووي يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ)، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الطبقات الكبرىٰ: لابن سعد، (ت ٢٣٠، طبعة دار صادر ـ ببيروت.

الطراز المذهب في أحوال السيدة زينب عليها السلام: للمظفري، الطبعة الحجرية.

العباس عليه السلام: للسيد عبدالرزّاق الموسوي المقرّم، (ت ١٣٩١ هـ)، تحقيق الشيخ محمد الحسّون، نشر منشورات الاجتهاد ـ قم.

العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل: لمحمّد بن عقيل العلوي، (ت ١٣٥٠ هـ)، نشر دار الهدف.

عدّة الداعي ونجاح الساعي: لأحمد بن فهد الحلّي، (ت ٨٤١ هـ)، طبعة مكتبة الوجداني ـ قم.

عوالم العلوم والمعارف والأحوال (الإمام الحسين عليه السلام): للشيخ عبدالله البحراني، من اعلام القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم.

العقد الفريد: لابن عبد ربّه الأندلسي، (ت ٣٢٨ هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

عقيلة الوحي زينب سلام الله عليها: للسيد عبد الحسين شرف الدين، تحقيق الشيخ محمد رضا المامقاني، نشر دليل ما ـ قم.

عليّ وعصره: لجورج جرداق، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.

عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: لجمال الدين أحمد بن علي، المعروف بابن عنبة، (ت ٨٢٨ هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر مكتبة السيد المرعشي، قم.

العواصم من القواصم: لابن عربي المالكي، (ت ٥٤٣ هـ)، تحقيق وتعليق محبّ الدين الخطيب ومحمد جميل غازي، دار الجبل ـ بيروت.

عيون المعجزات: للشيخ حسين عبد الوهاب، من علماء القرن الخامس، منشورات مكتبة الداوري ـ قم.

الكافي: للشيخ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، طبعة دار الكتب الإسلامية.

كامل الزيارات: لابن قولويه، جعفر بن محمد، (ت ٣٦٨ هـ)، نشر مكتبة الصدوق.

الكامل في التاريخ: لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد، المعروف بابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر ـ بيروت.

الكامل في اللغة والأدب: للمبرد، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

كتاب سُليم بن قيس الهلالي: لسليم بن قيس، (ت ٧٦ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، نشر الهادي.

كشف الغمة: للإربلي: علي بن عيسى، (ت ٦٨٧ هـ)، طبعة بيروت.

الكواكب الدّرّيّة (الطبقات الكبرىٰ): لزين الدين محمد عبدالرؤف المناوي، (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق محمّد أديب الجادر، دار صادر ـ بيروت.

لسان العرب: لابن منظور، جمال الدين محمد (ت ٧١١ هـ).

اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام: لمحمد علي التبريزي الأنصاري، (ت ٣١٠ هـ) نشر دار الهادي ـ قم.

لواعج الأشجان: السيد محسن الأميني، (ت ١٣٧١، طبعة دار الأمير، وطبعة دار العرفان ـ صيدا.

لواقح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرىٰ): لعبدالوهاب بن أحمد بن علي الشافعي المصري، المعروف بالشعراني، (ت ٩٧٣ هـ). تحقيق خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

اللهوف على قتلى الطفوف: ابن طاووس على بن موسى (ت ٦٦٤، تحقيق فارس الحسون، ط. دار الاسوة.

الفتوح: لابن الأعثم الكوفي، أحمد، (ت ٣١٤ هـ)، نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

في رحاب عاشوراء: للشيخ محمد مهدي الآصفي، معاصر، تحقيق ونشر مؤسسة الفقاهة ـ قم.

الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام: لعلي بن محمد المالكي المكي، الشهير بابن الصباغ، (ت ٨٥٥ هـ)، طبعة دار الأضواء ـ بيروت وطبعة النجف الأشرف.

فضل زيارة الحسين عليه السلام: لمحمّد بن علي العلوي الشّجري، (ت ٤٤٥ هـ)، نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

فرائد السمطين: للشيخ إبراهيم بن محمد الجويني، تحقيق محمد باقر المحمودي، طبعة مؤسسة المحمودي.

مجمع الزوائد: للهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

مختصر تاريخ دمشق: لمحمد بن مكرّم المعروف بابن منظور، (ت ٧١١ هـ). تحقيق رياض عبد الحميد، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

مقتل الحسين عليه السلام: للخوارزمي أبي المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوازم، (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق الشيخ محمد السماوي، مكتبة المفيد ـ قم.

مقتل الحسين عليه السلام: للسيد عبد الرزاق الموسوى المقرّم، منشورات مؤسسة البعثة، وط. مؤسسة الأنصارى.

مقتل الحسين عليه السلام: للسيد محمد تقي بحر العلوم، (ت ١٣٦٣ هـ)، دار الزهراء ـ بيروت.

مروج الذهب ومعادن الجواهر: للمسعودي، (ت ٣٤٥ هـ)، دار الهجرة ـ قم.

مسند زيد: لزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام، جمعه عبدالعزيز بن إسحاق (ت ٣٦٣ هـ)، ط. دار الكتب العلمية وط. مكتبة الحياة، بيروت.

مستدرك الوسائل: للميرزا حسين النوري، (ت ١٣٢٠ هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث في قم.

موسوعة المورد (دائرة معارف): لمنير البعلبكي، الطبعة الأولى دار العلم للملايين ـ بيروت.

موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: اعداد معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الإعلام الإسلامي، نشر دار المعروف ـ قم.

مدينة المعاجز: للسيد هاشم البحراني، (ت ١١٠٧ هـ)، مؤسسة المعارف، قم.

معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام: للشيخ محمد مهدي الحائري، الطبعة الثانية، مؤسسة النعمان ـ بيروت.

مأساة الحسين عليه السلام **بين السائل والمجيب**: للشيخ عبدالوهاب الكاشي، طبعة ـ بيروت.

مثير الأحزان: لابن نما الحلّي، أحمد بن محمد بن فهد، (ت ٦٤٥ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.

مثير الأحزان في احوال الائمة الاثنى عشر، للشيخ شريف الجواهري ط. الثانية سنة ١٣٦٢، منشورات الشريف الرضي، قم.

المزار الكبير: للمشهدي أحمد بن جعفر، من القرن السادس الهجري، تحقيق جواد القيومي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل، (ت ٢٤١، دار صادر ـ بيروت.

المنتخب: لفخر الدين الطريحي النجفي، (ت ١٠٨٥ هـ)، نشر مكتبة الشريف الرضي ـ قم.

مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني، (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة ـ بيروت.

الموسوعة الفقهية: اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، دار الصفوة.

موسوعة الغدير: عبدالحسين الأميني، طبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

مع الحسين في نهضته: أسد حيدر، الطبعة الثالثة، دار التعارف ـ بيروت.

ملحقات احقاق الحق: للسيد شهاب الدين المرعشي، (ت ١٤١١ هـ) نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

معارج الوصول إلىٰ معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله والبتول: جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي، (ت ٧٥٧ هـ) تحقيق محمد كاظم المحمودي، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

معالم المدرستين: للسيد مرتضىٰ العسكري، نشر مؤسسة النعمان ـ بيروت، ونشر الدراسات الإسلامية.

المعجم الكبير: للطبراني، سليمان بن أحمد، (ت ٣٦٠) وكذلك معجمه الأوسط ط. مكتبة المعارف ـ الرياض، وايضاً معجمه الصغير ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر: لابن طاووس علي بن موسىٰ بن جعفر، (ت ٦٦٤ هـ)، طبعة مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام. وط. الرضي ـ قم.

مسند أبي يعلىٰ: لأحمد بن علي التميمي، (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت.

المصباح: للكفعمي: تقي الدين إبراهيم، (ت ٩٠٥ هـ)، طبعة مكتبة الولاء ـ بيروت.

مناقب الامام أمير المؤمنين عليه السلام: للحافظ محمد بن سليمان الكوفى القاضى، من أعلام القرن الثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودى، ط. مجمع احياء الثقافة الاسلامية ـ قم.

مناقب آل أبي طالب: للشيخ ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) المطبعة العلمية ـ طهران.

النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم: أحمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥ هـ). حققه وعلّق عليه الدكتور حسين مؤنس، انتشارات الشريف الرضي ـ قم المقدسة، وطبعة مكتبة الأهرام ـ مصر بتحقيق الشيخ محمود عرنوس.

النصائح الكافية لِمَن يتولىٰ معاوية: لمحمد بن عقيل العلوي، (ت ١٣٥٠ هـ)، دار الثقافة ـ قم.

نثر الدّر: لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي، (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نهاية الأرب في فنون الأدب: للنويري شهاب الدين أحمد، (ت ٧٣٣ هـ)، تحقيق محمد رفعت، المكتبة العربية ـ مصر.

نهج البلاغة: مجموع كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي.

نور الأبصار في مناقب آل النبيّ صلى الله عليه وآله المختار: للشبلنجي، مؤمن بن حسن بن مؤمن، ت ١٠٣٨، نشر دار الفكر بيروت وبهامشه اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى للشيخ محمد بن علي الصّبان.

وسائل الشيعة: للشيخ الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤ هـ)، نشر مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام: للسيد إبراهيم الزنجاني الموسوي، ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

وقائع الأيام: للمولى علي الخياباني التبريزي، (ت ١٣٦٧هـ) انتشارات غرفة الاسلام.

وقعة صفّين: لنصر بن مزاحم المنقري، (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشر مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: للشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات ـ والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ).

وقعة الطّف: لأبي مخنف لوط بن يحيىٰ الأزدي، (ت ١٥٨ هـ)، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

ينابيع المودة: للحنفي القندوزي، (ت ١٢٩٤ هـ) ط. مؤسسة الأعلمى - بيروت، وط. دار الأسوة - قم.

محتويات الكتاب

المقدمة ٥

تمهيد ١٣

دراسة النهضة المباركة ١٦

أهمية النهضة المباركة ١٦

الإمام الحسين عليه السلام ١٧

محبة الإمام الحسين عليه السلام ١٩

النبي صلى الله عليه وآله ومقتل الحسين عليه السلام ٢٠

صوت النهضة الحسينية ٢١

الفصل الأول: شخصية العقيلة زينب عليها السلام

(٢٣ ـ ٥٢)

العقيلة زينب عليها السلام ٢٥

ولادتها ٢٥

تسميتها ٢٦

كنيتها ٢٧
ألقابها ٢٧
نشأتها ٢٨
مقومات شخصيتها ٢٨
عبادتها ٣٠
علمها ٣٢
من كلماتها ٣٥
زهدها ٣٦
النيابة الخاصة ٣٦
زوجها ٣٨
قبر عبدالله بن جعفر ٣٩
ابناء العقيلة ٤٠
حديث يحيى المازني ٤٠
رؤيا العقيلة زينب عليها السلام ٤١
الإمام الحسين عليه السلام وزينب عليها السلام ٤٢
العقيلة عليها السلام تعترض على ابن عباس ٤٣
العقيلة عليها السلام والأحداث التى مرّت بها ٤٤
العقيلة عليها السلام قطب رحى العائلة ٤٤
العقيلة عليها السلام تسمع الهاتف ٤٥

محتويات الكتاب ٢٦٣
الشجاعة الأدبية والجرأة العلوية ٤٥
التأثير على الجماهير ٤٧
مواقف وبطولات ٤٨
العقيلة عليها السلام والمهمة الصعبة ٤٩
نشرت العقيلة عليها السلام الوعي السياسي والديني ٥٠
صوت الحسين عليه السلام ٥٠
العقيلة عليها السلام في ظل خلافة أبيها ٥١
العقيلة عليها السلام رمز الحق ومثال الفضيلة ٥١

الفصل الثانى : التياران المتضادان (الحق والباطل)

(٥٣ ـ ٩٢)

الصراع بين الحق والباطل ٥٦
النهضة الحسينية مدرسة الأجيال ٥٨
من أسباب النهضة الحسينية ٥٩
الإمام الحسين عليه السلام المثل الأعلى للإصلاح ٦٠
الحسين عليه السلام والإنسانية ٦١
المواقف البطولية للأصحاب ٦٢
من مثالب بني أمية ٦٤
آفة الدين بنو أمية ٦٤

النزعة الالحادية لبني أمية ٦٥
أربع خصال كنّ في معاوية ٦٩
معاوية وتغيير السّنة النبوية ٦٩
الحكومة الأموية والثقافة الإسلامية ٧٠
المقابلة والمناقضة ٧٢
المشكلة الأصلية ٧٢
آراء بعض الكتّاب حول الدولة الاموية ٧٥
يزيد ٧٨
نشأة يزيد ٧٩
فسوق يزيد وعماله ٧٩
من جرائم يزيد ٨٢
واقعة الحرّة ٨٢
مَنْ أخاف أهل المدينة ٨٢
بنو أمية بين الحيلة والغباء ٨٣
السيرة العملية لخلفاء بني أمية ٨٥
التحذير من السكوت ٨٦
قضية الامام الحسين عليه السلام ٨٦
الآثار السلبية لخلافة بني أمية ٨٧
الحقد الجاهلي ٨٩

محتويات الكتاب ٢٦٥
تألق النور الالهي ٨٩
الزعيم غاندي والنهضة الحسينية ٩٠

الفصل الثالث: مواقف العقيلة زينب عليها السلام في كربلاء
(٩٣ ـ ١٣٨)

الجو العام في الكوفة ٩٥
النفير العام في الكوفة ٩٧
عدد الجيش الأموي ٩٨
اصطحاب العائلة إلى كربلاء ٩٩
من الشواهد التاريخية ١٠٢
النظرة الثاقبة للامام الحسين عليه السلام ١٠٤
النزول في كربلاء ١٠٦
يوم عاشوراء ١٠٧
العقيلة زينب عليها السلام تراقب الأوضاع ١٠٨
العقيلة عليها السلام في حال وجل وحزن ١٠٩
العقيلة عليها السلام وأشعار الإمام عليه السلام ١١٠
العقيلة زينب عليها السلام ومصرع علي الأكبر عليه السلام ١١١
العقيلة زينب عليها السلام ومصرع العباس عليه السلام ١١٣
العقيلة عليها السلام ومقتل الطفل الرضيع ١١٥

الإمام الحسين عليه السلام في الساعات الأخيرة ١١٥
الإمام الحسين عليه السلام وأُخته العقيلة عليها السلام في الوداع الأخير ١١٨
العقيلة زينب عليها السلام وشهداء أهل بيتها ١٢١
زينب عليها السلام ووصايا الإمام الحسين عليه السلام ١٢٢
العقيلة عليها السلام تمتثل وصايا الإمام الحسين عليه السلام ١٢٢
زينب عليها السلام تحاول حبس الغلام ١٢٣
من معاناة العقيلة زينب عليها السلام ١٢٤
خروج العقيلة عليها السلام ١٢٤
الهجوم على المخيّمات وموقف العقيلة عليها السلام ١٢٥
انقاذ العقيلة عليها السلام للإمام السّجاد عليه السلام ١٢٦
العقيلة عليها السلام أمام الجسد الطاهر ١٢٧
السلب والنهب ١٢٨
رضّ الجسد وقطع الرؤوس ١٣٠
ليلة الحادي عشر من المحرّم ١٣١
المرور على مصارع الشهداء ١٣٣
بكاء العدو والصديق ١٣٥
المأساة الخالدة ١٣٦
كيفية حمل الرؤوس الشريفة ١٣٧
روايات السبي ١٣٨

الفصل الرابع: مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة

(١٣٩ ـ ١٦٠)

الحركة تجاه الكوفة ١٤١

حال السبايا ١٤٢

الأهداف السياسية من وراء السبي ١٤٢

خطب العقيلة عليها السلام وكلماتها ١٤٤

دور العقيلة زينب عليها السلام ومسؤوليتها ١٤٥

خطبة العقيلة زينب عليها السلام في الكوفة ١٤٦

شدّة تأثير الخطبة ١٥١

مع الخطبة ١٥١

الرأس الشريف في سكك الكوفة ١٥٢

مجلس ابن زياد في الكوفة ١٥٢

اعتراض عفيف الأزدي على ابن زياد ١٥٣

شجاعة العقيلة زينب عليها السلام ١٥٤

الردّ المُفْحِم ١٥٥

خلود موقف العقيلة ١٥٧

التضليل الاعلامي ١٥٧

في الكوفة ١٥٨

التضليل الاعلامي في طريق الشام ١٥٩

الفصل الخامس: مواقف العقيلة زينب عليها السلام في الشام

(١٦١ ـ ١٨٨)

الركب الحزين يتجه نحو الشام ١٦٣
سبايا آل رسول الله صلى الله عليه وآله على أبواب دمشق ١٦٤
التضليل الاعلامي في الشام ١٦٥
سهل بن سعد يروي ١٦٦
زينة الشام ١٦٧
تزيين دار يزيد ١٦٨
مجلس يزيد ١٦٩
وصف الامام الرضا عليه السلام لمجلس يزيد ١٧٠
خطبة العقيلة زينب عليها السلام في الشام ١٧٠
مع الخطبة ١٧٦
الموقف الجرئ ١٧٨
خشي يزيد على نفسه ١٧٨
نصرٌ زائف وحلمٌ كاذب ١٧٨
العقيلة عليها السلام لا تصبر على الضيم ١٧٩
موقف العقيلة عليها السلام عند رؤيتها رأس الحسين عليه السلام ١٨٠
موقف العقيلة عليها السلام من الشامي ١٨٠
العقيلة زينب عليها السلام تنظر للمستقبل ١٨١

محتويات الكتاب ٢٦٩
ومن نتائج الخطبة ايضاً الاعتراضات ١٨٢
اعتراض رسول ملك الروم على يزيد ١٨٢
اعتراض أحد أحبار اليهود على يزيد ١٨٣
اعتراض زوجة يزيد ١٨٤
اعتراض ابن عبّاس على أعمال يزيد ١٨٤
شاطرت العقيلة عليها السلام مع أخيها عليه السلام الجهاد ١٨٥
ركب السبي يبعث اليقظة ١٨٦
إقامة العزاء فى الشام ١٨٦
المغادرة وترك الشام ١٨٧

الفصل السادس: مواقف العقيلة زينب عليها السلام فى المدينة المنورة (١٨٩ ـ ٢٠٢)

شماتة العدو ١٩١
حال المدينة ١٩٢
المأتم الكبير في المدينة ١٩٣
المدينة بعد دخول حرم الحسين عليه السلام ١٩٤
لبس السواد وإقامة المأتم ١٩٦
حداد المدينة بمصرع الحسين عليه السلام ١٩٦
نياحة أهل البيت في المدينة ١٩٦

العقيلة تعزّي جدّها الرسول صلى الله عليه وآله ١٩٧
الحرب الاعلامية ١٩٧
واجبات تنتظر العقيلة عليها السلام ١٩٨
العقيلة عليها السلام مستمرة بأداء دورها ١٩٨
انتفاضة أهل المدينة ١٩٩
نجاح النهضة ٢٠٠
أبيات للسيد رضا الهندي ٢٠١
خلود صوت العقيلة ٢٠٢

الفصل السابع: العقيلة زينب عليها السلام الى مثواها الأخير

(٢٠٣ ـ ٢٤٦)

رحلة العقيلة عليها السلام الى ربّها ٢٠٥
مرقد العقيلة عليها السلام ٢٠٦
المقامان الشامخان ٢٠٩
مقام الشام ٢١٠
مقام القاهرة ٢١٣
الحرم الزينبي ٢١٤
المسجد الزينبي ٢١٥
الضريح الطاهر ٢١٥

محتويات الكتاب ٢٧١
عمارة المرقد المقدّس ٢١٦
مضاعفة مساحة مسجد السيدة زينب عليها السلام ٢١٨
قبر العقيلة عليها السلام رمز للحق ٢١٩
مقام تل الزينبية فى كربلاء ٢١٩
وصف مبنى المقام حالياً ٢٢٠
قصيدة للشيخ محمد حسين الأصفهاني قدس سره ٢٢١
من كرامات العقيلة عليها السلام ٢٢٢
كرامة أُخرى ٢٢٣
مكاشفة عجيبة ٢٢٥
العاقبة ٢٢٦
الخاتمة ٢٢٧
الحث على حبّ أهل البيت عليهم السلام ٢٢٩
أهمية حب عليّ عليه السلام والتحذير من بغضه ٢٣٠
نوح الجن ٢٣١
الحداد على الحسين عليه السلام ٢٣٢
تراب القبر الشريف ٢٣٢
الزيارة ومنع الزوار ٢٣٣
الدعاء عند قبر الحسين عليه السلام ٢٣٤
زوّار الامام الحسين عليه السلام ٢٣٥

شفاعة أهل البيت عليهم السلام ٢٣٦
مصرع الحسين عليه السلام ٢٣٦
الشعر وواقعة كربلاء ٢٣٧
قصيدة للشاعر الكبير السيّد رضا الهندي ٢٣٧
أبيات شعرية للشيخ جعفر النقدي ٢٣٨
ابن قَتَّة يرثي الإمام عليه السلام ٢٣٩
من قصيدة للحاج هاشم الكعبي ٢٣٩
من قصيدة للشيخ محمّد نصّار ٢٤٠
أبياتٌ تُنسب إلىٰ السيد رضا الهندي ٢٤١
من كرامات سيد الشهداء عليه السلام ٢٤١
الانتقام من قتلة الإمام عليه السلام ٢٤٢
وقفة مع بعض الكتّاب ٢٤٢
خاتمة المطاف ٢٤٤
المصادر ٢٤٧
محتويات الكتاب ٢٦١